# الآداب

تصدر عن كلية الآداب
جامعة ذمار

مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية



أ.د. عبد الكريم مصلح البحله
الصناعة المعجمية العربية(أطوارها ومدارسها)

د. أحمد صالح العبادي
نقش سبأي جديد من جبل كنن(مدينة نعض) (Ab1)
(دراسة في الدلالة اللغوية والتاريخية)

أ.د. عبده فرحان محمد الحميري
د. عبد الرحمن علي راشد زوير
التنبؤ بالرضا عن الحياة من خلال العوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى طلبة الجامعة

د. فؤاد عبد الغني الشميري
أضواء على مسكوكات الملك المعز إسماعيل بن طغتكين (593-598هـ/ 1197-1202م)

د . عبدالله أحمد ناصر الجرفي
البناء العشوائي وعلاقته بالتخطيط الحضري في المدن اليمنية

د. جمال محمد أحمد هاجر
تناسب سور المعوذات ، دراسة تطبيقية



6



Dr.Muneera Muftah
Offline/Online Reading Strategies of Yemeni Engineering Professionals

# الآداب

مجلة علمية فصلية محكمة – تصدر عن كلية الآداب



## الإشراف العام

أ.د . طـالـب طـاهر النهـــاري

## رئيس التحرير

أ.د.عبـد الكريـم مصلح أحمد البحلة

## مدير التحرير

د. فؤاد عبد الغني محمد الشميري

## نائب مدير التحرير

د. فضـــل العميـــسي

## سكرتارية التحرير

د. عبـــدالله أحمـــد الجرفـــي

أ. علـــي عبـــده الرنـــه

أ. أشـــواق ناصـــر الحماطـــي

## المسؤول المالى

أ.علـــي أحمـــد البخـــرانـــي

## الهيئة الاستشارية

أ.د. عبـدالكريم اسماعيل زبيبه

أ.د. نصـــر الحجيـــلـــي

أ.د. عبـــدالـكـافي الرفاعـي

أ.د.أحمـــــد الاكـــوع

أ.د. حســـين العمـــري

أ.د. علـــي سعيـــد سيـف

أ.د.أحمـــد محمـــد شجاع الدين

أ.د. ابراهيـــم الصلـــوي

أ.د. مهيـــوب غـالب كليب

أ.د عبـــده فرحـــان الحميري

## هيئة التحرير

د.نجـيب الـــورافـــي

د .أمـــــين الجـــــبر

د .عصـــــام واصـــل

## صحح هذا العدد لغوياً

د. نجـيـب الـــورافي

## تنسيق واخراج فنى

أ. محمـــد محمـد علي سبيع

moh.sobai@gmail.com

موبايل: 0067+771322894

أ.نـــدى عـــزالـــديـن العصيمي

# الآداب

مجلة علمية فصلية محكمة

تصدر عن كلية الآداب

جامعة ذمار، ذمار،اليمن

العدد السادس

فبراير 2018

رقم الايداع

بالهيئة العامة للكتاب

( 551 لسنة 2018 )

- جميع الحقوق محفوظة.
- لايحق إعادة نشر المواد المنشورة في المجلة دون استئذان إداراتها .
- لايحق الاقتباس من المواد المنشورة في المجلة من غير ذكر المصدر

# المحتويات


| | | |
|---|---|---|
| • الافتتاحية ..... | أ.د طـــالـــب طاهر النهـــاري | 5 |
| • كلمة رئيس التحرير ..... | أ.د. عبـــد الكريم مصلـح البحله | 7 |
| • الصناعة المعجمية العربية(أطوارها ومدارسها)..... | أ.د. عبـــد الكريم مصلح البحـله | 8 |
| • التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الآيات المتماثلة في القرآن الكريم(الأفعال الماضية أنموذجاً)..... | د. إبراهيـــم ناصر صالـح القيـــسي | 35 |
| • نقش سبأي جديد من جبل كنن(مدينة نعض) (Ab1) (دراسة في الدلالة اللغوية والتاريخية)..... | د. أحمـــد صالـــح العبـــــادي | 71 |
| • تناسب سور المعوذات، دراسة تطبيقية ..... | د. جمـــال محمـــد أحمد هـــاجـر | 88 |
| • دراسة موضوعية لبعض القيم الاجتماعية في الأمثال الشائعة باليمن..... | د. عبدالجبـــار مسعـــــد التـــام | 117 |
| • البناء العشوائي وعلاقته بالتخطيط الحضري في المدن اليمنية... | د . عبـــدالله أحمـــد ناصـــر الجـرفي | 133 |
| • التنبؤ بالرضا عن الحياة من خلال العوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى طلبة الجامعة ..... | أ.د. عبـده فرحـــان محمد الحمـــيري<br>د. عبـد الرحمـــن علي راشـــد زوير | 155 |
| • أضواء على مسكوكات الملك المعز إسماعيل بن طغتكين (593-598هـ/ 1197-1202م)..... | د. فـــؤاد عبـــد الغني الشمـــيري | 188 |
| • النظام الانتخابي و تأثيره على الأحزاب في المجتمع اليمني..... | أ.م.د محمـد الكـــــــامـــــــل | 214 |
| • حظر تجارة السلاح بين القوى الإسلامية والفرنجية زمن الحروب الصليبية..... | د . محمـــــد عبـــد الله المقـــدم | 237 |
| • الحمام البخاري الكبير بمدينة ذمار القديمة "دراسة آثارية معمارية" ..... | د. مـــبروك محمـــد يحيى الذمـــاري | 260 |
| • **Case Endings in Standard Arabic…..** | **Dr. Mohammed A.M.Qarabesh** | 296 |
| • **Offline/Online Reading Strategies of Yemeni Engineering Professionals…..** | **Dr.Muneera Muftah** | 316 |

# قواعد النشر بالمجلة

**الآداب** مجلة علمية محكمة تعنى بنشر البحوث في مجال العلوم الإنسانية باللغة العربية والانجليزية والفرنسية، تصدرها كلية الآداب جامعة ذمار، وفقا للشروط التالية:

1- أن يتسم البحث الأصالة والمنهجية العلمية السليمة ولم يقدم للنشر في مكان آخر.

2- تخضع البحوث للتحكيم العلمي حسب الأصول العلمية المتبعة.

3- تكتب البحوث بلغة سليمة، وتراعى فيها قواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال – إن وجدت – ومطبوعا على (Word) بحجم (14) وبخط (Simplified Arabic) بالنسبة للأبحاث باللغة العربية وبخط (Times New Roman) للأبحاث باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وتكون العناوين الرئيسة بخط غامق وبحجم (16).

4- يتم طباعة البحث باستخدام مسافة(1,5سم) بين الأسطر وهوامش (2,5سم) من كل جانب .

5- يرسل البحث من نسختين Word و PDF على إيميل المجلة.

6- يرفق مع البحث ملخصان باللغتين العربية والانجليزية .

7- لا يتجاوز البحث (25) صفحة بما في ذلك الأشكال والجداول والملاحق.

8- توثق الهوامش في نهاية البحث على النحو التالي:

أ- **المخطوطات**: المؤلف، اسم المخطوط، مكان حفظه، رقمه، الورقة.

ب- **الكتب**: اسم المؤلف، اسم الكتاب، مكان وتاريخ النشر، الصفحة.

ج- **الدوريات**: اسم المؤلف عنوان المقال اسم المجلة رقم وتاريخ العدد، الصفحة.

د- **الرسائل الجامعية**: اسم صاحب الرسالة عنوانها، الكلية والجامعة،تاريخ اجازتها، الصفحة.

9- تتولى المجلة إبلاغ أصحاب الأبحاث المرسلة بوصولها وقبولها للنشر مبدئيا ثم بقرار المحكمين حول صلاحيتها للنشر، أو أجراء التعديلات، أو الرفض.

10- الأبحاث المجازة للنشر يبلغ أصحابها بالعدد الذي سيتم نشرها فيه.

11- أصول البحوث المرسلة للمجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

12- يتحمل الباحثين أجور التحكيم مبلغ (20000) ريال داخل اليمن و(150) دولار أمريكي أو ما يعادلها خارج اليمن، وتخفض لأعضاء هيئة التدريس في جامعة ذمارإلى النصف.

13- تورد المبالغ الى حساب المسؤول المالي للمجلة رقم ( 211084) بنك اليمن التجاري – ذمار الجمهورية اليمنية.

14- يتم تعبئة النموذج المعد لطلب النشر، ومرفقا به إشعار التوريد البنكي مع البحث المرسل، والمجلة لا تعيد المبلغ بعد التحكيم إذا تم رفض البحث من قبل المحكمين.

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة على ايميل المجلة التالي: (D.Aladab2017@gmail.com)
عنوان المجلة: كلية الآداب – جامعة ذمار، هاتف(06-509584) .
العنوان البريدي: ص.ب(87246) كلية الآداب – جامعة ذمار . ذمار، الجمهورية اليمنية.

**للتواصل مع :**

رئيس التحرير: أ.د. عبد الكريم مصلح البحله تلفون ( 777737636).
مدير التحرير: د. فؤاد عبد الغنى الشميرى تلفون ( 773213644).
سكرتير التحرير: د. عبد الله الجرفى (773626288).

# الافتتاحية

**أ.د . طالب طاهر النهاري**
رئيس الجامعة
المشـرف العـــام

تعد عملية التغيير والتجديد حتمية اجتماعية، إن لم تكن دينامية حياتية، وصيرورة كونية/ تاريخية، لا تستثني من نواميسها أي شيء . فكما هي ضرورة ومقدمة للتجدد، هي كذلك معطى وشرط الاستمرارية والتطور. بالتالي يصبح من المستحيل وغير معقول – على اي كان – التفكير في كبحها أو محاولة التحكم في مساراتها ومآلاتها المتجهة حتما نحو الاكتمال والنضوج.

وبلادنا الحبيبة تمر بواقع دراماتيكي غير محدد الملامح، جراء ما تشهده من عدوان خارجي، اذ تشكله وتتحكم في مساراته وبوصلته جملة من العوامل والظروف، وتتنازعه عدة اطراف بأجندة ودعاوى مختلفة ومتباينة.

ها نحن نعاود الإصدار من جديد متحدين تلك الظروف ومتجاوزين ذلك الواقع الأليم، وكلنا إيمان وعزيمة أن النصر في نهاية المطاف لا يكون الا للإرادة المتسلحة بنور العلم وحقيقة المعرفة، ومدركين بوعي بالغ نواميس التجديد وحتميات التغيير التي لا تقول بتهويمات الميتافيزيقيا غير الواعية،وجداليات الفراغ الأيديولوجي الأجوف .

وهذا العدد من مجلة الآداب في إصداراته المستأنفة يأتي حافلا بالعديد من الأبحاث العلمية المحكمة، ولعل من أهمها (الصناعة المعجمية العربية، أطوارها ومدارسها)،الذي يتناول بمنهجية علمية موضوعة وكيفيات صناعة المعجمية العربية مستعرضا أطوارها التاريخية ومعرجا على أهم مدارسها العلمية.

وكذلك الدراسة الآثرية عن (الحمام البخاري الكبير بمدينة ذمار القديمة،) الذي يعد معلما أثريا مميزاً لمدينة ذمار.

في حين نوقش موضوع (حظر تجارة السلاح بين القوى الاسلامية والفرنجة) في العصور الوسطى .

وكذلك المعالجة النفسية الموصوفة بـ :(التنبؤ بالرضا عن الحياة من خلال العوامل الخمسة ....لدى طلبة الجامعة ).

علاوة على ذلك تضمن العدد (التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الآيات المتماثلة في القران الكريم، الأفعال الماضية أنموذجا) .

وفي سياق تاريخي حفل موضوع :(نقش سبئي جديد من جبل كنن، مدينة نعض، دراسة في الدلالة اللغوية والتاريخية) بالكثير من المعلومات التاريخية الجديدة .

لتأتي الدراسة الأثرية القيمة : (أضواء على مسكوكات الملك المعز اسماعيل بن طغتكين 593-598هـ/ 1197-1202م) لتصحح بعض الادعاءات التاريخية ووثيقة في اعادة كتابة التاريخ .

كما يحوي العدد موضوع: (النظام الانتخابي وأثره على سلوك الأحزاب في المجتمع) حيث ناقش موضوع التطور الدستوري والسياسي للمجتمع اليمني.

وأخيرا اختتم العدد ببحث قيم عنوانه:(البناء العشوائي وعلاقته بالتخطيط الحضري في المدن)، فضلا عن دراستين باللغة الانجليزية.

على أية حال نأمل تحقيق قدر من المأمول على طريق خدمة العلم والمعرفة على أمل تحقيق المزيد في الاعداد القادمة.

والله من وراء القصد.

# كلمة رئيس التحرير

أ.د. عبد الكريم مصلح أحمد البحله

يأتي صدور العدد السادس من مجلة كلية الآداب بعد تأخره لمدة طويلة بسبب الأوضاع الصعبة القاسية التي يمر بها وطننا الحبيب وهي لاتخفى على أحد . وقد امتدت آثارها السلبية إلى كل مجالات الحياة .

ولكن بالعزيمة والاصرار على مواصلة الحياة الاكاديمية وتكاتف الجهود المخلصة من الزملاء أعضاء هيئة التحرير تم انجاز هذا العدد وبدأ استقبال الابحاث والدراسات العلمية للعدد السابع، فنحن جميعا مصممون على استمرارية مواصلة صدور المجلة لما في ذلك من خدمة للعلم أولاً والباحثين ثانياً ولاسيما الطموحون الذين يرغبون بديمومة استمرار انتاجهم العلمي والمعرفي في كل العلوم الانسانية للحصول على الترقيات العلمية . ومما زاد من حرصنا على ذلك ايضا هو توقف كثير من المجلات العلمية أو بطء صدورها داخل الجامعات اليمنية وكذلك صعوبة النشر خارج الوطن نظراً للأسباب المذكورة سابقاً .

وقد اشتمل هذا العدد على أحد عشر بحثا باللغة العربية تنوعت بين اللغة والآداب والتاريخ والجغرافيا والدين والاثار ، ما اشتمل على بحثين باللغة الانجليزية . وقد خضعت كل الأبحاث أبحاث للتحكيم العلمي الجاد من قبل الاكاديميين المتخصصين وفق المعايير العلمية المعمول بها في الابحاث الاكاديمية .

فلجميع المحكمين الذين حكموا أبحاث هذا العدد جزيل الشكر على تفاعلهم الجاد في التحكيم وعلى التزامهم بالوقت المحدد للتحكيم .

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الزملاء أعضاء هيئة التحرير والهيئة الاستشارية وكذلك سكرتارية المجلة على ما قاموا به من أعمال وما قدموا من جهود استثنائية لانجاز هذا العدد .

واخيراً أدعو جميع الباحثين في الجامعات اليمنية والجامعات العربية إلى تقديم ابحاثهم لنشرها في الاعداد القادمة علما أن النشر سيكون وفقاً لوصول البحوث .

والله من وراء القصد،،،،،

# الصناعة المعجمية العربية(أطوارها ومدارسها)

أ.د. عبد الكريم مصلح أحمد البحله•

**ملخص :**

يتناول هذا البحث الصناعة المعجمية العربية ومدارسها من خلال ثلاثة محاور أساسية، تناول المحور الأول المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظي المعجم والقاموس والفرق بينهما، إذ تتبع الباحث التطور الدلالي للجذر اللغوي (عجم)، حتى وصل إلى دلالته على هذا المصطلح (المعجم)، وذكر المعنى اللغوي للقاموس، وبَّين الدلالتين، وذكر الدلالة الأقرب إلى مفهوم هذا المصطلح.

وتطرق البحث أيضاً في هذا المحور إلى أنواع المعاجم العربية وأقسامها معرفاً كل نوع مبيناً أقسامه، وما أضافه اللغويون المحدثون من أنواع .

أما المحور الثاني فقد ركَّز على المراحل المختلفة التي مرت بها المعاجم العربية منذ بواكيرها الأولى على يد ابن عباس ت(68هـ) ونضجها على يد الخليل بن أحمد ت (170 هـ) مبيناً المُدد الزمنية التي خبت فيها الصناعة المعجمية وأسباب ذلك، والمُدد التي ازدهرت فيها وأسباب ذلك، وذلك حسب التسلسل الزمني حتى القرن الثالث عشر الهجري، إذ توقف عند معجم (تاج العروس) للزبيدي ت(1205هـ). وقد بيَّن

• أستاذ اللسانيات العربية، كلية الآداب، جامعة ذمار .

عميد كلية الآداب .

الباحث أهم مظاهر التطور التي اتسمت بها كل مرحلة، فضلاً عن إعطاء صورة موجزة عن كل معجم من المعاجم العربية المشهورة التي ظهرت في كل مرحلة .

أما المحور الثالث فقد تناول مدارس المعاجم العربية، إذ بَّين الباحث اختلاف الدارسين المحدثين في عدد تلك المدارس، وفي تسمية رواد بعض تلك المدارس، موضحاً سبب ذلك الاختلاف. مقدماً تقسيماً جديداً لمدارس المعاجم العربية – مقترحاً بعض المصطلحات التي اقتضاها ذلك التقسيم – فضلاً عن الإشارة إلى المبتكر الأول لكل طريقة أو منهج من المناهج التي اشتملت عليها تلك المدارس، و توضيح التطورات التي مرت بها تلك المناهج، والعلماء الذين كانت لهم بصمات واضحة في ذلك التطور. وكل ذلك قد جاء بعد مدخل بَّين اهتمام الأمم بالصناعة المعجمية.

**مدخل :**

كان من ضمن اهتمام الأمم القديمة، التي وصل إلينا تراثها الاهتمام بالدرس اللغوي، وقد أكدت الاكتشافات الأثرية والنقوش ذلك، فضلاً عما وصل إلينا من تلك المصنفات. و كانت الصناعة المعجمية من أهم موضوعات الدرس اللغوي عند تلك الأمم، لما للمعاجم من أهمية كبيرة في الحفاظ على الألفاظ وبيان طرق نطقها ودلالاتها وأساليبها المختلفة. وتذكر الكتب اللغوية أن الهنود أول من وضعوا معجماً لغوياً وكان على شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدسة، ثم تطور عملهم إذ شرحوا تلك الألفاظ وبينوها، وتوسع عملهم عندما أدخلوا الألفاظ غير المقدسة، وأقدم ما وصل منها معجم ظهر قبل القرن السادس الميلادي اسمه(امارستها) لمؤلفه(بوذى). وكذلك أهتم اليونانيون بلغتهم، فأنتجوا عدداً من المعاجم التي اهتمت بالألفاظ وبيان معانيها. وذكر (أتنيوس) خمسة وثلاثين مؤلفاً عدها معاجم، ولكن لا يوجد ما يؤكد ذلك؛ لأنها مفقودة. وأقدم المعاجم اليونانية معجم (يوليوس بولكس) ومعجم (هيلاديوس). وكان للصينيين أيضاً اهتمام بالصناعة المعجمية، فلديهم عدد من المعاجم التي حفظتها لهم العصور المتعاقبة، منها معجمان هما أساس معاجم الصين واليابان، أحدها اسمه (يوبيان) لمؤلفه (كويي وانج) والآخر اسمه (شوفان) لمؤلفه(هونشن)[1]

ولذلك يقول المستشرق فيشر :"إذا استثنينا الصين لا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته، وبشعوره المبكر بحاجته إلي تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب" [2]

ولا أظن (فيشر) منصفاً في هذا الحكم. فمهما كان التراث اللغوي الصيني الذي اطلع عليه كثيراً ومتنوعاً، فيستحيل أن يساوي التراث اللغوي العربي كثرة وتنوعاً وتنظيماً. فكيف يتفوق عليه؟فالتراث اللغوي العربي الذي بدأ بالظهور منذ القرن الأول الهجري قد تزايد تزايداً عظيماً في القرن الثاني، واستمر ذلك التزايد في القرون اللاحقة، حتى أنه ليصعب حصر ما بقي منه بين أيدينا، فما بالك بالمفقود منه على مر العصور. فكم ذكرت كتب التراجم من كتب لمن ترجمت لهم، لم يصلنا منها إلا القليل. ومازال الدارسون والباحثون ينقبون عنها، ويقدمون لنا كل يوم مصنفاً من تلك المصنفات التي مازالت مطمورة تحت غبار الزمن.

ويهدف هذا البحث إلي الوقوف على البواكير الأولى للصناعة المعجمية العربية، ثم تتبع مراحل تطوراتها المختلفة، وما اتصفت به كل مرحلة، وأهم المعاجم التي ظهرت في كل مرحلة. ثم الوقوف على مدارس المعاجم العربية، و المناهج والطرق التي اشتملت عليها كل مدرسة .

وكل ذلك بعد بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظي المعجم والقاموس، ومعرفة الفرق بينهما، ولذلك فإن هذا البحث سيتكون من ثلاثة محاور هي :

المحور الأول : المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظي المعجم والقاموس والفرق بينهما.

المحور الثاني : الصناعة المعجمية العربية، نشأتها وتطورها.

المحور الثالث : مدارس المعاجم العربية.

**أولاً : المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظي المعجم والقاموس، والفرق بينهما.**

**المعنى اللغوي المعجم :**

ذكر ابن فارس للعين والجيم والميم ثلاثة معان أصلية، أولها يدل على السكوت والصمت .وثانيها يدل على صلابة وشدة .وثالثها يدل على عض و مذاقة[3].وإذا تتبعنا المعاني المختلفة التي تذكرها المعاجم اللغوية لهذا اللفظ فإنا نجدها تذكر أنه يدل على الصخور الصلبة القوية جاء في لسان العرب : "والعجمات صخور تنبت في الأودية قال أبو داود :

عذبٌ كماء المزن أنـ ـزله من العجمات بارد

يصف ريق جارية بالعذوبة. و العجمات : الصخور الصلاب، و عَجْمُ الذنب وعُجُمه جميعاً : عَجبه، وهو أصله، وهو العُصعُص، وزعم اللحياني أن ميمها بدل من الباء في عَجب وعُجب"[4] ومعروف أن عُجب الذنب هو أقوى عظمة في الإنسان وأصلبها...

ولذلك أرى أن المعنى الإصلي الأول لهذا اللفظ هو الصخور الصلاب، وأن المعاني التي ذكرها ابن فارس وما قد يتفرع منها هي معان متطورة من هذا المعنى. فالصخور القوية تدل على الصلابة والشدة، وعلى الصمت والسكوت، لأنها جامدة، هذا اللفظ قد استُعمل للدلالة على العضّ ونحوه على سبيل المجاز المرسل بعلاقة المسببية، إذ أطلق المسبب وهو أظهار صلابة الشيء وشدته (العجم) وأريد به السبب وهو العضُّ ونحوه. قال الحجاج في إحدى "خطبه : (إن أمير المؤمنين كب كنانته، ثم عجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلبها عموداً فوجهني إليكم ..."[5] ولاشك أن العضَّ ونحوه للشيء الصلب القوي، قد يؤدي إلي إفساد قوته وتفتت صلابته، ففي حديث أم سلمة أنها قالت : "نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نَعجُم النوى طبخاً[6] وهو أن نبالغ في طبخه ونضجه حتي يتفتت النوى، وتفسد قوته التي يصلح معها للغنم وقد استعملت بعض مشتقات هذا اللفظ للدلالة على الأشياء القوية الصلبة. (فالعجوم) كما تذكر المعاجم الناقة القوية الشديدة. و(العواجم) الأسنان[7] وهي قوية. وكل ذلك على سبيل الاستعارة، لما بين المستعار والمستعار له من علاقة المشابهة في القوة والشدة. وكذلك استعمل هذا اللفظ للدلالة على الحيوان عامة على سبيل الاستعارة أيضاً، لما بين الاستعمالين من علاقة المشابهة المتمثلة بعدم إظهار ما بداخلهما والإبانة عنه، ثم

توسع هذا الاستعمال للدلالة على الإنسان الذي لا يبين ما بداخله، ولايفصح عنه على سبيل الاستعارة أيضاً بعلاقة المشابهة، قال ابن جني: "ألا ترى أن تصريف (عجم) أين وقعت في كلامهم، إنما هو للإبهام وضد البيان. من ذلك العَجَم لأنهم لا يفصحون، وعجم الزبيب ونحوه لاستتاره في ذي العجم، ومنه عجمة الرمل لما استبهم منه على سالكيه، فلم يتوجه لهم، ومنه عجمت العود ونحوه إذا عضضته، لك فيه وجهان إن شئت قلت إنما ذلك لإدخالك إياه في فيك، وإخفائك له، وإن شئت قلت : إنما ذلك لأنك لما عضضته ضغطت بعض ظاهر أجزائه فغارت في العجوم فخفيت. ومن ذلك استعجمت الدار إذا لم تجب سائلها قال:

صم صداها وعنا رسمها واستعجمت عن منطق السائل

ومنه جرح العجماء جُبَار، لأن البهيمة لا تفصح عما في نفسها ...وهذا كله على ما تراه من الاستبهام وضد البيان، ثم إنهم قالوا : أعجمت الكتاب إذا بينته و أوضحته، فهو إذاً لسلب معنى الاستبهام لاإثباته"[8]. وهذا يؤكد أن هذا اللفظ قد أطلق على الحروف الهجائية المتشابهة قبل نقطها، لعدم اتضاح حقيقة كل حرف وماهيته. وبعد نقطها زيدت الهمزة على هذا اللفظ للدلالة على السلب، إذ يقال أعجمت الحرف أي أزلت عجمته فهو معجم .

وقد نقل ابن منظور آراء بعض العلماء في سبب تسمية الحروف الهجائية بحروف المعجم، إذ قال "وسئل أبو العباس عن حروف المعجم لما سميت معجماً ؟فقال : أمَّا أبو عمرو الشيباني فيقول أعجمت: أبهمت، وقال: والعجمي مُبهم الكلام لا يتبيَّن كلامه. قال : وأما الفراء فيقول هو من أعجمت الحروف، قال: ويقال قُفل معجم وأمر معجم إذا اعتاص ...وقال الليث : المعجم الحروف المقطعة سميت معجماً لأنها أعجمية، قال : وإذا قلت كتاب مُعجَّم فإن تعجيمه تنقيطه لكي تستبين عُجمته ... قال ابن الأثير: حروف المعجم حروف ا ب ت ث سميت بذلك من التعجيم وهو إزالة العجمة بالنقط"[9]

ثم أطلق هذا اللفظ على الكتاب الذي يشرح الألفاظ، ويوضح معانيها، ويزيل الغموض والإبهام عنها، على سبيل الاستعارة بعلاقة المتشابهة، أو على سبيل المجاز بعلاقة الحاليّة إذ أطلق الحالّ و أريد به المحل .

ويمكن أن يوضح التطور الدلالي لهذا اللفظ من خلال المخطط الآتي:-

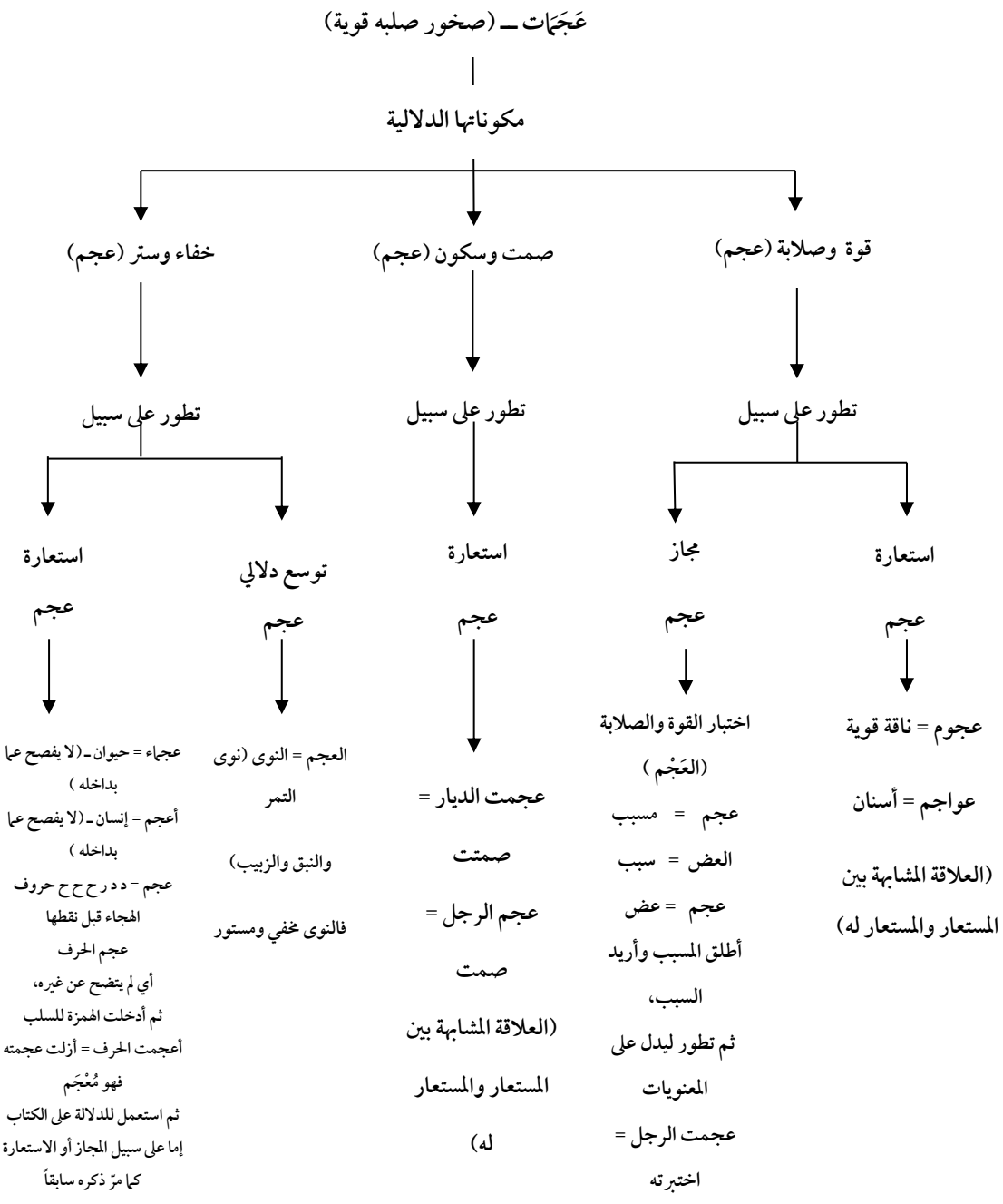

**المعنى اللغوي لكلمة (القاموس) :**

ذكر ابن فارس أن القاف و الميم والسين "أصل صحيح يدل على غمس شيء في الماء، والماء نفسه يسمى بذلك. من ذلك قمست الشيء في الماء : غمسته، ويقال إن قاموس البحر: معظمه"[10].

ويبدو أن ابن منظور كان أدق في توضيح معني القمس إذ بيَّن أن القمس، هو عملية انغماس الشيء في الماء ثم ظهوره، إذ قال "قمس، في الماء يقمسُ قُموساً : انغطَّ ثم ارتفع..."[11]

ولذلك سُمّي الغواص قامساً[12] .قال أبو ذؤيب [13]

كأن ابنة السهمي درة قامس لها بعد تقطيع النبوح وهيج.

وقيل إن القاموس : قعر البحر. وقيل وسطه، وقيل معظمه.

وقد استُعمل لفظ (القاموس) مرادفاً للفظ (المعجم). ويذكر اللغويون أن أول من استعمل كلمة القاموس هو الفيروز آبادي ت (817 هـ) حين أطلق على معجمه (القاموس المحيط)، وأراد به البحر المحيط. ولكن الفيروز آبادي لم يرد استبدال كلمة القاموس بكلمة المعجم، وإنما أطلق كلمة القاموس علماً على كتابه تشبيهاً له بالبحر الواسع العظيم، ولذلك يمكن تسميته بالمعجم فيقال معجم القاموس المحيط. وقد علل الدكتور حسين نصار حصول هذا الترادف بين اللفظين بالشهرة التي حازها القاموس المحيط بين الناس، فانتقل الاسم من العلمية الخاصة، إلي العلمية العامة[14].

علماً أن كل المعاجم اللغوية العربية لم يطلق عليها مؤلفاها كلمة معجم، بدءاً من الخليل الذي سمى كتابه (كتاب العين) وانتهاءً بالزبيدي الذي سمى كتابه ب(تاج العروس ...) وإنما الناس هم الذين سموا هذه الكتب بالمعاجم، إما لأنها رتبت الكلمات بناء على حروف المعجم، أو لأنها أعجمت – أي أزالت الغموض والإبهام الذي اكتنف الألفاظ.

ولذلك أجمع اللغويون على أن أول من أطلق هذا اللفظ على الكتب هم علماء الحديث فأول الكتب التي عرفت بهذا الاسم هو (معجم الصحابة) لأبي يعلى الموصلي ت (307هـ)، ثم (المعجم الصغير والمعجم الكبير ) لأبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي ت (317 هـ)[15]

## تعريف المعجم اصطلاحاً :

يعرف المعجم اصطلاحاً بأنه الكتاب الذي يشمل أكبر عدد من مفردات اللغة، يقوم بشرحها وتوضيح معانيها وكيفية نطقها، واشتقاقاتها، مبيناً ذلك بالشواهد المختلفة، وتكون تلك المفردات مرتبة ترتيباً خاصاً[16].

وأرى أن كلمة (المعجم)أكثر دلالة على هذا المفهوم، لما في هذه الكلمة – كما رأينا سابقاً – من دلالة على التوضيح والبيان وإزالة الغموض والإبهام. أما كلمة (القاموس) فتدل على السعة والعمق، ويمكن أن يوصف بها أي كتاب كما يوصف بها العلم عامة. كما قال عبد الرحمن الحنبلي ت (795هـ)عند ترجمته لابن الخشاب : "وكان سامحه الله قليل المبالاة بحفظ قاموس العلم والمشيخة"[17].

## أنواع المعاجم اللغوية :

**تنقسم المعاجم العربية إلي نوعين أساسين هما:**

1. **معاجم الموضوعات:** وهي المعاجم التي اهتمت بالموضوعات والمعاني، ويعد كتاب (الغريب المصنف) لأبي عبيد ت (224هـ) رائد هذه المعاجم، فقد احتوى على أكثر من سبعة عشر ألف مادة لغوية مفسرة، توزعت على أكثر من ثلاثين باباً، تناول كل باب موضوعاً محدداً مثل (خلق الإنسان، النساء، اللباس، الطعام ...) ثم تتابعت المعاجم الموضوعية بعد ذلك، مثل (كتاب الألفاظ) لابن السكيت ت(244هـ) و(جواهر الألفاظ) لقدامة بن جعفر ت(337هـ) و(متخيرَّ الألفاظ) لابن فارس ت(395هـ) و(الألفاظ الكتابية) لبعد الرحمن الهمداني ت(327 هـ) و(فقه اللغة) للثعالبي ت (429هـ)، ويعد كتاب المخصص لابن سيده أكبر هذه المعاجم وأوسعها.[18]

2. **معاجم الألفاظ** : وهي المعاجم التي اهتمت بالألفاظ العربية ومعانيها، ورتبت المواد اللغوية ترتيباً صوتياً أو هجائياً، سواء بحسب الحرف الأول أو الأخير. وتنقسم هذه المعاجم على قسمين هما:

- معاجم عامة: وهي التي اهتمت بكل الألفاظ العربية العامة المشتركة، بما في ذلك الألفاظ التخصصية الشائعة.

- معاجم خاصة: وهي المعاجم التي اهتمت بنوع خاصّ من الألفاظ، أو بظاهرة من ظواهر الألفاظ كالاشتقاق، والترادف، و التضاد والمشترك، والمعربّ والدخيل، واللحن، والمصطلحات .. الخ وتزخر المكتبة العربية بكل هذه الأنواع من المعاجم. ويذكر اللغويون المحدثون أنواعاً أخرى من المعاجم التي ظهرت في العصر الحديث، مراعية إما أعمار مستخدميها فهناك معاجم للأطفال، و معاجم للصغار، ومعاجم للمراحل الدراسية، و معاجم للكبار، أو جنسية المستخدم، فهنالك معاجم لابن اللغة، ومعاجم للأجانب، أو حجم المعجم فهنالك معاجم كبيرة، ومعاجم متوسطة، ومعاجم صغيرة، أو عدد اللغات، فهنالك معاجم أحادية اللغة ومعاجم ثنائية، ومعاجم متعددة اللغات. أو شكل المعجم فهنالك معاجم ورقية، ومعاجم الكترونية [19]

وسينصب الحديث في المحورين الآتيين على المعاجم العربية، التي اهتمت بالألفاظ، ولاسيما المعاجم العامة، لمعرفة المراحل التي مرت بها، والمدارس التي اتبعتها في ترتيب المواد اللغوية.

## ثانياً: الصناعة المعجمية العربية، نشأتها وتطورها

لم تهتم أمة من الأمم في العصور الماضية بلغتها كما اهتمت الأمة العربية، التي بدأ علماؤها منذ القرن الهجري الأول يولون اللغة اهتماماً كبيراً، لما أصبح لها من القداسة الإلهية، إذ أصبحت لغة آخر الكتب السماوية المنزلة إلي الأرض، وقد تزايد العلماء المهتمون بالدراسات اللغوية العربية في القرن الثاني الهجري وأخذوا يجوبون الصحراء العربية شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، لجمع اللغة الفصيحة من الأعراب الذين سلمت لسانهم من اللحن الذي بدأ يتفشي في لسان عرب الحواضر، لاختلاطهم بغير العرب.

وظل هذا التزايد مستمراً في القرون اللاحقة، حتى أن كثيراً من العلماء، قد أوقفوا حياتهم لخدمة اللغة العربية، فتركوا لنا إرثاً ضخماً، تضمنته كتبهم ورسائلهم، التي وصلت إلينا، وقد شمل ذلك الإرث كل علوم اللغة المختلفة، ولا أكون مغالياً إذا قلت جازماً إن كثيراً من النظريات اللغوية التي توصلت لها الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، قد توصل إليها علماؤنا القدماء. فهي مبثوثة في كتبهم ورسائلهم التي بين أيدينا – ولا يتسع المجال في هذا البحث لذكرها – التي ألفوها بإخلاص وإتقان منقطعي النظير، لأن

الدوافع التي جعلتهم يسخرون حياتهم لخدمة اللغة من أجلّ الدوافع وأسماها وأهمها : الدافع الديني، والدافع القومي.

ويتضح من خلال التراث اللغوي الذي بين أيدينا، أن اهتمام العلماء الأول، قد انصب فيما يمكن أن نسميه بالبدايات الأولى للعمل المعجمي، وليس بعلم النحو كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين واللغويين[20]. فالأسئلة التي أثيرت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كانت عن معاني بعض الكلمات[21]، وليس عن مواقعها الإعرابية. وأوفق من ذهب إلى أن بواكير العمل المعجمي يتمثل في إجابات عبد الله بن عباس ت (68هـ) على أسئلة نافع بن الأزرق[22]، لأنه قام بتفسير الكلمات التي سئل عنها تفسيراً لغوياً دقيقاً، مستشهداً على ذلك بماء جاء منها في كلام العرب[23].فضلاً عما نسب إليه من كتاب يسمى بـ(غريب القرآن)[24] وما عزي إليه من تفسير الكثير من الكلمات والآيات القرآنية، وقد جمعها الفيروز آبادي في كتاب بعنوان (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس)[25] .

وإذا كانت هذه الأعمال تعد من صميم العمل المعجمي، لأنها تعنى بشرح معاني الكلمات، ودعم تلك المعاني بالشواهد التي توضحها، فأنها تعد بدايات أولية للعمل المعجمي، ولا تعد عملاً معجمياً، لأن مفهوم المعجم لا ينطبق عليها، إذ يشترط اللغويون في المعجم أن يضم أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة، مقرونة بشرحها وبيان معانيها المختلفة، وإيضاح تلك المعاني بالشواهد.وأن ترتب ترتيباً خاصاً.[26]

ولذلك يعد كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي تـ(175هـ) أول معجم عربي لانطباق الشروط السابقة عليه، ولا خلاف بين اللغويين القدماء والمحدثين في ذلك [27] .

وعمل الخليل هذا يظهر أهمية المعجم اللغوي، فقد أثره وقدمه على كل علوم اللغة الأخرى، التي أتقنها، وكان رائد عصره فيها كعلم النحو، الذي لا يجدي ولا يفيد إذا ضاعت المفردات، أو جُهلت معانيها، أو امّحت أوزانها، لذلك قدم الأهم تاركاً لتلامذته، الذين ملؤوا كتبهم النحوية والصرفية بأقواله وآرائه وتعليلاته، وعلى رأسهم سيبويه.

وقد تمكن الخليل بعقله الرياضي الفذ من حصر مفردات اللغة العربية، التي يمكن أن تحصل من التسعة والعشرين حرفاً التي هي أصوات العربية الأساسية. وذلك عن طريق نظام التقليبات، الذي ابتكره

لهذا الهدف. وقد بدأ كتابه بدراسة غير مسبوقة للأصوات العربية، بيَّن مخارجها، وصفاتها، وقوانين ائتلافها[28]، إدراكاً منه لأهميتها، كونها اللبنات الأولى للألفاظ أولاً – وهذا ما تؤكد عليه اللسانيات الحديثة – ولتكون معياراً يميز الكلمات العربية عن سواها (المعربّة) ثانياً، ومدخلاً لعمله المعجمي الذي سيرتب مواده وفقاً لمخارجها ثالثاً، فقد رتب الخليل الحروف العربية بناءً على مخارجها، وقسم كتابه إلى كتب،يختص كل كتاب منها بحرف ورتب تلك الكتب على وفق ترتيبه للحروف، وقسم كل كتاب إلى ستة فصول، تبعاً لأبنية الكلمات.[29]

ومن الملاحظ أن العمل المعجمي، قد توقف بعد كتاب العين ما يقارب مئة وخمسين عاماً، حتى ظهر معجم (جمهرة اللغة) لابن دريد الأزدي تـ(321هـ).وهذا لا يعنى أن علماء العربية في نهاية القرن الثاني، وفي نهاية القرن الثالث الهجريين، قد أهملوا الاهتمام بجمع كلمات العربية وشرحها وتوضيحها، فالأمر عكس ذلك، فقد ظهرت في هذه المدة كتبٌ قيمة أصبحت فيما بعد مصدراً مهماً من مصادر المعجمات التي ظهرت في القرن الرابع الهجري وما بعده.[30] وأهمها كتب النوادر مثل نوادر أبي زيد الأنصاري تـ(215هـ).ونوادر أبي مسحل الأعربي تـ(أوائل القرن الثالث الهجري).وقد عد الدكتور حسين نصار كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني تـ (206هـ)من كتب النوادر لعدم اختلافه عنها في المضمون[31] .بيد أن بعض اللغويين المحدثين يعدونه معجماً لالتزامه بالترتيب الهجائي.[32]

ومن تلك الكتب ما عرف باسم كتب الأضداد وأهمها الأضداد لابن السكيت تـ(244هـ)فضلاً عن كتبه الأخرى التي اهتمت بجمع الألفاظ وشرحها وإصلاحها. وأيضاً كتب عن معاني القرآن الكريم، وكتب الغريب التي كان من أهمها الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام تـ(224هـ)[33]. ومن الكتب المهمة في هذه المرحلة أيضاً كتاب التقفية للبند نيجي تـ (284هـ)الذي يعد أول من اعتمد على الحرف الأخير من الكلمة عند ترتيب الكلمات في المعاجم.[34] وكذلك كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية، لأبي حاتم الرازي تـ (322هـ)، وقلما يشار إلى هذا الكتاب من المهتمين بالمعاجم العربية، على الرغم من أنه يشكل ظاهرة ينبغي الوقوف عليها، فقد اهتم مؤلفه بالتطور الدلالي للألفاظ العربية، بعد ذكره لمعانيها

الأصلية، ودعم أقواله بالشواهد، وإيضاح تلك المعاني من خلال إيراد السياقات المختلفة التي تبين المعاني المختلفة لكل لفظ[35] حتى أن بعض الدارسين عده من الكتب اللغوية التأصلية الخاصة[36] .

ومجمل القول إن كل الكتب اللغوية، التي ألفت في هذه المرحلة، قد شكلت ثروة لغوية عظيمة، وأصبحت في متناول مؤلفي المعاجم في القرن الرابع الهجري، وما بعده. فكم كان حرياً بهم إن يخرجوا لنا معاجم مبتكرة منهجاً ومضموناً،تتناول الألفاظ ومعانيها بصورة منطقية، ترصد المعاني الأصلية لها، ثم تتبع معانيها المتطورة مبينة نوع ذلك التطور وزمانه، وتدعم كل ذلك بالشواهد والأمثلة المختلفة، وتتبع طريقة سهلة في ترتيب المواد اللغوية، ليسهل الرجوع إليها.

وهذا لا يعني أن التأليف المعجمي لم يتطور في القرن الرابع الهجري وما تلاه من قرون.فالتطور موجودٌ، ولكنه تطور محدود جداً، لا يوازي ما توفّر لعلماء هذه القرون من جهود الضرب في الصحراء لجمع اللغة وتدوينها، ثم إن كثيراً من ذلك التطور كان شكلياً إذا استثنينا محاولة ابن فارس لتطوير المضمون في معجمه مقاييس اللغة[37].

فأول المعاجم التي ظهرت بعد هذه المدة(جمهرة اللغة) لابن دريد تـ(321هـ)، وقد سماه بهذا الاسم لأنه سجل فيه الجمهور من كلام العرب، وأغفل الوحشي والمستنكر[38].

والتجديد الوحيد البارز في هذا المعجم، هو ترتيب الكلمات وفق النظام الألفبائي ـ لعله تأثر في ذلك بكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ـ لكنه التزام بنظام التقاليب الذي ابتكره الخليل، وطوع هذا النظام ليكون على الطريقة الألفبائية، لا على المخارج كما هو الحال عند الخليل[39] ثم جاء بعد هذين المعجمين معجم آخر خرج عن طريقة التقليبات الخليلية في ترتيب المواد اللغوية، وهو (ديوان الأدب)للفارابي تـ(350هـ)، فقد جاء بمنهج متميز وأسلوب مغاير لما ألفه غيره من المعجمين، فقد قسم كتابه إلى ستة كتب هي:

1. كتاب السالم.
2. كتاب المضاعف.
3. كتاب المثال.
4. كتاب ذو الثلاثة.
5. كتاب ذوات الأربعة.
6. كتاب الهمزة.

ثم قسم كل كتاب من هذه الكتب على قسمين الأول للأسماء، والثاني للأفعال. وقد التزم بالترتيب الألفبائي للمواد في كل قسم جاعلاً الحرف الأخير من المادة اللغوية باباً، والحرف الأول فصلاً، وحرف الوسط جعله أساساً لترتيب مواد الفصل وهذه الطريقة في ترتيب المواد اتبعها ابن أخته (الجوهري) في كتابه تاج اللغة وصحاح العربية[40].

ثم عاد التأثر مرة أخرى بمنهج الخليل وقد ظهر ذلك في معجم (البارع) لأبي على القالي تـ(356هـ)حتى أن محقق هذا الكتاب قال عنه(إن البارع ما هو إلا كتاب العين)[41].وكذلك (تهذيب اللغة)للأزهري تـ(370هـ)فهو لا يختلف عن العين إلا في بعض الأشياء القليلة المتعلقة بالأبنية، فضلاً عن النقل عن علماء اللغة والتوسع في الروايات[42].وأتى بعد ذلك معجم (المحيط في اللغة) للصاحب بن عباد تـ(385هـ)وقد اتبع فيه نهج الخليل في التقليبات، ونهج الأزهري في تقسيم الأبواب[43].

ويمكن القول إن ابن فارس هو أول من جدد في التأليف المعجمي شكلاً ومضموناً في معجمه مقاييس اللغة، إذ صرح في معجمه انه يسعى إلى إبانة المعنى الأصلي، أو المعاني الأصلية للكلمة، ثم ما يتفرع عن ذلك من معان أخرى،يمكن تسميتها بالمعاني المجازية[44]، هذا من ناحية المضمون. أما من ناحية الشكل فقد اتبع نهجاً جديداً في ترتيب المفردات داخل المعجم[45]يمكن تسميته بالنظام الألفبائي التسلسلي الدائري. ومهما تكن المآخذ التي أخذت على هذا المعجم إلا إنه بحق يعد ـ من وجهة نظر الباحث أفضل المعاجم العربية، لاهتمامه بالمعاني الأصلية للكلمات وتطوراتها الدلالية.أما كتابه الثاني(مجمل اللغة) فقد اهتم فيه بالواضح والصحيح من كلام العرب، وأهمل الوحشي والمستنكر[46] .

ويأتي معجم (تاج اللغة وصحاح العربية)للجوهري تـ(398هـ)آخر المعجمات التي ألفت في القرن الرابع الهجري، وقد ذاع صيته، وأصبح مرجعاً مهماً من مراجع العربية، ويعزى ذلك إلى اهتمامه بالفصيح من كلام العرب، واهتمامه بضبط الألفاظ ضبطاً محكماً، فضلاً عن سهولة استخراج الكلمات منه، نظراً لاعتماده على الترتيب الهجائي الألفبائي القافوي. وقد حظي هذا المعجم بعدد من الدراسات، والاختصارات والشروح، والاستدراكات وعده كثير من الباحثين من أهم المعاجم العربية[47] .

ويبدو أن التأليف المعجمي قد قل منذ القرن الخامس الهجري، فإذا كان القرن الرابع الهجري وحده قد أخرج لنا سبعة معاجم مشهورة، فلم تؤلَّف في تسعة القرون التي تلته سوى ثمانية معاجم اشتهرت منها ستة فقط.

ففي القرن الخامس ألف ابن سيده تـ(458هـ)معجمين هما(المحكم والمحيط الأعظم) و(المخصص).والأول اتبع فيه مؤلفه نهج الخليل في التقليبات، ولكنه اختلف عنه في المادة العلمية، إذ اهتم بالقضايا النحوية، والصرفية مشيراً إلى ما شاع فيها من أخطاء، وكذلك اهتم بالقراءات القرآنية، مع جنوحه إلى الإيجاز والاختصار والابتعاد عن التكرار[48].أما المخصص فيعد من معاجم الموضوعات، وهو من أضخم هذا النوع من المعاجم، فقد رتبه ترتيباً موضوعياً، فجعل كل موضوع في كتاب، وقد جاء الكتاب الأول (خلق الإنسان) ثم جاء (كتاب الغرائز) و(كتاب النساء)...وهكذا .وقد جعل آخر الكتب فيه لأبواب مختلفة[49].

وفي القرن السادس الهجري ألف الزمخشري تـ(538هـ)معجمه أساس البلاغة، وقد امتاز هذا المعجم بذكر المعاني المجازية للألفاظ ـ نصاً ـ بعد ذكر معانيها الحقيقية، فضلاً عن سهولة ترتيب المواد اللغوية فيه[50].

وفي القرن السابع الهجري ألف الصغاني تـ(650هـ)معجمين هما(العباب)و(مجمع البحرين) الذي جمع فيه مؤلفه بين ما استدركه على الصحاح للجوهري في كتبه (التكملة،والذيل، والصلة)وبين الصحاح للجوهري.وهدف من ذلك إلى الجمع اللغوي، والعناية بالشواهد. وقد تحقق له الجمع من خلال ما أفاده من المعاجم والرسائل التي ألفت قبله،وأما الشواهد فأفاده ما اطلع عليه من الدواوين والمجاميع الشعرية.وأما (العباب)فقد ألفه كما قيل في آخر حياته، ووافته المنية قبل أن يتمه[51] .

وفي القرن الثامن الهجري ظهر معجم (لسان العرب)لابن منظور تـ(711هـ)، الذي أفاد من كثير من المعجمات والكتب التي ألفت قبله، فجاء معجمه موسوعة لغوية،لإيراده كثيراً من لغات القبائل، والنوادر والأمثال، والتوسع في إيراد المعاني المختلفة للمادة الواحدة،وإيراد الكثير من الشواهد،واعتنى بضبط الألفاظ، كل ذلك جعله ينال شهرة واسعة[52] .

وفي القرن التاسع الهجري ظهر (القاموس المحيط)للفيروز آبادي تـ(817هـ)، وقد نال شهرة واسعة نظراً لاستقصائه للمفردات التي وصلت إلى ستين ألف مادة، فضلاً عن اهتمامه بالضبط للمفردات ومشتقاتها، باللفظ والوزن[53]. وإذا كانت القرون (العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر)الهجرية، قد خلت من المعاجم اللغوية، فإن القرن الثالث عشر الهجري قد أهل بمعجم ضخم، وصلت مواده اللغوية إلى مئة وعشرين ألف مادة لغوية، وهو معجم (تاج العروس) للزبيدي تـ(1205هـ)فقد استدرك جملة كبيرة من المفردات والصيغ والأبنية التي أهملها الجوهري في الصحاح، والفيروز آبادي في القاموس المحيط. وقد استفاد من المعجمات والكتب والرسائل اللغوية التي ألفت قبله[54].

هذه هي أشهر المعاجم القديمة المعروفة، التي كانت أساساً ومصدراً مهماً من مصادر المعاجم الحديثة، وينبغي أن تظل كذلك لأي معجم يؤلف مستقبلاً، من حيث تأصيل المواد اللغوية وشروحها، لا من حيث المنهج والشكل.

## ثالثاً: مدارس المعاجم العربية:

اختلف اللغويون المهتمون بدراسة المعاجم العربية في تحديد عدد المدارس المعجمية، وتباينت آراؤهم في تسمية رواد بعض المدارس.فقد جعلها عبد الله العلايلي ثلاث مدارس هي :

1. مدرسة الخليل في العين.
2. مدرسة ابن فارس في معجمه(مقاييس اللغة).
3. مدرسة الجوهري في (الصحاح)[55].

وذهب أحمد عبد الغفور عطار إلى حصر المعاجم العربية في مدرستين،هما:

1. مدرسة المعاني.
2. مدرسة الألفاظ.

وقسم مدرسة الألفاظ على ثلاث مدارس هي :

1. مدرسة الخليل في العين.
2. مدرسة الجوهري في الصحاح.

3. مدرسة البرمكي تـ(397هـ)في ترتيب الصحاح،حيث رتب البرمكي مواد الصحاح ترتيباً هجائياً مبتدئاً بالهمزة، ومنتهياً بالياء، مع مراعاة الحرف الثاني والثالث والرابع في كل مادة[56].

أما الدكتور حسين نصار فقد قسمها على أربع مدارس هي:

1. مدرسة العين للخليل.
2. مدرسة الجمهرة لابن دريد.
3. مدرسة الصحاح للجوهري.
4. مدرسة أساس البلاغة للزمخشري[57].

وقسمتها الباحثة نوريه العاني إلى أربع مدارس هي:

1. مدرسة التقليبات الصوتية وعلى رأسها الخليل في العين.
2. مدرسة التقليبات الهجائية وعلى رأسها ابن دريد في جمهرة اللغة.
3. مدرسة القافية (الباب والفصل) وعزتها للجوهري في الصحاح.
4. مدرسة الأبجدية العادية،وعلى رأسها الزمخشري في أساس البلاغة[58].

وقد انتقد أحد الباحثين تسمية الباحثة للمدرسة الرابعة بالأبجدية العادية، لأنه ـ كما يقول ـ لا توجد أبجدية عادية وأخرى غير عادية، ولأن هذه المدرسة اتبعت الترتيب الهجائي (أ ب ت ث ...)[59].وكان الأجدر بهذا الباحث أن يصحح اسم هذه المدرسة بالألفبائي المتسلسل.

أما الدكتور حاتم الضامن فقد جعلها خمس مدارس هي :

1. مدرسة العين للخليل.
2. مدرسة الجمهرة لابن دريد.
3. مدرسة الصحاح للجوهري.
4. مدرسة أساس البلاغة للزمخشري[60].
5. مدرسة المقاييس لابن فارس.

أما الشيخ محمد حسين آل ياسين، فقد أوصلها إلى ست مدارس هي:

1. مدرسة الخليل في العين.
2. مدرسة أبي عمرو الشيباني في الجيم.
3. مدرسة ابن دريد في الجمهرة.
4. مدرسة ابن فارس في المقاييس.
5. مدرسة الجوهري في الصحاح.
6. مدرسة الزمخشري في أساس البلاغة[61].

أما الدكتور عبد الكريم مدلج فقد استحسن تقسيم الدكتورين سامي مكي العني وعبد الوهاب العدواني اللذين جعلا مدارس المعجمات العربية ثلاثاً هي:

1. مدرسة تقليب الحروف، ورائدها الخليل في العين.
2. مدرسة الحرفين الأول و الأخير، ورائدها الجوهري في الصحاح.
3. مدرسة الحرفين الأول والثاني، ورائدها الزمخشري في أساس البلاغة[62].

إذ قال بعد أن ذكر هذا التقسيم((ونلحظ في هذا التقسيم الدقة والموضوعية فإليه نميل، وبه نأخذ))[63].

وفي موطن لاحق من البحث نسب هذا التقسيم إليه إذ قال "بعد أن بينا آراء الباحثين وتقسيماتهم لمدارس المعجم، نود أن نوضح رأينا في عدد هذه المدارس، ومناهجها، والأصول التي اتبعتها في ترتيب موادها، ويبدو لنا أن مدارس المعجم ثلاث"[64]. وبدأ بعد ذلك بشرح التقسيم السابق وكان عليه أن يقول :نود نوضح الرأي الأصح، أو الرأي الذي ارتضيناه.

فضلاً عن أن هذا التقسيم ليس دقيقاً، و لا موضوعياً.

والحقيقة أن هذا الاختلاف الحاصل في عدد مدارس المعاجم العربية، ناتج عن نوع التقسيم الذي اتبعه كل باحث في تقسيمه.فمن جعلها ثلاث مدارس قسمها تقسيماً عاماً، ومن زاد على ذلك فقد حاول التفصيل، وكلما كانت الزيادة أكثر كان التفصيل أكثر.

وأرى أن المعاجم العربية قد تقاسمتها مدرستان عامتان هما :

1. مدرسة التقليبات.
2. مدرسة الحروف الهجائية.

ثم ظهرت مناهج مختلفة لكل مدرسة، وذلك على النحو الآتي:

## أولاً: مدرسة التقليبات، وقد اشتملت على منهجين، هما:

### 1. التقليبات الصوتية المخرجية:

التي ابتكرها الخليل، في أول المعاجم العربية ظهوراً (العين)، وقد اعتمد الخليل في ترتيب الكلمات في كتابه على الأسس الآتية:

- المخرج، إذ إنه رتب الحروف بناء على مخارجها على النحو الآتي(ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ا و ي )[65].
- الأبنية التي جعلها أبواباً لكل كتاب، إذ انه قسم كل كتاب إلى ستة أبواب، بناء على تلك الأبنية
- التقاليب التي جعلها فصولاً للأبواب السابقة، ويقصد تغيير مواقع الحروف الأصلية للكلمة، فينتج من الثلاثي المضاعف تقليبان مثل،(عق) و(قع) ومن الثلاثي الصحيح ست هيئات مثل،(علب، عبل، لعب، لبع، بلع، بعل) ومن الرباعي أربع وعشرون هيئة .ومن الخماسي مئة وعشرون هيئة. وقد شرح الخليل المستعمل من هذه التقاليب، وأشار إلى المهمل في بابي الثنائي والثلاثي، ولم يشر له في بابي الرباعي والخماسي، لكثرته[66].

أما استخراج كلمة من العين فيتم عن طريق ترتيب حروفها بناء على مخارجها عند الخليل، مثلاً كلمة (صنع) تكون (عصن) وفي تقليباتها الستة نجد مادة (صنع) و لا تتكرر هذه المادة في كتاب الصاد، أو

النون. وأهم المعاجم التي اتبعت منهج العين هي: البارع، لأبي على القالي، وتهذيب اللغة، للأزهري والمحيط، للصاحب بن عباد، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده[67].

**2. التقليبات الصوتية الألفبائية :**

ورائد هذه المدرسة ابن دريد في معجمه جمهرة اللغة، فقد عمل على تيسير الصعوبة التي اتسمت بها منهجية العين، فعدل عن ترتيب الحروف بناء على مخارجها، إلى الترتيب الألفبائي الشائع، فكان ذلك أهم خطوة للتيسير، ولكنه ظل متأثراً بمنهجية العين فيما يخص الأبنية والتقاليب، ولكنه ختم كل واحد من هذه الأبنية بأبواب ألحقها دون مبرر، في كثير من الأحيان، مما أدي إلى كثير من الاضطراب، وقد وصلت الأبواب عنده إلى ثمانية أبواب، رتب الأبواب الخمسة الأولى على الألفباء، وأهمل ترتيب بقية الأبواب، وجمع التقاليب معاً في الموضع المناسب لأول واحد منها في أربعة الأبواب الأولى، ولم يلتزم بذلك في الرباعي، فجمعها أحياناً، وفرقها أحياناً أخرى .أما في الخماسي فلم يجمعها مطلقاً.ولم يتبع نظاماً معيناً في إيراد التقاليب في الموضع الواحد، فبدأ أحياناً بالتقاليب المفتتحة بالحرف المعقود له الباب، ولم يفعل ذلك أحياناً أخرى[68].

وتبعاً لهذا الاختلاف في منهج الجمهرة عن العين تغيرت مواضع المواد اللغوية المفسرة في كلّ من الكتابين ففي حين نجد مادة(سجع) في باب (عجس) من العين، نجدها في باب (جسع) من الجمهرة[69].

ويبدو أن هذه المنهجية اقتصرت على ابن دريد، رائدها، إذ لم نجد من نهجها من مؤلفي المعاجم الذين جاؤوا بعده.

**ثانياً: المدرسة الهجائية الألفبائية:**

وهي المدرسة التي اعتمدت على الحروف الهجائية الألفبائية، ملغية فكرة التقاليب، والمخارج. ويمكن أن تقسم هذه المدرسة على قسمين هما:

**1. المنهج الألفبائي الأولي:**

وهذا المنهج اعتمد على الحرف الأول للكلمة، وقد تطور هذا المنهج تطوراً ملحوظاً، إذ نتجت عنه ثلاث طرائق هي:

**الطريقة الأولى**: الألفبائية الأولية الصدرية، وهذه الطريقة تعتمد على الحرف الأول ـ فقط ـ للكلمة. وأول من ابتكر هذه الطريقة أبو عمرو الشيباني تـ(207هـ)في معجمه (الجيم)، فقد التزم بالحرف الأول للمادة اللغوية، دون النظر إلى عين الكلمة أو لامها، ويلاحظ ذلك في باب الألف عنده. فالكلمة الأولى هي(أوف) ثم (المأفول) على الرغم من التزامه بالجذر اللغوي للمادة[70].

**الطريقة الثانية**: الألفبائية الأولية التسلسلية الدائرية، وهي الطريقة التي اتبعها ابن فارس في معجمه (مقاييس اللغة) إذ التزم بالحرف الأول للكلمة، ثم الذي يليه،إلى أن يصل إلى آخر حروف الهجاء، ثم يعود إلى الحرف الأول .فمثلاً كتاب السين يبدؤه بمادة(سعّ) ثم (سفّ) إلى أن يصل إلى آخر حروف الهجاء، ثم يعود إلى (سبّ)ثم (ستّ) إلى أن يصل إلى(سرّ)، ثم يدخل في باب الثلاثي فيبدأ بـ(سطح)ثم(سطل) إلى أن يصل إلى (سطا)ثم يعود الى (سطح).[71] وهكذا.

ويخفف من صعوبة البحث في كتابه تقسيمه كل كتاب إلى ثلاثة أبواب هي:باب الثنائي، ثم باب الثلاثي الأصول، ثم ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصول.

**الطريقة الثالثة**: الألفبائية الأولية التسلسلية، وهذه الطريقة تعتمد على الترتيب التسلسلي للحروف الهجائية، إذ ترتب المواد بناء على الحرف الأول،فالثاني، فالثالث، ورائد هذه الطريقة الزمخشري في معجمه أساس البلاغة. الذي قسمه على ثمانية وعشرين باباً،لكل حرف باب، ثم رتب مواد كل باب مراعياً الحرف الثاني والثالث، فمثلاً كتاب الحاء (حبأ،حبب،حبر،حبس،حبش) .[72] وهكذا.

وأرى أن هذه الطريقة هي أسهل الطرائق وأجداها في ترتيب المعاجم العربية.

**2. المنهج الألفبائي القافوي:**

وهذا المنهج يعتمد على الحرف الأخير من الكلمة . وأول ما ظهر هذا المنهج كان على يد البندنيجي تـ(284هـ)في كتابه (التقفية) إذ اتبع فيه منهجاً خاصاً يمكن عده الطريقة الأولى لهذا المنهج، فقد التزم البندنيجي بحرف القافية لكل كلمة يفسرها، ولكنه لم يعتمد على الجذر اللغوي، بل على وزن الكلمة العروضي وليس الصرفي وهذا ما أشار إليه في مقدمته إذ قال" إنما ألفناه على وزن الأفاعيل، فلينظر الناظر المرتاد وزن الكلمة في أي الأبواب هو فإنه يدرك الذي يطلب"[73].

وقد جعل أول الأبواب للألف الممدودة، وأورد فيه(الإباء، والخباء، والسباء، والهباء، والحرباء، والعلباء، والحصباء ...)[74].وهكذا.

أما الطريقة الثانية لهذا المنهج فقد جاءت أكثر دقة، وأول مبتكر لها هو الفارابي تـ(350هـ) في ديوان الأدب، إذ إنه طور الطريقة الأولى ـ طريقة البندنيجي ـ إذ اعتمد على الجذر اللغوي للكلمة جاعلاً الحرف الأخير منه باباً، والحرف الأول منه فصلاً، وجعل حرف الوسط أساساً لترتيب مواد الفصل.وقد رتب المواد مبتدئاً من الباء، ثم التاء،ثم الثاء...وهكذا حتى الياء، وقد التزم بهذا الترتيب في كتبه الستة التي قسم عليها كتابه، وهي( كتاب السالم، كتاب المضاعف، كتاب المثال، كتاب ذوات الثلاثة(الأجوف)، كتاب ذوات الأربعة(الناقص)، (كتاب الهمز)ثم قسم كل كتاب من هذه الكتب إلى قسمين قسم للأسماء، وقسم للأفعال.[75]

وقد ذهب المستشرق (كرنكو) إلى القول إن الجوهري قد سرق بطريقة خاله الفارابي، وتسلط على مواد كتابه[76].وأرى أن يهذب قول (كرنكو) إلى أن الجوهري قد تأثر بطريقة خاله الفارابي، لاسيما وأنه قد زعم أنه قرأه عليه[77].و لا أرى مبرراً لإنكار بعض اللغويين تأثر الجوهري بالفارابي وجزمهم بأن طريقة الجوهري في الصحاح كانت متأثرة بطريقة أبي عمرو الشيباني في (الجيم) والبندنيجي في التقفية[78]، لأن ذلك لا يقلل من قيمة (الصحاح) الذي يختلف عن (ديوان الأدب) في المضمون وعدد المواد اللغوية، والشواهد والأمثلة.

وغير ذلك فهو يعد معجماً عاماً نال شهرة واسعة، وحاز الإعجاب التام من العلماء. فأداروا حوله دراسات متعددة.

ونظراً لشهرته من هذا الجانب اشتهرت طريقته، وعزيت إليه هذه الطريقة، على الرغم من أن مبتكرها هو الفارابي .

وقد اتبعت هذه الطريقة كثير من المعاجم العربية أهمها(العباب) للصغاني، و(لسان العرب)لابن منظور، و(القاموس المحيط) للفيروز آبادي، و(تاج العروس) للزبيدي.

وأرى أن أسهل هذه الطرق هي الطريقة الألفبائية التسلسلية، التي سلكها الزمخشري في أساس البلاغة. والدليل على ذلك، أن بعض الناشرين للمعاجم العربية، يقومون باتباع هذه الطريقة. مغيرين طرائق مؤلفيها، فقد صدرت طبعة جديدة لكتاب العين تحت عنوان (ترتيب كتاب العين)[79].رتبت فيه المواد وفقاً لهذه الطريقة، وكذلك صدرت طبعة جديدة من (لسان العرب) رتبته على هذه الطريقة[80].

**نتائج البحث :**

بعد العرض السابق لموضوع البحث يمكن تدوين النتائج الآتية :

1. إن الجذر اللغوي (عجم)، الدال على الصخور الصلبة، التى تدل على الصمت، وعلى الخفاء؛ لأنها تخفي ما بداخلها فلا يظهر هو الأصل اللغوي للفظ (المعجم) الذي هو اسم مفعول من ذلك الأصل المزيد بهمزة السلب التى سلبت عن الأصل الخفاء والإبهام، ثم استعمل هذا اللفظ (المعجم) للدلالة على الكتاب الذي يشرح الألفاظ، ويذكر معانيها؛ فيزول الغموض عنها.
2. إن الجذر اللغوي (قمس) الدال على عدة معانٍ تتعلق بالماء، منها قعر البحر وقيل وسطه، وقيل معظمه، هو الأصل اللغوي للفظ (القاموس) الذي هو صيغة مبالغة من ذلك الأصل، وقد استعمل هذا اللفظ للدلالة على الفخامة والسعة، وأول من استعمله في هذه الدلالة هو الفيروزآبادي، إذ أطلقه على معجمه (القاموس المحيط) .

   ولذلك يعد لفظ المعجم أكثر دلالة على مفهومه، عن إطلاقه على الكتب التى تشرح الألفاظ وتزيل الغموض والإبهام منها. علماً أن مؤلفي هذه الكتب لم يطلقوا على مؤلفاتهم اسم المعاجم، وإنما أطلقها عليها الناس .
3. كان اهتمام العلماء العرب بالصناعة المعجمية مبكراً، فقد ظهرت المعجمات والكتب التي تتناول معاني الألفاظ قبل العلوم اللغوية الأخرى، كالنحو والصرف والبلاغة .
4. توقف التاليف المعجمي بعد أول معجم ألف ـ كتاب العين للخليل ـ لمدة مائة وخمسين عاماً، واقتصر اهتمام علماء اللغة في هذه المدة على تأليف كتب النوادر، والغريب، والأضداد، وغيرها. وكان أول معجم ظهر بعد هذه المدة هو (جمهرة اللغة) لابن دريد ت(321هـ) .

5. يعد القرن الرابع الهجري العصر الذهبي للصناعة المعجمية العربية، إذ ظهرت فيه سبعة معاجم مشهورة. في حين لم تؤلف في تسعة القرون التى تلته سوى ثمانية معاجم فقط، ولم يشتهر منها سوى ستة معاجم .

6. اختلف الباحثون المحدثون في عدد مدارس المعاجم العربية، فمنهم من جعلها ثلاثاً وبعضهم جعلها أربعاً وبعض آخر جعلها خمساً وهناك من أوصلها إلى ست مدارس. وقد رأى الباحث أن تجعل في مدرستين عامتين هما:

أ. مدرسة التقليبات: وقد سارت هذه المدرسة على منهجين هما :

- منهج التقليبات الصوتية المخرجية: ويمثلها الخليل في كتاب العين، ومن حذا حذوه.
- منهج التقليبات الصوتية الألفبائية: ويمثلها ابن دريد في معجمه (جمهرة اللغة) .

ب. مدرسة الهجاء الألفبائي: ولها منهجان عامان هما : المنهج الألفبائي الأولي، وقد جاء هذا المنهج بثلاث طرائق هي :

-الطريقة الأولى: الطريقة الألفبائية الأولية الصدرية: وهي تعتمد على الحرف الأول فقط ويمثلها معجم (الجيم) لأبي عمر الشيباني .

-الطريقة الثانية: وهي الطريقة الألفبائية الأولية التسلسلية الدائرية ويمثلها معجم (مقاييس اللغة) لابن فارس.

-الطريقة الثالثة: وهي الألفبائية الأولية التسلسلية ويمثلها معجم (أساس البلاغه) للزمخشري.

أما المنهج الثاني لهذه المدرسة: فهو المنهج الألفبائي القافوي. وقد جاء هذا المنهج على طريقتين هما :

- الألفبائية القافوية العروضية، التى تعتمد على الوزن العروضي للكلمة، وليس الجذر اللغوي لها. وكان مبتكر هذه الطريقة هو البندنيجي في كتابة التقفية .
- أما الطريقة الثانية: فهي الألفبائية القافوية الجذرية، التى تجعل الحرف الأخير للجذر اللغوي باباً، والحرف الأول منه فصلاً، وتجعل حرف الوسط الأساس في ترتيب مواد الفصل، وأول

من ابتكر هذه الطريقة هو الفارابي في كتابة (ديوان الأدب) وتبعه في هذه الطريقة عدد من مؤلفي المعاجم العربية .

7. تعد المدرسة الهجائية الألفبائيه أسهل من مدرسة التقليبات، في سرعة العثور على الكلمة المطلوبة. وتعد الطريقة الثالثة من منهجها الأول وهي الطريقة الألفبائية الأولية التسلسلية أسهل الطرائق جميعاً. وذلك عند استعمال المعاجم الورقية. أما إذا استعملت المعاجم العربية من خلال الحاسوب فالأمر ميسر في العثور على الكلمة من أي معجم، مهما كانت مدرسته، أو منهجه أو طريقته.

## الهوامش والإحالات:

(1) ينظر : صناعة المعجم الحديث، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر، ط1،1998م:8

(2) المرجع نفسه:9

(3) ينظر: مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت، شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، بيروت، لبنان :742

(4) لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور، دار الحديث، القاهرة، 2003م: 6/ 111

(5) البيان والتبيين للجاحظ عمرو بن بحر، ت . عبدالسلام هارون، مكتبة الجاحظ،مصر 1948م :1/ 366

(6) مسند أحمد بن حنبل، الامام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، د.ت: 6/ 292.ينظر : غريب الحديث لابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي محمد بن بن علي الجوزي، تحقيق: د. عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1985م:2/ 73.

(7) ينظر :لسان العرب:6/ 110،111.

(8) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت . محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان :3/ 75– 76.

(9) لسان العرب:6/ 108،109.

(10) مقاييس اللغة:861.

(11) لسان العرب: 7/ 492

(12) السابق:7/ 492.

(13) شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد الحسين السكري، تحقيق: عبد القادر أحمد فراج، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت:1/ 133.

(14) ينظر: المعجم العربي، د.حسين نصار، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق،1980م.8.7

(15) ينظر:المعجم العربي:6،وتاريخ اللغة:60.

(16) ينظر : دراسات في علم اللغة، د.حسن فتح الله سليمان، دار الحرم للتراث، القاهرة ط 2،2004م. :61،والقواميس والمعاجم اللغوية في الفكر العربي الإسلامي :أ.عبد الله الفضلي،بحث منشور في مجلة جذور العدد(27) 2009ص 152.

(17) طبقات الحنابلة، القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي، ت. دعبدالرحمن بن سليمان العثيمي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى :1/ 130

(18) ينظر: تاريخ العربية، د. عبد الحسين محمد، و د.رشيد العبيدي، ود. طارق عبد عون الجنابي، مؤسسة دار الكتب، بغداد، العراق، د.ت.:102-105،وعلم اللغة :115-116.

(19) ينظر: صناعة المعجم الحديث:35-62.

(20) ينظر: علم اللغة العربية، د.محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر، مصر، د.ت. :49وما بعد.

(21) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ت . د عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث العربي :2/ 200، والجامع في الحديث:2/ 485

(22) ينظر: فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط3،1987م. :109وما بعدها.

(23) ينظر:كتاب سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس، ت . إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد 1968م.

(24) ينظر:القواميس والمعاجم اللغوية في الفكر العربي الإسلامي. أ. عبدالله علي الفضلي، بحث منشور في مجلة ( جذور ) العدد(27) 209م . ص 262.

(25) ينظر: طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين محمد بن علي أحمد الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان:1/ 313.

(26) ينظر: دراسات في علم اللغة :61،والقواميس والمعاجم في الفكر العربي والإسلامي،مجلة جذور :252.

(27) ينظر:الفهرست لابن النديم محمد بن اسحاق، طهران، د. ت:1/ 94،وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان :1/ 26.

(29) ينظر: ترتيب كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، انتشارات أسوة، قم ايران، 1414هـ.:1/ 52.

(30) ينظر:المعجم العربي:22وما بعدها،وتاريخ العربية :76وما بعدها.

(31) ينظر: علم اللغة العربية:97.

(32) ينظر: المعجم العربي:12.

(33) ينظر: تاريخ العربية:83.

(34) ينظر: علم اللغة العربية:113.

(35) ينظر: علم اللغة العربية:87.

(36) ينظر:كتاب الزينة ارهاصات أولية في العمل المعجمي العربي،د.عبد العزيز المقالح،بحث منشور في مجلة دراسات يمنية، العدد(70)سبتمبر،2003ص7.

(37) ينظر:الأثيل والدخيل في معجمنا العربية، د.الجيلاني،حلام،اللسان العربي،ص5.

(38) ينظر: المعجم العربي:48وما بعدها.

(39) ينظر:دراسات في علم اللغة :81.

(40) ينظر: تاريخ العربية:81وما بعدها،والمعجم العربي:41.

(41) ينظر:تاريخ العربية:86.

(42) ينظر:دراسات في علم اللغة :81.

(43) ينظر: المعجم العربي:32،و دراسات في علم اللغة :70.

(44) ينظر: دراسات في علم اللغة : 71.

(45) ينظر: المعجم العربي: 53وما بعدها.

(46) ينظر:تاريخ العربية :96.

(47) ينظر:دراسات في علم اللغة :82.

(48) ينظر: المعجم العربي: 61وما بعدها، تاريخ العربية:92،وعلم اللغة :105،و غوامض الصحاح:38.

(49) ينظر:دراسات في علم اللغة :72.

(50) ينظر: علم اللغة العربية:113وما بعدها.

(51) ينظر: فصول في فقه اللغة:282 وما بعدها.

(52) ينظر: المعجم العربي: 64وما بعدها، وفصول في فقه اللغة:284.

(53) ينظر: المعجم العربي:67وما بعدها، ودراسات في علم اللغة:87.

(54) ينظر:دراسات في علم اللغة :79.

(55) ينظر:في فقه اللغة:286،والمعجم العربي، وما بعدها.

(56) ينظر:المعجمية العربية وآفاق نمو المعجم العربي الحديث:80.

(57) ينظر:مقدمة الصحاح:95وما بعدها.

(58) ينظر: المعجم العربي:92.

(59) ينظر: المعجمات العربية نقد وتقويم:24وما بعدها.

(60) ينظر: المعجم العربي نقد وتوجيه، د/ عبد الكريم مصطفى مدلج، بحث منشور في مجلة الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، المغرب، العدد(4)، 2004،ص 372.

(61) ينظر: البحث والمكتبة:145وما بعدها.

(62) ينظر:المعجمية العربية:29وما بعدها.

(63) ينظر:المكتبة:47وما بعدها.

(64) ) ينظر: المعجم العربي نقد وتوجيه، د/ عبد الكريم مصطفى مدلج، بحث منشور في مجلة الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، المغرب، العدد(4)،ص371 .

(65) السابق:373.

(66) ينظر: مقدمة ترتيب كتاب العين:1/ 53 وما بعدها.

(67) ينظر: تاريخ العربية:76وما بعدها.

(68) ينظر: المعجم العربي:41، وتاريخ العربية:81.

(69) ينظر: المعجم العربي:42وما بعدها.

(70) ينظر: تاريخ العربية:82.

(71) ينظر: معجم الجيم، لأبي عمر الشيباني إسحاق بن مراء، ت. إبراهيم الإيباري:53l1.

(72) ينظر: معجم مقاييس اللغة،كتاب السين"473.

(73) ينظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت. عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1402–1982م :71.

(75) ينظر:التقفية، أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي، ت.د. خليل إبراهيم العطية، مطبعة العاني، بغداد، 1976م:38.

(76) ينظر: تاريخ العربية:90.

(77) ينظر: بواكير المعاجم العربية حتى عصر الجوهري، بحث لكرنكو،في الملحق المئوي لمجلة الجمعية الاسيوية الملكية سنة 1924م.نقلاً عن تاريخ العربية:92.

(78) ينظر: تاريخ العربية:89.

(79) ينظر: تاريخ العربية:91،92.

(80) ينظر:ترتيب كتاب العين، طبعة انتشارات اسوه، قم، ايران،1414هـ

(81) ينظر: لسان العرب، طبعة دار الحدي، القاهرة،2003م.

# التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الآيات المتماثلة في القرآن الكريم

## (الأفعال الماضية أنموذجاً)

د. إبراهيم ناصر صالح القيسى*

**ملخص البحث:**

اهتم الباحثون قديمًا وحديثًا بالقرآن الكريم وعلومه، لما له من دور في تعدد معانيه، وبلاغة أسلوبه، فكلما زاد الباحث فيه وتعمق؛ وجد نفسه أشد جهلاً به، ولا غرابة في ذلك! فهو المعجزة الخالدة التي أبهر بها ال خالق سبحانه الجن والإنس، فتحدى المرجفين بأن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، ولو اجتمع عليه الجن والإنس وكان بعضهم لبعض ظهيرا.

ولم يقتصر الأمر عند ذلك، بل يحتاج إلى مراجعة واستذكار دائم، فهو كما قال: صلى الله عليه وسلم، أشد تفلتاً من الإبل في عقلها. ومن أشد ما يتفلت منه، ما تشابه من ألفاظه، وتماثل من مقاطعه.

ولذا فهذا البحث ليس الأول ولا الأخير، بل محاولة من الباحث لتتبع التناوب اللفظي للفعل الماضي من خلال الآيات المتماثلة في القرآن الكريم، حيث يقوم لفظ مكان لفظ آخر في سياقين متماثلين، ولهذا رأى الباحث أن يقف على البعد الدلالي الناشئ عن اختلاف الألفاظ، ومعرفة المناسبة لكل لفظ ما أمكن؛ لأن

* أستاذ اللسانيات المساعد بكلية التربية – جامعة ذمار – نائب العميد للشؤون الأكاديمية.

الإحاطة بحقائق تلك الإلفاظ من علم الله، وما لدينا إلا محاولة يسيرة في بيان شيء من دلائلها، علَّ الله أن يوفقنا فيها. فبدأ البحث بمقدمة اشتملت على عرض ملخص لعمق بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي، مع عرض سريع لما قاله علماء العربية بدأ بالكلم وأقسامه، ومعنى التناوب والتماثل، ثم الوقوف على تعريف الفعل الماضي محور بحثنا.

بعدها تم الحديث عن التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الآيات المتماثلة في القرآن الكريم (الأفعال الماضية أنموذجاً)، من خلال منهج وصفي قائم على المقارنة والتحليل، وذلك في أربعة مباحث: الأول منها: تناول فيه الباحث التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الفعل الثلاثي المجرد، مبيناً فيه مجموعة من الأفعال الماضية المجردة الواردة بصيغ مختلفة. أما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان: التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين الثلاثي المجرد والمزيد وفيه عدة ألفاظ متناوبة. وفي المبحث الثالث: تناول الباحث فيه التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الفعل الثلاثي المزيد. وفي المبحث الرابع تناول الباحث فيه التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين الفعل الثلاثي المزيد، والرباعي المضعف.

وقد خُتم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

**مقدمة:**

الحمدلله رب العالمين، الذي رفع شأن العلم وأهله، فبين في كتابه كل شيء. أحكم آياته، وفصل متشابهه بأساليب متنوعة، وطرق متعددة، وألفاظ متقاربة، فحوت أحسن القصص والعبر، قال تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِّ﴾ [الزمر: 23] والصلاة والسلام على إمام البشرية محمد صلى الله عليه وسلم.

فالقرآن معجزة خالدة حتى قيام الساعة، لما فيه من معان لغوية وبلاغية وغيرها، وما تطرق إليه الباحثون قديماً وحديثاً إلا على استحياء لعجزهم عن الإحاطة به، فكلما تعمقوا فيه وجدوا أنفسهم أكثر جهلا.

وبلاغة القرآن الكريم هي أول ما عرفه العرب من وجوه إعجازه المختلفة؛ لأنهم أهل البلاغة والفصاحة والحكمة، ما جعلهم يحتارون ببلاغته وفصاحته ودقة معانيه، خاصة وهو ليس بالشعر الذي عرفوه، وليس بسجع الكهان الذي عهدوه، فتساءلوا كثيرًا عن مصدر قوته وتأثيره على قلوبهم وعقولهم، وما قصة الوليد بن المغيرة إلا دليل على ذلك.

فبدؤوا بوضع أسس عامة يعرفون من خلالها لغتهم التي أبهرهم القرآن بها، فهذا سيبويه يبدأ كتابه ببابِ علم ما الكَلِمُ من العربية؟ حيث قال: "فالكَلِم اسمٌ وفِعْلٌ وحَرْفٌ جاء لمعنًى ليس باسم ولا فعل فالاسمُ رجلٌ وفرسٌ وحائط. وأما الفعل فأمثلة أُخذتْ من لفظ أحداث الأسماء وبُنيتْ لما مضى، ولما يكون، ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع، فأما بناء ما مضى فذَهَبَ وسَمِعِ ومُكِث وحُمِدَ. وأما بناء ما لم يقع فإنّه قولك آمِراً: اذهَب واقتُلْ واضرِبْ، ومخبراً يَقْتُلُ ويَذهَبُ ويَضرِبُ ويُقْتَلُ ويُضرَبُ وكذلك بناء ما لم يَنقطع وهو كائن إذا أخبرتَ فهذه الأمثلة التي أُخذت من لفظ أحداث الأسماء ولها أبنية كثيرة ستبيَّن إن شاء الله والأحداث نحو الضَّرْبِ والحمد والقتل وأما ما جاء لمعنًى وليس باسم ولا فعلٍ فنحو ثُمَّ وسَوْف و واو القسم ولام الإضافة ونحوها".(1)

وأكد المبرد وابن السراج وغيرهم ذلك بقولهم: "فالكلام كُلّه اسم وفِعل وحرف جاءَ لمعنى لا يخلو الكلام عربيّاً كان أَو أَعجميّاً من هذه الثلاثة".(2)

واختصر ابن مالك الكلم في ألفيته بقوله:

كَلامُنَا لَفظٌ مُفِيدٌ كاستَقِمْ اسمٌ وفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفُ الكَلِمِ.(3)

وعلى الرغم من إجماع النحاة على هذا التقسيم قديماً وحديثاً إلا أن هناك من يرى عدم كفايته فأضافوا قسماً رابعاً ذكره السيوطي عند عرضه لأقسام الكلمة بقوله: "الكلمةُ إما اسم وإما فعل وإما حرف ولا رابع لها إلا ما سيأتي في مبحث اسم الفعل من أن بعضهم جعله رابعاً وسماه الخالفة".(4)

ومن المحدثين من نادى بتقسيم آخر غير ما ذهب إليه القدماء، معللاً ذلك أنهم قسموا الكَلِمَ على اعتبارين إما المعنى وإما المبني، وهذا غير صحيح مؤكداً على اعتبار المعنى والمبنى في آنٍ واحد فيقول: "من هنا يتضح أن الأقسام السبعة التي ارتضيناها للكلم موضحين بها مواطن الضعف في التقسيم الذي ارتضاه النحاة من قبل هي كما يلي: الاسم – الصفة – الفعل – الضمير – الخالفة – الظرف – الأداة".(5)

والبحث في هذا الجانب طويل جدا سيفتح الباب لبذل جهود كبيرة ليست باليسيرة في المجال اللغوي، لذا سنقتصر في هذا المقام على مجال واحد –بعيدا عن تقسيم القدماء، أو وجهة نظر بعض المحدثين– هو الفعل. وتحديدًا الماضي منه.

فقد ورد الفعل في القرآن الكريم بصور شتى، قد لا تخلو آية إلا به، ومنه الفعل الماضي، وحديثنا عنه سيكون في الأفعال المتماثلة في القرآن الكريم، لأن تغير الألفاظ وتناوبها في القرآن الكريم لابد أن له أثراً دلالياً في المعنى، وبعداً بلاغياً لا يتضح إلا بفهم اللغة ككل من خلال النص القرآني فينظر إلى التقديم والتأخير وسياق الكلام والمناسبة وغيرها، كل ذلك له دلالات مختلفة.

فالفعل من أهم مواد العربية ومكوناتها، حيث يمثل جزءًا كبيرًا من مفرداتها، وله دلالة وخاصية، لا تتمثل في غيره، كدلالته على الحدث والزمن، كما أن له دورًا في عملية الإسناد وإثراء العربية وربط تراكيبها.

وتتضح دلالته أكثر عند تتبع الآي الحكيم في القرآن الكريم، وذلك عندما نجد تنوع أساليبه وألفاظه، نُيقن أنها لم تأت عبثاً، بل جاءت وفق معنى وهدف معين، قد لا يستقيم الحديث بغيرها، أو أن الدلالة ستظل قاصرة لو حل محله لفظ آخر، ولذا فالتناوب اللفظي بكل تأكيد يرمي إلى استحضار أسرار النظم الكامنة في الفروق التعبيرية عندما ينوب لفظ مكان آخر، ولذلك نجد أقوال بعض العلماء تؤكد على تناسب اللفظ للمقام، كقول الإسكافي: "فاقترن بكل من المكانين ما كان أليق بالمقصود".(6) وقول الكرماني: "فجاء في كل موضع بما يلائمه".(7)

وقد تطرق السيوطي إلى هذه العلاقة مؤكداً دور المناسبة في تناوب الألفاظ، بقوله: "وهو يتداخل مع نوع المناسبات"(8)

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث الموسوم بـ: "التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الآيات المتماثلة في القرآن الكريم (الأفعال الماضية أنموذجاً)". إذ تم الجمع والبحث والدراسة في خصائص ودلالات تلك الأفعال، ونظرًا لكثرتها فقد اقتصر البحث على الأفعال الماضية المتماثلة في القرآن الكريم، باحثًا عن دلالتها اللغوية، وعلاقتها من خلال سياقها في النص القرآني، ومناسبتها للمقام الذي وردت فيه.

من ذلك على سبيل المثال تناوب اللفظين: (خَتَمَ وطَبَعَ) وكلاهما فعلين ماضيين وردا في نصين متماثلين، ففي البقرة جاء (بخَتَمَ) في قوله تعال: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾.[البقرة:7] في حين جاء الفعل في النحل (بطَبَعَ) حيث قال: ﴿طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾.[النحل:108]، فجاء البحث لتتبع هذا التناوب بين الألفاظ ومحاولة الوصول إلى البعد الدلالي للعدول القرآني من لفظ إلى لفظ آخر.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تطرق للتناوب بين الأفعال من حيث التجرد والزيادة، والتعدي واللزوم، حيث يأتي السياق القرآني بفعل محدد ثم يتغير في مقام آخر مماثل نصًا للمقام الآخر مع واحديتهما في الجذر اللغوي، كالتناوب بين: (تَبِعَ واتَّبَعَ) حيث جاء في البقرة بقوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.[البقرة:38] في حين جاء في طه بقوله: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾.[طه:123]

وقبل الحديث عن دلالات الفعل الماضي في القرآن الكريم لابد من الإشارة إلى تعريف الفعل لغة واصطلاحاً ومعرفة آراء العلماء في حده وما قيل فيه.

فالفعل لغة كما يقول ابن فارس: "الفاء والعين واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على إحداث شيء من عملٍ وغيره. من ذلك: فَعَلْتُ كذا أفعلُه فَعْلا. وكانت مِن فُلانٍ فَعْلةٌ حَسَنَةٌ أو قبيحة. والفِعَال جمع فِعْل. والفَعَال، بفتح الفاء: الكَرَم وما يُفْعَل من حَسَن".(9) وقال ابن سيده: "الفِعل كناية عن كل عمل متعدٍّ أَو غير متعدٍّ فَعَل يَفْعَل فَعْلاً وفِعْلاً فالاسم مكسور والمصدر مفتوح وفَعَله وبه والاسم الفِعْل والجمع الفِعال

مثل قِدْح وقِداح وبِئر وبِئار وقيل فَعَله يَفْعَله فِعْلاً مصدر ولا نظير له إلا سَحَره يَسْحَره سِحْراً وقد جاء خَدَع يَخْدَع خَدْعاً وخِدْعاً وصَرَع صَرْعاً وصِرْعاً والفَعْل بالفتح مصدر فَعَل يَفْعَل".(10) وغير ذلك من المعاني التي ذكرها أصحاب المعاجم.

أما في الاصطلاح: فقد تعددت آراء العلماء في تعريفهم للفعل، فهذا سيبويه يعرفه كما سبق في تعريف الكلم بقوله: "وأما الفعل فأمثلة أُخذتْ من لفظ أحداث الأسماء وبُنيتْ لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينَقطع، فأما بناء ما مضى فذَهَبَ وسَمِعَ ومُكِث وحُمِدَ. وأما بناء ما لم ينقطع فإنّه قولك آمِراً: اذهَب واقتُلْ واضرِبْ، ومخبراً يَقْتُلُ ويَذهَبُ ويَضرِبُ ويُقْتَلُ ويُضرَبُ وكذلك بناء ما لم يَنقطع وهو كائن إذا أخبرتَ فهذه الأمثلة التي أُخذت من لفظ أحداث الأسماء ولها أبنية كثيرة ستبيَّن إن شاء الله".(11) فكان قد ذكر حده من حيث البناء والزمن.

وأما ابن يعيش فيقول في شرحه للمفصل: "الفعل مادل على اقتران حدث بزمان، ومن خصائصه صحة دخول قد وحرفي الاستقبال والجوازم، ولحوق المتصل البارز من الضمائر، وتاء التأنيث".(12) في حين يعرفه ابن الحاجب في الكافية بقوله: "هو ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة".(13)

وكل ما سبق من أقوال في حد الفعل وأقسامه، كلام ربما اتفق عليه القدماء والمحدثون وإن اختلفت الرؤى في الطرح والصياغة، إلا أن الحدث والزمن حاضران في كل الأحوال. وفي هذا البحث نحاول الوقوف على دلالة الفعل، وهذا المصطلح من حيث الدلالة، يندرج تحت مباحث علم الدلالة الذي يعد حديث النشأة إذا ما قورن بمباحث علم اللغة المتعلقة بالمستويات الصوتية والصرفية والنحوية. ولا يعني ذلك إغفاله، أو عدم وجوده عند القدماء، بل وجد في كتب اللسانيين والأصوليين والمفسرين وغيرهم، إلا أنه لم يظهر كعلم مستقل.

وللأفعال وظيفتان أساسيتان: الأولى وظيفة دلالية زمنية، كبيان زمن الفعل (الماضي ـ الحاضر ـ المستقبل). والأخرى وظيفة دلالية معنوية، تتعلق بالمعنى الذي يتضمنه الفعل وهو ما سنقف عنده.

والجملة الفعلية قسمٌ من أقسامِ الجملِ في اللغةِ العربية، وتتكونُ من فعلٍ وفاعلٍ بشكلٍ رئيسي، وربما يتعدى الفعلُ إلى مفعولٍ به، أو أكثر، حتى يكتمل معنى الجملة، والأفعالُ ثلاثة: ماض ومضارع وأمر.

ويمكن استخلاص تعريف الفعل الماضي على أنّه الفعلُ الذي يدلُّ على الحدث الحاصل في وقتٍ قد مضى، أي حدث وانتهى، قبل لحظة الكلام، ويأتي مبنياً؛ فلا تتغير حركته بتغير موقعه في الجملة.(14)

وأما التناوبُ فقد وردَ بمعاني كثيرة، إلا أننا سنقتصر حول ما يقصده البحث، وهو التناوب أو التعاقب، فيقال: "نابَ الشيءُ عن الشيءِ يَنُوبُ، قامَ مَقَامَهُ وأَنَبْتُهُ أَنا عَنهُ، ونَاوَبَهُ عَاقَبَهُ".(15)

وأما التماثل فهو تَفَاعُل من تَفَاعَل، ومن معانيه التشابه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾. [الشورى: 11]، والآيات الدالة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم.(16)

## المبحث الأول: التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الفعل الثلاثي المجرد.

### أولاً: التناوب فيما جاء على (فَعِلَ و فَعَلَ):

ومن أمثلته: (عَمِلَ) و(كَسَبَ). حيث ورد التناوب بين الفعلين في قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾.[آية 34] وكذلك في [الجاثية 33]، جاء بالآية نفسها.

بينما جاء في الزمر بقوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾.[آية 51] فتناوب اللفظان عملوا وكسبوا في الآيتين السابقتين وهذا التناوب له دلالة في المقام الذي وردا فيه، فالعمل في الآيتين أعم من الكسب ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾.[الزلزلة: 7]،﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.[الزلزلة:8]

وهذا ابن فارس يقول: "العين والميم واللام أصلٌ واحدٌ صحيحٌ وهو عامٌ في كلِ فَعَلَ يَفْعل".(17) وأما ابن منظور فيقول: "العملُ: المهنةُ والفعلُ، والجمعُ أعمالٌ، عَمِلَ عَمَلاً، و أعمَلهُ غيره و استعمله".(18)

ويقول أبو هلال العسكري: "أن العملَ إيجادُ الأثرِ في الشيءِ، يُقالُ: فلانٌ يعملُ الطينَ خزفًا ويعملُ الخوصَ زنبيلاً والأديمَ سقاءً، ولا يُقالُ: يفعلُ ذلكَ لأنَّ فعل ذلك الشيء هو إيجادُه".(19)

وقد ناقش هذا المفهوم أحد الباحثين نقاشاً مستفيضاً متحدثًا من خلاله عن الفرق الدلالي بينه وبين الفعل، وخلص إلى أن العمل ما يحدث من الإنسان دون الحيوان والجماد، وأنه الأثر المترتب عن فعل، وممتد الزمن إذ لا ينقضي سريعًا.(20)

وأما الكسب فله معان مختلفة، فقيل: "هو مصدرٌ مطلقٌ على المفعولِ".(21) وقيل: ما يناله المرءُ بعملهِ، ومنه يُقالُ للأرباح: إنها كسبُ فلان. وسمي الدعاءُ كسباً لأنه من الأعمالِ، والأعمال موصوفة بالكسب.(22) وقيل: "الكسبُ: فعلُ ما يجرُ نفعًا أو يدفعُ ضرًا".(23) وقيل: "هو الفعلُ المُفضي إلى اجتلابِ نفعٍ، أو دفع ضرر".(24)

أما لفظ العمل في الآية السابقة فقد خصت هذه السورة اللفظ لموافقة ما قبله كقوله: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.[النحل: 28] وقوله تعالى: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[النحل: 32] ولموافقة اللفظ ما بعده في قوله تعالى: ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[النحل: 93] وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾.[النحل: 97] وقوله: ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾.[النحل: 111] وقوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا﴾.[النحل: 119].(25) فجاء بدلالة العمل دون غيرها لمناسبة المقام وتكرار الفعل، فكان الأنسب للخطاب به بدلاً من الكسبِ لوقوعه بين عدة ألفاظ من مادة (عمل).

وفي الزمر جاء الفعل (كَسَبَ) في هذه السورة لمناسبة السياق ووقوعه بعد ألفاظ الكسب قبله كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾.[الزمر: 24] وقوله: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾.[الزمر: 48] وقوله تعالى: ﴿ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.[الزمر: 50] فخصت كل سورة بما اقتضاه.(26) فكان الأنسب للسياق لفظ الكسب، لا لفظ العمل وهذا من أساليب النظم في القرآن الكريم. فالتناسب اللفظي استدعى التعبير في كل آية بفعل مغاير للآية الآخرى.

**ثانياً: التناوب فيما جاء على بناءٍ واحد (فَعَلَ).**

وقد ورد التناوب في هذه الصيغة بألفاظ مختلفة، حملت دلالات عدة، فمنها ما جاء بين فعلين صحيحين كتناوب: (سَلَكَ – جَعَلَ) و(خَتَمَ – طَبَعَ) و(فَسَقَ – كَفَرَ). ومنها ما جاء بين فعلين معتلين، كتناوب: (أَتَى – جَاءَ). ونتناول ذلك كما يلي:

– التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين (سَلَكَ و جَعَلَ).

ورد التناوب اللفظي بين (سَلَكَ) في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾. [طه:53] وبين (جَعَلَ) في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾.[الزخرف:10] وهو كغيره من الآيات المتماثلة، لا شك أن له أثرًا دلالياً في المقام الذي ورد فيه.

فالسُّلُوْكُ كما يقول الأزهري: مَصدرُ سَلَكَ طَرِيقاً. والمَسْلَكُ: الطَرِيْقُ. والسَّلْكُ: إدْخَالُ شَيْءٍ في شَيْءٍ.(27)

ويقول ابن فارس: "السينُ واللامُ والكافُ أصلٌ يدلُ على نفوذِ شيءٍ في شيءٍ، يقالُ سَلكتُ الطريقَ أسلُكُه، وسَلَكتُ الشيءَ في الشيء أنفذته".(28)

وأما جعل فقال الخليل عنها: "جَعَلَ جَعْلاً صَنَعَ صَنعاً، وجَعَلَ أعمُ لأنك تقولُ: جَعَلَ يأكلُ. وجَعَلَ يصنعُ كذا، ولا تقولُ: صنعَ يأكلَ، وجعل ما جعلت لإنسان أجراً له على عمل يعمله والجعالة أيضاً".(29) وقال ابن فارس: "الجيمُ والعينُ واللامُ: كلماتٌ غيرُ مُنقاسةٍ لا يشبه بعضها بعضا".(30)

وسَلَكَ كما يرى أبو جعفر النحاس: "مجازاً أي جَعَلَ لكم فيها السبل".(31) ويرى الواحدي في تفسيره أنها بمعنى: وسَهَلَ لكم فيها طرقاً.(32) وأضاف السمعاني أنها بمعنى: سَهَلَ ووَطَأ لكم فيها طرقاً.(33)

وأما (سَلَكَ) الواردة في الآية فذُكر في مفردات غريب القرآن بأنها: النفاذُ في الطريقِ، يقال سَلكتُ الطريقَ وسَلكتُ كذا في طريقه، قال تعالى: ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾.[نوح: 20] وقال: ﴿ فَاسْلُكِي سُبُلَ

رَبِّكِ ذُلُلاً﴾ [النحل: 69] وقال تعالى: ﴿ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾.[الجن: 27] وقال تعالى: ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾.[طه: 53] وغيرها من الآيات.(34)

فجاء بـ: (سَلَكَ) في هذه الآية من سورة (طه) لأن لفظَ السلوكِ مع السبيل أكثرَ استعمالاً فخصه بذلك، وخص الآية من سورة (الزخرف) بـ: (جَعَلَ) ازدواجًا للكلامِ وموافقة لما قبلها وما بعدها.(35)

وقيل: السَلّك في الآية: "هو سَلَكَ المتعدي، أي أسَلَكَ فيها سُبلا، أي جَعَلَ سُبُلاً سَالِكَةً في الأرضِ، أي دَاخِلةً فيها، أي مُتخَلِلة. وذلك كنايةً عن كثرتِها في جهاتِ الأرضِ".(36) فهو: فِعلٌ مشتقٌ من السُلُوكِ والسلك الذي هو الدخول مجتازًا وقاطعًا. يقال: سَلَكَ طريقًا، أي دخله مجتازًا. ويستعملُ مجازًا في السيرِ في الطريقِ تشبيهًا للسائرِ بالشيءِ الداخلِ في شيءٍ آخر. يقالُ: سَلَكَ طَرِيقَاً. فحق هذا الفعل أن يتعدى إلى مفعولٍ واحدٍ وهو المدخول فيه، ويستعملُ متعديًا بمعنى أسلَكَ. وحقه أن يكون تعديه بهمزةِ التعديةِ فيقالُ: أسلَكَ المِسمارَ في اللوحِ، أي جَعلَه سَالِكاً.(37)

وأما الفعلُ (جَعَلَ) فقد ذكره المفسرون أيضاً، وهو كثير المعاني كما سبق ذكره عند ابن فارس، ولذا سنقتصر على دلالته في الآية الكريمة فقط. يقول الرازي أن المقصود به انتفاع الناس عندما هيأ الله تلك السبل ووضع عليها علامات مخصوصة وإلا لما حصل هذا الانتفاع.(38) و(جَعَلَ) كما يقول الزبيدي: "بمعْنَى تَصْييرِ الشيء علَى حالةٍ دُونَ حالةٍ".(39)

وربما هذه الخلاصة فالآيات الواردة في مختلف السور تدل على تغير حاصل وانتقال من حالة إلى آخرى. من ذلك قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً﴾.[المائدة: 20] وهذا التغير بعد أن كانوا مستضعفين في القوم فتغير الحال إلى حالٍ آخر.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾.[يوسف: 70] حولها من يد القائم على مخازن الحبوب، إلى حال آخر في رحل أخيه. وقوله تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾.[النحل: 72] وهذا انتقال أيضاً من حال عدم الزواج، إلى حال آخر وهو رزق الزواج ثم تتوالى أحوال التغيير بالأولاد والأحفاد. وغيرها من الآيات التي تدل على التغيير.

- التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين (خَتَمَ و طَبَعَ).

جاء التناوب اللفظي بين فعلين ثلاثيين ماضيين وصحيحين في آيتين متماثلتين، الأول: (خَتَمَ) حيث قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[البقرة:7]. والثاني: (طَبَع) حيث قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[النحل:108]

والختم كما يقول الخليل الطبع، ومنه خَتَمَ يَخْتِمُ خَتماً أي طَبَعَ فهو خَاتَم.(40) وقال ابن فارس: "الخاءُ والتاءُ والميمُ: أصلٌ واحدٌ وهو بُلوغُ آخر الشيءِ، يُقالُ: خَتمتُ العملَ، وخَتمَ القارئُ السورةَ. فأمَّا الخَتمُ وهو الطبعُ على الشيءِ فذلك من البابِ أيضاً لأنَّ الطبعَ على الشيءِ لا يكونُ إلا بعدَ بلوغِ آخره".(41)

وقال في مقام آخر من مادة طبع: " الطاءُ والباءُ والعينُ أصلٌ صحيحٌ وهو مَثْلٌ على نهايةٍ يُنتَهى إليها الشيء حتى يُختم عندها. يُقالُ: طَبعتُ على الشيءِ طابعاً".(42) فعرف كل لفظ بالآخر.

وذكرَ أبو حيان أنَّ حقيقةَ الختمِ وضعٌ محسوس على محسوس يحدث بينهما ويكون علامة للخاتِم، والختمُ في الآية معنوي، فإنَّ القلبَ لما لم يقبل الحقَ مع ظهورِه، استعيرَ له اسمُ المختوم عليه فبين أنه من مجاز الاستعارة.(43)

فنجد أن المعنى اللغوي لمفهومي الختم والطبع في الآيتين واحد وهو العلامة على نهاية الشيء، إلا أن الاستعمال القرآني لم يتنوع في الاستخدام عبثاً، بل لا بد أن هناك فروقاً دلالية جعلت التناسب في كل مكان أبلغ منه في الآخر، ولذلك ذهب اللغويون والمفسرون إلى إيجاد بعض الفروق بين (الختم والطبع) فهذا أبو هلال العسكري يرى أن الطبعَ أثرٌ يثبُت في المطبوعِ ويلزمُه، فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيده الختم، ولهذا يقال طبع الدرهم طبعاً.(44)

ويرى أبو حفص والطاهر بن عاشور أن الختم أقل إحكاما من الطبع، فلعل منهم من يفكّر فيعود لربه؛ فالباب مفتوح. أما الطبع فأكثر إحكاما للغلق من الختم، بحيث لا ينفذ إليه مستخرِج ما فيه، إلاّ بعد إزالة

ذلك الشيء المطبوع به. والطبع يُعدّ مرحلة أعلى؛ لأن به إحكام الغلق إحكامًا تامًا، ولذا فهو أعلى مرحلة.(45)

- التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين (فَسَقَ و كَفَرَ).

جاء التناوب اللفظي بين الفعلين الثلاثيين الماضيين في آيتين متماثلتين، الأول: (فَسَقُوا) حيث قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.[يونس: 33] والثاني: (كَفَرُوا) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.[غافر: 6]

فالفِسقُ كما ذهب أهل اللغة: العصيانُ والتَّرْك لأمر الله، والخروجُ عن طريقِ الحق.(46)

وأما الكفرُ: فهو نقيضُ الإيمانِ، وهو السترُ والتغطيةُ، وهو العصيانُ والامتناعُ. ومنه: كُفرُ النعمةِ.(47)

وأما البعد الدلالي للاستعمال القرآني فيظهر من خلال تتبع الآيات أن هناك فرقاً بين اللفظين، وكأن العلاقة بينهما علاقة خصوص بعموم، فالكفر، أعم حيث يشمل الفسق أيضاً، فالفسق خروج من حال الطاعة إلى المعصية، وقد يمتد هذا الخروج إلى أن يصل بصاحبه إلى الكفر، فيقال للكافر فاسق ولا يقال للفاسق كافر ما لم يكن قد خرج عن حد الإيمان، يتضح ذلك من قوله تعالى عن إبليس: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.[الكهف: 50]، فهو لم يكن على معصية وبعد عن أوامر الله، إلا أنه رفض السجود لآدم فسمي فاسقاً لخروجه من حال الطاعة التي كان عليها إلى حال المعصية التي انتهت به إلى الكفر. وقال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[النور: 55] فسما الكفر فُسوقاً.

وفي مقام آخر قال تعالى: ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.[البقرة: 197]، فذكر احتمال الفسوق في الحج، وهو الوقوع في معصية، وهذا دليل على أن الفاسق لم يصل إلى حد الكفر، إذا أقلع عن ذنبه وتراجع، أما إن أصر على معصيته مستحلاً لها فحكمه الكفر كما هو حال إبليس في الآية السابقة وهو الخروج من الملة.

وقال في وصف المؤمن العاصي بأنه فاسقٌ ولم يقل كافر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[النور: 4] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[الحجرات: 11]

وتؤكد الآية التالية أنهما بدرجات متفاوتة كما ذكرنا، حيث قال تعالى:﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾. [الحجرات:7] فالكفرُ خروجٌ عن حدِ الإيمان، أما الفِسقُ فخروج عن الحدود التي حدها الله سبحانه. أما الفِسقُ الوارد في الآية السابقة من سورة يوسف فأشار المفسرون بأنه التمرد في الكفر والخروجُ إلى أقصى حدوده.(48)

**- التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين (أتَى و جَاءَ).**

جاء التناوب اللفظي بين فعلين معتلين مهموزين في آيتين متماثلتين، الأول: (أَتَتْهُمْ) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.[التوبة: 70] والثاني: (جَاءَتْهُمْ) في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.[الروم: 9]

وذهب أهل المعجمات إلى تفسير كل لفظ بالآخر فيفسرون جاء بأتى، وأتى بجاء.(49) إلا أنَّ الراغب الأصفهاني حاول التفريق بين الإتيان والمجيء، فقال: الإتيان مجيءٌ بسهولة، ومنه قيل للسيلِ المارّ على وجهه أتي، والمجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولة.(50)

كما أن المتأمل للفظ المجيء في القرآن يجده غالباً ما يأتي في مواضع الشدة والصعوبة أكثر مما هو عليه الإتيان، مثلاً قوله تعالى: ﴿فَإِذا جَاءَ أَمْرُنا وَفارَ التّنّورُ﴾.[المؤمنون: 27]، وقوله: ﴿وجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالحَقّ﴾.[ق: 19]، وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا إمْرَا﴾.[الكهف: 71]، وقوله: ﴿لقَدْ جِئْتَ شِيْئا نُكْرا﴾.[الكهف: 74].وقوله: ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾.[مريم: 27]، وقال: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّا﴾.[ مريم: 89]، وقوله: ﴿فَإذا جاءَت الصّاخّة﴾.[عبس:33 ]، وقوله: ﴿فإذا جاءَت الطّامّةُ الكُبْرَى﴾.[النازعات: 34]، وغيرها من الآيات، فهذا المجيء كله فيه صعوبة ومشقة وشدة.

وأما لفظ الإتيان فغالباً ما يأتي في موضع تغلب فيه السهولة والتدريج، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ. ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.[النحل: 26 -27]، فقوله تعالى في آية التوبة السابقة: ﴿وَأَتَاهُمُ العَذابُ﴾ أي عذاب في الدنيا بدليل قوله في تكملة الآية: ﴿ثُمّ يَوْمَ القِيامَةِ يُخزيهِم﴾. وقوله تعالى: ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾.[إبراهيم 9] وغيرها من الآيات.

فالموقف بالمجيء أشق وأشد مما في الإتيان، فيناسبه الفعل (جَاءَ) دون (أَتَىَ)، بخلاف الفعل (أتى) الذي يستعمل في الغالب لما هو أخف وأيسر. ولعل من أسباب ذلك أن الفعل (جَاءَ) أكثرُ ثقلاً من (أَتَىَ) في اللفظ إذ لم يرد في القرآن فعل مضارع لـ (جَاءَ) ولا أمر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول، ولم يرد إلا الماضي فقط.(51)

بخلاف الفعل (أَتَىَ) الذي وردت كل تصريفاته، فقد ورد منه الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول. فناسب بين ثقل اللفظ وثقل الموقف في (جاء)، وخفة اللفظ وخفة الموقف في (أتى) والله أعلم.(52)

**المبحث الثاني: التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين الثلاثي المجرد والمزيد:**

**أولاً: التناوب فيما جاء على (أفْعَل و فَعَلَ).**

حيث ورد التناوب بين فعلين معتلين أحدهما مثال مجرد وهو (وَجَدَ). والآخر منقوص ومزيد بهمزة قطع وهو (أَلْفَى)، وذلك كما يلي:

- التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين (أَلْفَى و وَجَدَ).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾.[البقرة: 170] وقال تعالى: ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾.[المائدة:104]، فجاء النظم القرآني في الآية الأولى من البقرة بالفعل (أَلْفَيْنَا). وفي الآية الثانية من المائدة بالفعل (وَجَدْنَا) وهما وجها التناوب والاختلاف في الآيتين المتماثلتين، وبلا شك أن كل لفظ أبلغ وأدق في الموضع الذي ورد فيه، مع أن كثيراً من المفسرين ذهبوا إلى أن (أَلْفَيْنَا). بمعنى (وَجَدْنَا).(53)

يقول ابن فارس: "اللامُ والفاءُ والحرفُ المعتلُ أصلٌ صحيحٌ يدلُ على انكشافِ شيءٍ وكشفهِ ويكونُ مهموزًا وغيرِ مهموز".(54) وقال: "الواوُ والجيمُ والدالُ: يدلُ على أصلٍ واحدٍ وهو الشيء يلفيه، ووجدتُ الضالةَ وجدانا".(55) ويقول ابن سيده: "ألفى الشيء وجدَه وتلافاه افتقده".(56)

وذهب ابن عرفةَ إلى ثمة فرق دلالي بين اللفظين، مبيناً أن الوجدان يكون اتفاقاً على غفلةٍ من غيرِ قصدٍ ومنه وجدان الضالة. و(أَلْفَيْنَا) يقتضي وجدان ما كان ثابتًا دائمًا مستقرًا.(57) إلا أن اللغويين قد ذهبوا إلى ثمة فروق دلالية أخرى من حيث العمل فرأوا أن الفعل ألفَى يتعدى إلى مفعولين تقول: ألفيتُ زيدًا قائمًا، وألفيتُ عمرا على كذا. ووجدتُ يتعدى مرةً إلى مفعولٍ واحدٍ، تقول: وجدتُ الضالةَ. ومرة إلى مفعولين،

تقول: وجدتُ زيدًا جالسًا فهو مشترك فكان الموضع الأول باللفظ الأخص أولى لأن غيره إذا وقع موقعه في الثاني والثالث علم أنه بمعناه.(58)

ويرى العكبري وغيره كذلك أن الفعل (أَلْفَيْنَا) متعدٍ إلى مفعول واحد، وقد يكون متعدياً إلى مفعولين، مثل: وجدتُ وهى ها هنا تحتمل الأمرين والمفعول الأول (آبَاءَنَا) و (عَلَيْهِ) إما حال أو مفعول ثان، ولام ألفينا واو لأن الأصل فيما جهل من اللامات أن يكون واوا. (59)

وذهب النيسابوري إلى أن الآية مستأنفة. وإنما خص هذا الموضع بقوله: (أَلْفَيْنَا) لأن (ألفيتُ) يتعدى إلى مفعولين البتة، فكان نصاً في ذلك. فورد في الموضع الأول على الأصل. واقتصر في المائدة ولقمان على لفظ (وَجَدْنَا) المشترك بين المتعدي إلى واحد، والمتعدي إلى اثنين؛ اكتفاء بما ورد في الأول، مع تغيير العبارة عارضوا ما أنزل الله من الدلائل الباهرة بالتقليد فما أغفلهم وأنفسهم فلا جرم أجاب الله تعالى بقوله: "أَوَلَوْ كَانَ".(60)

فيما ذهب أحد المحدثين إلى أن المضي في الفعل (أَلْفَيْنَا) إشارة إلى ما استقروا عليه ووجدوه من دين آبائهم، والفعل فيه بمعنى وجد، ويتعدى إلى مفعول به واحد".(61)

وقد ورد الفعل (ألفى) في القرآن في ثلاثة مواضع تدل على المشاهدة أو المصادفة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ﴾.[الصافات: 69]، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾.[يوسف: 25]، وكذلك ما جاء في [البقرة: 170].(62)

أما الفعل (وَجَدَ) فهو أشمل من الفعل (ألفى) حيث جاء في القرآن قلبياً وغير قلبي، ومشاهد وغير مشاهد مثلاً: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾.[آل عمران: 37] وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾. [الكهف: 86]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللهَّ عِندَهُ﴾.[النور: 39]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾. [الأعراف: 102]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهّ يَجِدِ اللهّ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.[النساء: 110]. والغالب في (وَجَدَ) استعملها للأمور القلبية في القرآن وغيره.(63)

**ثانياً: التناوب فيما جاء على (فَعِلَ و افْتَعَل).**

وقد ورد ذلك في مقام واحد بين فعلين صحيحين أحدهما مجرد. والآخر مزيد بحرفين، وذلك كما يلي:

- التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين (تَبِعَ و اتَّبَعَ).

جاء التناوب اللفظي في هذا المقام بين فعلين ماضيين صحيحين في مقامين متماثلين الأول ثلاثي مجرد (تَبِعَ)، والثاني ثلاثي مزيد بالألف والتضعيف (اتَّبَعَ). حيث قال تعالى في الأول: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[البقرة:38]، وقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾.[طه:123]. قال الخليل: "التابعُ التالي، ومنه التتبع والمتابعة، والاتباع يتبعه يتلوه، تَبِعَه يَتْبَعه تبعاً، والتتبعُ فِعلك شيئاً بعد شيء".(64)

فهما من أصل واحد كما يقول ابن فارس: "التاءُ والباءُ والعينُ أصلٌ واحدٌ لا يشذُ عنه من البابِ شيءٌ وهو التلو والقفو، يقالُ: تَبعتُ فُلاناً إذا تَلوتُه واتبَعتُه، وأتَبَعتُه إذا لحقته".(65) والاتباع في الآيتين الكريمتين: تقفي الأثر بالارتسام والائتمار.(66) ويذكر الكرمانيّ وغيره أن السياق اللُّغويَّ؛ جاء للتأكيد فيرى أنَّ ما جِيءَ في طه بلفظ اتَّبع لموافقة قوله تعالى قبل ذلك: ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾.[طه 108].(67)

والظاهر عند تتبع آيات الاتباع في القرآن الكريم أن كل كلمة تعطي معنىً دقيقاً، وترسم صورة لا ترسمها الكلمة الأخرى وإن كانتا من أصل واحد. فعند الزيادة في المبنى سيزيد في المعنى أيضا، وقد تنبه لذلك ابن الزُّبير الغرناطيّ بحديث مستفيض حول مفهوم اللفظين مؤكداً أنَّ لكلِ لفظٍ تمايزاً عن الآخر؛ لأنَّ لفظ

(تَبِعَ) ثلاثي هو الأصل، ولفظ (اتَّبَعَ) مزيد هو الفرع، وما فيه من زيادة في المبنى يستلزم زيادة في المعنى كما سبق، فإذا اشترك اللفظان في دلالتهما على الاتباع، فإنَّ (تَبِعَ) تدلّ على الاتِّباع الَّذي لا تكلُّفَ فيه ولا مشقة.

وأمَّا (اتَّبَعَ) فإنَّ هذه البُنية (افْتَعَل) تنبئ عن تكلُّفٍ ومشقةٍ، وتحميل للنَّفس طاقة أخرى. ويستدلُّ ابن الزُّبير على هذا الفرق بقوله: ألا ترى قول الخليل -عليه السلام- في إخبار الله تعالى عنه ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾. [إبراهيم 36]، حيث أشار بقوله: فإنه مني إلى الخاصَّة من سالكي سبيله... فعبَّر بما يشير إلى غاية التَّمسك والقرب حين قال: مِنِّي فناسب ذلك قوله: تبعني، يريد: الجري على مقتضى الفطرة، وميَّز الحق بديهًا بسابقة التَّوفيق من غير إطالة نظر أو كبير علاج لِسَبَقِية الهدى ووضوح الشَّواهد. وفي طرف من حال هؤلاء مَنْ قيل فيه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهَّ إِنَّ اللهَّ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.[القصص50]، وهذه الآية وأمثالها مراد بها من تعَامَى عن النظر في الدَّلالات، وترك واضح الاعتبار وحمَّل نفسه – بقدر الله – على ما لا يشهد له نظر ولا يقوم عليه البرهان، فكأنَّهم... عالجوا أنفسهم حتى انقادت طباعهم إلى غير ما تشهد به الفطرة.(68)

ويؤكد ابن الزُّبير على سياق الحال الوارد في سياق القصَّة؛ لأنَّ سورة البقرة لم يُذكر فيها من كيد إبليس كما ذكر في سورة طه فلم يرد في البقرة من كيد إبليس إلاَّ قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾.[البقرة 36] من غير تفصيل وبيان لهذا الإضلال والإغواء، فكانت المناسبة الدَّلالية للفظ (تَبِعَ) التي تعني مجرد الاتباع من غير تعمل، ولا تكلُّفَ، ولا مشقَّة. وأمَّا في سورة طه فكان التَّفصيل، حيث ذكر كيفية الإغواء في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾.[طه 120]، وذكر فيها قوة كيد إبليس واستحكام قبضته وحيلته حتى احتنك كثيرًا من البشر بإغوائهم؛ ومن ثم أصبح تمييز الحق لا يكون إلاَّ بتعمُّل ومشقَّة؛ لذا ناسب (اتبع) فجاء كلٌّ على ما يناسب معنىً، ونظمًا، وإيجازًا، وإطالة، مراعاة لسياق الحال في الآيات محل القصَّة القرآنية.(69)

## المبحث الثالث: التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الفعل الثلاثي المزيد

### أولاً: التناوب فيما جاء على (فُعِّلَ و أُفْعِلِ) ومنه: (نُزِّلَ وأُنزِل)

حيث ورد التناوب اللفظي بين فعلين ماضيين الأول مضعف مبني للمجهول (نُزِّلَ) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾.[الأنعام:37]، والثاني ماض مبني للمجهول مزيد بهمزة قطع (أُنْزِلَ) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾.[العنكبوت: 50] وهما من أصل لغوي واحد، يقول ابن فارس: "النونُ والزاءُ واللامُ: كلمةٌ صحيحةٌ تدلُ على هبوطِ شيءٍ ووقوعِه، ونَزَلَ عن دابتهِ نُزُولاً، ونَزَلَ المطرُ من السماءِ نُزُولاً، والنازلةُ الشديدةُ من شدائدِ الدهرِ".(70)

فجاء الفعل الأول (نُزِّلَ) على صيغة (فُعِّلَ). بينما جاء الفعل الثاني (أُنْزِلَ) بزيادة في المبنى على صيغة (أُفْعِلَ). وكما يُقال: الزيادة في المبنى زيادة في المعنى. وقد وردت آيات كثيرة باللفظين.(71)

وهذه الآياتُ دلَّتْ على مطلقِ النزولِ، إلا أن هناك فرقاً دلالياً بين اللفظين، وأن لكلِ لفظٍ معنى زائد يخالفُ معنى اللفظ الأخرى.

فما كان على وزن (أَفْعَلَ) يدل على النزول دفعة واحدة، وما كان على وزن (فَعَّلَ) يدل على تكرار النزول وتتابعه، لأن صيغة (أَفْعَل) من معانيها في العربية الدلالة على حدوث الفعل دفعة واحدة، وذلك كقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.[البقرة: 185]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾. [الدخان: 3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.[القدر:1]، فالظاهر أن النزولَ كانَ دفعةً واحدةً في شهر رمضان إلى السماء الدنيا ثم نَزَلَ على الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مراحل متفرقة في ثلاثٍ وعشرين سنة.

ويتضح ذلك من صيغة (فَعَّلَ) التي تدل في الآيات على نزول القرآن مفرقاً منجماً على الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَافِي قُلُوبِهِم﴾.[التوبة: 64]

وقوله تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾.[الإسراء: 160] فاستِعمَالُ صيغة (نَزَّلَ) للدلالة على ذلك التفرق والتباعد في النزول واضحة في الآية.

وقد تطرق إلى ذلك الرازي بقوله: "فصيغةُ (نَزَّلَ) تدلُ عليه. والإنزالُ مطلقٌ لكنه إذا قامت القرينةُ يُرادُ بالتدريجِ التنجيم، وبالإنزالِ الذي قدْ قوبِلَ بهِ خلافه أو المطلق بحسب ما يقتضيه المقام".(72)

وقَالَ الرَّاغِب: "الْفرق بَيْن الْإِنْزَال وَالتَّنْزِيل فِي وصف القرآن والْملائِكَة، أَنَّ التَّنْزِيل يَخْتَصّ بالمَوْضِعِ الَّذي يُشِير إلى إِنْزَاله مُتَفَرِّقًا مَرَّة بَعْد أُخرى، وَالْإِنْزَال أَعَمّ مِنْ ذَلِكَ".(73)

وقال القرطبي: "والقرآنُ نَزَلَ نُجومًا: شيئًا بعد شيءٍ، فلذلكَ قالَ: (نَزَّلَ)، والتنزيل مرة بعد مرةٍ. والتوراة والإنجيل نزلا دفعةً واحدةً فلذلك قال (أَنْزَلَ)".(74) و"(نَزَّلَ وأَنْزَلَ) كِلاهما متعدٍ. فقيل: نَزَّلَ للتعدي والمبالغة. وأَنْزَلَ للتعدي".(75)

## ثانياً: التناوب فيما جاء على (فَعَّلَ و أَفْعَّل) ومنه: نّجَّى وأنجَّى)

ورد التناوب اللفظي في الآيات المتماثلة بين الفعل الماضي (نَجَّى) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.[البقرة:49] وبين الفعل (أنْجَّى) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾.[الأعراف:141] وأيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهَّ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. [إبراهيم:6]

وهذه الأفعال تعود إلى أصلٍ لُغويٍ واحدٍ، قال ابن فارس: "النونُ والجيمُ والحرفُ المعتلِ أصلانِ، يدلُ أحدُهما على كَشطٍ وكَشفٍ، والآخرُ على سِترٍ وإخفاءٍ".(76) ويُقال: نَجَا الإنسانُ يَنْجُو نَجاةً، نَجَا يَنْجُو نَجْواً.(77) ويقول ابن منظور: "النجاءُ: الخلاصُ من الشيءِ".(78)

والفعلان وإن كانا من أصلٍ واحدٍ؛ إلا أن لكلٍ منهما دلالة في الاستعمال القرآني، وقد بين ذلك الدكتور فاضل صالح السامرائي في كتابه "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني".(79) حيث قال: إنَّ من الملاحظِ استعمال (نجّى) و(أنجى) في القرآن الكريم كثيرًا فما يستعمل فيه (نَجَّى) فهو للتلبثِ والتمهلِ في التنجيةِ. وما يستعملُ فيه (أنْجَّى) فهو للإسراع فيها. لأنَّ (أنْجَّى) أسرعُ من (نَجَّى) في التخليصِ من الشِدةِ والكَربِ. ثم ذكرَ الآيات ووجّهها بأنَّ الاستعمال يتغير ليتناسب مع السياق.

وقال: لما كانت النجاةُ من البحرِ تحتاجُ للسرعةِ ولم تستغرقْ وقتاً طويلاً استعمل (أنجى). بخلاف البقاء مع آل فرعون تحت العذاب فإنه استغرقَ وقتاً طويلاً ومكثاً، فاستعمل له (نجّى).(80)

وقد جاء اللفظان في سياقات عدة في القرآن الكريم ولعل الفرق بينهما لا يخرج عما ذكره السامرائي، فعند استعماله لفظ (نَجَّى) نجد أنها تنجية من عذاب واقع ودائم ومستمر من تذبيح وتجويع من فرعون وملائه. كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.[البقرة:49]، وكذلك في هودٍ وقومه قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾.[هود: 58]، أي أنهم كانوا في عذاب دائم من قومهم. وكذلك في صالح قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾.[هود: 66]، وقال في شعيب: ﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾.[هود: 94]. وقال في نوح: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾[يونس: 73]. وغيرها من الآيات التي تدل على طول العذاب واستمراره في الناس فنجد أنه استخدم الفعل (نَجَّى) والله أعلم.

أما استعمال لفظ (أنْجَّى) فأنه إنجاءٌ قبلَ وقوعِ أي مكروه أو عذاب سابق فاستعمل الله سبحانه أنجينا في الحديث عن إنجائه لموسى وبني إسرائيل قبل أن يدركهم فرعون في البحر، فقال: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.[سُورَةُ البَقَرَةِ: 50] فإنه تنجية قبل أن يظفر بهم فرعون وقومه إلى أن وصلوا البحر فكان السرعة في الإنجاء مطلوب فاستخدم (أنجى).

وأنجى نوحاً من الطوفان بوسيلة الفُلك، فقال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.[الأَعْرَافِ: 64]، ولوطاً قبل أن يحل العذاب، فقال: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾. [الأَعْرَافِ: 83]، فالإنجاء في الآيات السابقة وغيرها من الآيات، كان قبل وقوع العذاب.

ويبدو من سياق الآيات أن هناك فرقاً آخر فاللفظ (نجّينا) يعني التدخل الإلهي دون طلب من العبد فيكشف الله به كرباً كثيرة، وأما اللفظ (أنّجينا) فقد جاء في سياق طلبٍ ودعاء من العبد والله أعلم.

## ثالثاً: التناوب اللفظي وأثره الدلالي فيما جاء على بناءٍ واحد:

### 1- التناوب فيما جاء على (أفْعَلَ)، مثل: (أغْرَينا وألقينا).

جاء التناوب اللفظي بين فعلين ثلاثيين ماضيين مزيدين بألف القطع في آيتين متماثلتين في سورة واحدة، فجاء في الأولى بالفعل: (أَغْرَيْنَا) حيث قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.[المائدة: 14]، وجاء في الآية الثانية بالفعل: (أَلْقَيْنَا) حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.[المائدة: 64].

قال ابن منظور: "الغِراء: الذي يُلصقُ بهِ الشيءِ يَكونُ من السمكِ، إذا فتحت الغين قصرت، وإن كسرت مددت، تقول منه: غَروتُ الجلدَ، أي ألصقته بالغراءِ".(81)

وفي الآيتين نجد أن الفعل (أَغْرَيْنَا) قد استعمل مع النصارى كما سبق في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾. بينما استعمل الفعل الثاني (أَلْقَيْنَا) مع اليهود في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

وعند تتبع كتب التفسير عن الإغراء لم نقف سوى على قولين عند أبي بكر السجستاني: الأول: (أَغْرَيْنَا): أي هيجناها. والثاني: (أَغْرَيْنَا): أي ألصقنا بهم وذلك مأخوذ من الغراء ولم تخرج دلالته عن ذلك، ولم يعرجوا حسب اطلاعنا على تناوبه بلفظ الإلقاء.(82)

والظاهر من خلال الآيتين أن الإغراء الذي لازم النصارى قد ناسب الحالة التي هم عليها دائمًا من اختلاف فيما بينهم من العداوة والبغضاء، فهم أعداء بعضهم لبعض إلى يوم القيامة، بما يقولون من الجحود والتكذيب، وعداوتهم ظاهرة، فاختلفوا وقُسموا إلى طوائف متعددة، وذلك أن النسطورية، قالوا: إن عيسى ابن الله، وقالت المار يعقوبية: إن الله هو المسيح ابن مريم، وقالت عبادة الملك: إن الله عز وجل ثالث ثلاثة، فقالوا: هو إله، وعيسى إله، ومريم إله، افتراء على الله تبارك وتعالى، وإنما الله إله واحد، وعيسى عبد الله ونبيه صلى الله عليه وسلم. فجعل الله الإلصاق لخلافهم ملازماً لهم إلى يوم القيامة.(83)

وأضاف الطبري في تفسيره عن الربيع قال: إنَّ الله عز ذكره تقدم إلى بني إسرائيل: أن لا تشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وعلموا الحكمة، ولا تأخذوا عليها أجرا، فلم يفعل ذلك إلا قليل منهم، فأخذوا الرشوة في الحكم، وجاوزوا الحدود، فقال في اليهود حيث حكموا بغير ما أمر الله: (أَلْقَيْنَا)، وقال في النصارى: (أَغْرَيْنَا). وأولى التأويلين بالآية عندي أن المعني بالإغراء بينهم النصارى، في هذه الآية خاصة، لأن ذكر "الإغراء" في خبر الله عن النصارى، بعد تقضي خبره عن اليهود، وبعد ابتدائه خبره عن النصارى، فلأن يكون ذلك معنياً به النصارى، خاصة أولى من أن يكون معنياً به الحزبان جميعاً، لما ذكرنا.

ثم ذكر العداوة التي بين النصارى، النسطورية، واليعقوبية، والملكية، مشيراً إلى أن هذا أقرب عنده إلى الصواب، وأشبه بتأويل الآية.(84)

كذلك هو حال اليهود في العداوة فيما بينهم، إلا أنهم يحرصون على إخفائها، والتظاهر بوحدة صفهم، وقد قال الله عنهم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾.[الحشر: 14 ]، فناسبهم الإلقاء الذي جاء في سياق خلافهم على المال، فهم أهل مادة ولذا نجدهم قد اتهموا الله سبحانه بالغل والبخل، وهذا يعكس حبهم الجمّ للمال.

وقيل: أن عداوة اليهود بسبب تحريفهم للتوراة، فهي عداوة محددة بتحريف التوراة. وقد ثبت تحريفهم في ثلاث آيات من القرآن الكريم، منها آيتان في المائدة نفسها، حيث قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾.[المائدة: 13]، وقال أيضاً: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾.[المائدة: 41]، كما قال في النساء: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾.[النساء: 46]

والظاهر من الآية أن عداوة المسيحيين بسبب إيمانهم بتحريفات اليهود فصاروا مثلهم في استحقاقهم العقوبة، إضافة إلى تحريفهم الإنجيل، فزادوا على اليهود في نزول العقوبة عليهم؛ لأنهم أخذوا بالمحرّف من اليهود، إضافة إلى تحريف ما عندهم فاستحقوا الإغراء في العقوبة والله أعلم.

كما أن الإغراء لم يرد في القرآن الكريم إلا مرتين الأول في المائدة كما سبق، وقد جاء بصيغة الماضي (أَغْرَيْنَا). والثاني بصيغة المضارع (لَنُغْرِيَنَّكَ) في قوله تعالى: ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ﴾.[الأحزاب: 60] فلم يرد من مشتقاته إلا ما جاء من المضارع بعكس الإلقاء الذي ورد في مواضع كثيرة ومختلفة.

## 2- التناوب فيما جاء على (انْفَعَل)، مثل: (انفَجَرَ وانبَجَسا)

جاء التناوب اللفظي بين الفعلين الثلاثيين الماضيين في آيتين متماثلتين، الأول: (انْفَجَرَتْ) حيث قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾.[البقرة: 60]، والثاني: (انْبجَسَتْ) في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾.[الأعراف: 160]

قال ابن فارس في الانفجار: "الفاءُ والجيمُ والراءُ: أصلٌ واحدٌ، وهو التفتح في الشَّيء. من ذلك الفَجْرُ: انفِجار الظُّلمة عن الصُّبح، ومنه: انفَجَرَ الماءُ انفجارًا: تفتَّحَ، والفُجْرَة: موضع تفتُّح الماء".(85)

وقال الخليل في البجسِ: "هو انشقاقٌ في قِربةٍ، أو حجرٍ، أو أرضٍ ينبُعُ منهُ الماءُ، فإن لم ينبع فليس بانجباسٍ".(86) وقال ابن فارس فيه: "الباءُ والجيمُ والسينُ: تَفَتُّح الشيء بالماءِ خاصّة".(87)

وأما التناوب بين اللفظين في آيتي البقرة والأعراف فقد جاء لمناسبة السياق القرآني، حيث خلص أهل التفسير إلى معنيين لم يبتعدا عن أهل اللغة، فقيل: (انْفَجَرَتْ) لأن الانفجار انصباب الماء بكثرة. وقيل: (انْبَجَسَتْ) لأن الانبجاس ظهور الماء ببطء.(88) فناوب بين اللفظين مع أن القصة واحدة، والموضوع واحد.

إلا أنهم اختلفوا في مسالة التقديم والتأخير، فقال بعضهم: أن الانفجارَ جاءَ درجةً ثانيةً بعد أن بدأ بالانبجاس تدريجياً إلى أن حصل الانفجار.(89) وذهب آخرون إلى أن الانفجار حصل أولاً لشدة حاجتهم إلى الماء فناسب التعبير به، ثم تلاشى الماء تدريجياً وقلَّ فناسب ذلك الانبجاس.(90)

وخلص السامرائي إلى أن كِلا الأمرين قد حصل، حيث انفجرت أولاً بالماء الكثير، ثم قلَّ الماء بمعاصيهم، فأخذت تنبجس، فذكر حالة الانفجار في موطن، وحالة الانبجاس في موطن آخر، فالأمران واقعان؛ وكلاهما حقيقة غير أنه ذكر حالة كل منهما تبعاً لما يقتضيه السياق وسرد بعض الفروق بين الفعلين، منها: أن موسى هو الذي استسقى في سورة البقرة: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾، فناسب إجابته بانفجار الماء. في حين ذكر في سورة الأعراف أن قومه هم الذين طلبوا منه الاستسقاء: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾، والحالة الأولى أكمل، فناسب إجابته بانفجار الماء دون الثانية.

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾، أي أن الله قال ذلك لموسى قولاً، في حين ذكر في الأعراف أن الله أوحى إلى موسى بذلك وحياً: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾، والحالة الأولى أكمل وأتم، فإن القول الصريح من الله أكمل وأقوى من الوحي، فناسب ذلك ذكر الانفجار في البقرة، والانبجاس في الأعراف.(91)

**المبحث الرابع: التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين الفعل الثلاثي المزيد، والرباعي المضعف**

- وقد ورد ذلك في موضع واحد فيما جاء على (أفْعَل و فَعْلَلَ)، ومنه: (أزَلَّ ووَسْوَسَ).

حيث ورد التناوب اللفظي بين الفعل الثلاثي المزيد (أَزَلَّهُمَا) في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾.[البقرة:36]، وبين الفعل الرباعي المضعف (وَسْوَسَ) في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾.[الأعراف: 20]

قال الخليل: "زلَّ السهمُ عن الدرعِ زَليلاً، والإنسانُ عن الصخرةِ يزِلُ زَلِيلاً، فإذا زلَّتْ قدمُه قيل: زَلَّ زَلاً وزَلولاً، وإذا زَلَّ في مَقالٍ أو نحوه قيل: زَلَّ زَلَّةً وزللاً".(92) والزَلَلُ غالباً ما يكون في أمرٍ غير مرغوب، يقول ابن دريد: "زَلَّ الشيءُ عن الشيءِ إذا دحضَ عنه، يزِلُ زَلاً وزَلِيلاً. وزَلَّ الرجلُ زَلَّةً قبيحةً إذا وقعَ في أمرٍ مكروه أو أخطَأ خَطأً فاحِشًا".(93) وقال ابن فارس: "الزاءُ واللامُ: أصلٌ مطردٌ منقاسٌ في المضاعَف، وكذلك في كل زاء بعدها لام في الثلاثي، وهذا من عجيب هذا الأصل تقول: زلَّ عن مكانه زَليلاً وزَلاً".(94) وذكر المناوي في تعريفه: أن "الزَلَّةُ في الأصلِ استرسالُ الرجل من غير قصد".(95)

وأما الوَسْوَسَةُ: فهي حَدِيثُ النَّفْسِ، والوَسْواسُ الصوتُ الخفي".(96) و"الوِسْواسُ بالكسر المَصدَر. والوَسْواس: الشيطانُ".(97)

وذهب بعض المفسرين إلى أن الزللَ في الآيةِ يعني الإخراج من حالٍ إلى حال.(98) فقال بعضهم في تفسيرهم: "(فأَزَلَّهُمَا) يعني (استمالَ) آدمَ وحواءَ فأخرجهما ونحاهما".(99) وقال أبو حيان: "أزَلَّ: من الزلَلِ، وهو عُثورُ القدمِ. يقال: زَلَّتْ قدمه، وزَلَّتْ به النعلُ. والزَلَلُ في الرأي والنظر مجاز، وأزَالَ: من الزوالِ، وأصلُه التنحية. والهمزةُ في كِلا الفعلين للتعدية".(100)

أما الوَسْوَسَة: "فهي إخفاء الصوت بالدعاء، يقال وَسْوَسَ له إذا أوهمه النصيحةَ، ووَسوَسَ إليه إذا ألقى إليه".(101) و(وَسْوَسَ) عُدي بإلى لأنه بمعنى أسرَّ، وعداه في موضع آخر باللام لأنه بمعنى ذكر له أو يكون بمعنى لأجله".(102)

وللقراءات أثر كبير في تفسير الآيات القرآنية وتوجيه الدلالة اللغوية ومنها قرأة (أَزَلَّهُمَا) فهذا ابن عرفة يقول: إن المفسرين ذهبوا في تفسيرهم إلى أمرين حيث قال: (أَزَلَّهُمَا) فسرُوه بأمرين إما (أوقعهما) في الزَلةِ والإثمِ، فالضميرُ في (عنها) للجنةِ، أو للشجرة فهو معنوي، وإما حسي من الزوال فالضمير في (عنها) للجنة. وقرأ حمزة، (فَأَزَالَهُمَا) .(103) وهو نص في الزوال الحسي فتكون (مرجحة) (لإرادته) في القراءة الأولى. قال ابن عطية: لما دخل إبليس لآدم سأله عن حاله فقال (له): ما أحسن هذا لو أن خلدا (كان) فوجد به السبيل إلى إغوائه. وقال: هذا إلهام (للنطق) بما وقع في الوجود حيث قال إبليس: هل أدلك على شجرة الخلد.(104) وللقراء آراء أخرى لا يتسع المقام لذكرها الآن إلا أننا اقتصرنا في المقام الأول على الجانب الدلالي في تفسير ابن عرفة.(105) والفعل: متعدٍ من أَزَلَّ القدمُ وأزالها بالألفِ من الزوال.(106)

وأضاف أبو حيان: "أن الهمزة: كما تقدم في أَزَلَّ للتعديةِ، والمعنى: جعلهما زَلا بإغوائه وحملهما على أن زَلا وحَصَلا في الزَلّةِ، هذا أصل همزة التعدية. وقد تأتي بمعنى جعل أسبابَ الفعل، فلا يقع إذ ذاك الفعل".(107)

والخلاصة تبدو أن الأمرَ مَرّ بعدةِ مراحلَ حتى تم الإغواء، فبدأ إبليس بالوسواسِ وهو الصوتُ الخفي كما سبقَ، ثم جاءتْ المرحلة الثانية بعد تصديق آدم له حينها حصلَ الزلل وهو زَلّ قدمه إلى المعصية.

## الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

- استثارة العقل للتفكير والتدبر في آيات الله عامة، وعلى وجه الخصوص المتماثلة منها لما لها من بعد دلالي يستوجب الوقوف عنده، والبحث فيه.
- أن التناوب اللفظي في الأفعال الماضية الواردة في الآيات المتماثلة لم تأت من باب الترادف، وإنما لكل لفظ في الاستعمال القرآني دلالته الخاصة به، التي تميزه في الاستعمال عن غيره، فلا يتم المعنى إلا به.

- أن التناوب اللفظي في القرآن الكريم مرتبط بالإعجاز اللغوي، لما فيه من أسرار لا تتجلى إلا للمتأمل والمتعمق فيه، لذا لا يمكن لأحد أن يدعي الفصل في توجيه الآيات المتماثلة، فالقرآن جديد متجدد لكل زمان، فلا يسع أحد أن يحيط به مهما بلغ علمه.
- أن السياق اللغوي من أهم الأسس التي يقوم عليها توجيه الآيات المتماثلة في القرآن الكريم، وتتبع أثرها الدلالي، فالألفاظ المتناوبة في الآيات المتماثلة وضعت وضعاً فنياً مقصوداً، يحمل معنى خفياً لمناسبة معينة يحددها المقام، أو السياق الذي وردت فيه، فلا تتوقف عند حدود المعنى المعجمي، بل لا بد من النظر في السياق العام للتوصل إلى المناسبة وبعدها الدلالي.
- اتضح أن تعليقات المفسرين استحضرت الجانب اللغوي، وأولته عناية كبيرة في تفسير الألفاظ المتناوبة في القرآن الكريم، لما يحمله من إعجاز وأسرار دلالية.
- لم تكن القواعد النحوية فاصلة في إيجاد البعد الدلالي بين الألفاظ المدروسة، خاصة في باب التعدي، كما هو الحال في (سلك وألفينا).
- أن التناوب اللفظي الوارد في الآيات المتماثلة، جاء من محض كلام العرب، فلم يأت نتيجة لتعدد اللغات أو اللهجات.
- التسليم بأن القرآن الكريم كل لا يتجزأ، يفسر بعضه بعضا، ويشرح بعضه بعضا.
- أن أغلب الألفاظ المتناوبة جاءت من الثلاثي المجرد، ثم الثلاثي المزيد، واقتصر الرباعي على لفظ واحد مضعف هو الفعل (وسوس).
- يتسم الأسلوب القرآني بتناوب الألفاظ، واتساقها مع المشاهد المتعلقة بحياة الموقف، حيث نجد الكلمة بذاتها من جذر لغوي واحد، تأتي في عدة سياقات ولها دلالة مختلفة في كل سياق، بحسب ما يقتضيه المعني ويتطلبه المقام، كالتناوب بين (نجَّى وأنجَّى، ونزل وأنزل) وغيرها من الألفاظ.

## الهوامش والإحالات:

(1)كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه المتوفى سنة 180 هـ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل –بيروت– ط/ 1 : 1 / 12.

(2) المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق:محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب – بيروت– 1/ 3. وينظر: الأصول في النحو،أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي، تحقيق:د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ 3، 1988م: 1/ 36 .

(3) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين بن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، سوريا، 1985م: 1/ 13.

(4) همع الهوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبدا لحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، – مصر– 1/ 25.

(5) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة المغرب –الرباط– 1994م: 90.

(6) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهة في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، دار الآفاق الجديدة –بيروت– ط/ 3، 1979م: 179.

(7) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تاج القراء الكرماني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية –بيروت– ط/ 1، 1986م: 164.

(8) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي – بيروت– د ت 1/ 86.

(9) مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل –بيروت– ط/ 2، 1999م: 4/ 511 (فعل).

(10) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المتوفى 458هـ، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت– ط/ 1، 2000م: 2/ 163 (فعل).

(11) الكتاب 1 / 12.

(12) شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، ط/ 1، 2001م: 4/ 205.

(13) شرح الكافية لرضي الدين الاسترأباذي، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قان يونس –بن غازي ليبيا– 1996م: 4/ 5.

(14) المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى 538 هـ، تحقيق: د.علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال –بيروت– ط/ 1، 1993م: 1/ 319.

(15) المحكم والمحيط الأعظم 10/ 520 (نوب) وينظر: مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ط/ 1، 1415 – 1995م: 285 (نوب) وكتاب الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت – 1419هـ – 1998م: 1 / 914.

(16) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث –القاهرة– ط/ 2001م: 659 – 661 (مثل).

(17) مقاييس اللغة 4/ 145 (عمل).

(18) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر –بيروت– ط/ 1، د. ت: 11 / 475 (عمل).

(19) الفرق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية –بيروت– د. ت:110.

(20) ينظر: دراسات مصطلحية، مجلة حولية محكمة، مفهوما "العمل" و"الفعل" والعلاقة بينهما في ضوء الاستعمال القرآني، د. عبدالكريم مصلح البحلة، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية ومعهد الدراسات المصطلحية، العدد الثالث عشر والرابع عشر 1435 – 1436هـ الموافق 2013 – 2014م: 167.

(21) المطلع على أبواب الفقه، محمد بن أبي الفتح البعلي، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي –بيروت– ط/ 1، 1981م: 1/ 235.

(22) ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية –بيروت– ط/ 1، 1996م: 1/ 235.

(23) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية –بيروت– ط/ 1، 1995م: 2 / 315.

(24) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية –بيروت– ط/ 1، 1998م: 8 / 26.

(25) ينظر: أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام –القاهرة– ط/ 2، 1396م: 1/ 123 و 193. وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان 6 / 103.

(26) أسرار التكرار في القرآن 1/ 185. وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان 6 / 103.

(27) ينظر: تهذيب اللغه 10/ 38 (سلك).

(28) مقاييس اللغه 3/ 97 (سلك).

(29) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي و د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال – بيروت– ط/ 1، د. ت: 1/ 229 (جعل).

(30) مقاييس اللغه 1/ 460 (جعل).

(31) إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب – بيروت– ط/ 3، 1988م: 3/ 41.

(32) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، والدار الشامية – دمشق، بيروت – ط/ 1، 1415: 2/ 697.

(33) تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض– ط/ 1، 1418هـ– 1997م: 3/ 335.

(34) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان– د. ت: 239.

(35) ينظر: أسرار التكرار في القرآن 1/ 139.

(36) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997م: 16/ 139.

(37) ينظر: نفسه 16/ 236 و23/ 139.

(38) ينظر: التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية –بيروت– ط/ 1، 2000م: 27/ 169.

(39) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 28/ 208 (جعل).

(40) ينظر: العين 4/ 241 (ختم).

(41) مقاييس اللغه 2 / 245 (ختم). وينظر: غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، تحقيق : د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ط/ 1، 1405: 2 / 557 والنكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت– د.ت: 1/ 150.

(42) مقاييس اللغه 3 / 438 (طبع).

(43) ينظر: تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية –بيروت– ط / 1، 2001م: 1/ 178.

(44) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، د.ت: 73.

(45) ينظر: اللباب في علوم الكتاب 7 / 109 وتفسير التحرير والتنوير 6 / 17.

(46) ينظر: العين 5/ 82 (فسق) ومقاييس اللغة 4/ 502 (فسق) ولسان العرب 10/ 308 (فسق).

(47) العين 5/ 356 (كفر) ومقاييس اللغه 5/ 191 (كفر) ولسان العرب 5/ 144 (كفر).

(48) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1/ 497. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت– د.ت: 4/ 142 وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت– د.ت: 11/ 112.

(49) ينظر: لسان العرب 14/ 14 (أتى) و 1 ص51 (جيأ) و مختار الصحاح 50 (جيأ)

(50) ينظر: المفردات في غريب القرآن 1/ 103 والإتقان في علوم القرآن جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر -لبنان – طأ 1، 1416هـ- 1996م: 2 / 570 و التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت ، دمشق – ط/ 1، 1410: 1/ 32 روح المعاني 19 / 16.

(51) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم 229 – 234 (جاء).

(52) ينظر: نفسه 5 – 14 (أتى).

(53) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ 1، 2003م: 2 / 145. كتاب غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة – 1416هـ- 1995م: 1/ 50. وتفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة -القاهرة – ط/ 1، 2002م: 1/ 194 . والتبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، دار الصحابة للتراث بطنطا – مصر – ط/ 1، 1992م: 1/ 117. وغيرهم.

(54) مقاييس اللغه 5 / 258 (لفا).

(55) نفسه 6 / 86 (وجد).

(56) المحكم والمحيط الأعظم 10/ 418 (لفي).

(57) ينظر: تفسير الإمام ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس – ط/ 1، 1986م: 2 / 117.

(58) ينظر: أسرار التكرار في القرآن 1/ 37.

(59) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري تـ 616 هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه للطباعة والنشر، 1 / 139. وإملاء ما من به الرحمن من وجوه

الإعراب والقراءات، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري تـ 616 هـ، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية –لاهور– باكستان، 1 / 75. اللباب في علوم الكتاب 3 / 157.

(60) ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان 1/ 75.

(61) ينظر:الفعل في سورة البقرة دراسة لغوية، د. فتح الله أحمد سليمان، مكتبة الآداب –القاهرة– ط/ 1، 1997م:148.

(62) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب – القاهرة– د.ت: 15/ 88 وتفسير البغوي، البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة – بيروت– د.ت: 2 / 421 والكشاف، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت– د.ت: 2/ 432.

(63) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب 1/ 345.

(64) العين 2 / 78 (تبع).

(65) مقاييس اللغه1/ 362 (تبع).

(66) ينظر: المفردات في غريب القرآن 72.

(67) ينظر: أسرار التكرار في القرآن 1 / 26 وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان 1/ 265.

(68) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، أبو جعفر بن الزبير، تحقيق: سعد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط/ 1، 1983م: 1/ 190 – 191 و466.

(69) ينظر: ملاك التأويل 2/ 721.

(70) مقاييس اللغة 5 / 417 (نزل).

(71) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم 788 – 792 (نزل).

(72) الكشاف 1 / 127. وينظر: التفسير الكبير 2 / 107.

(73) المفردات في غريب القرآن 489.

(74) الجامع لأحكام القرآن 4/ 5. وينظر: تفسير البحر المحيط 3/ 387.

(75) أسرار التكرار في القرآن 1/ 194.

(76) مقاييس اللغة 5/ 397 (نجا).

(77) ينظر: المحيط في اللغة، أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين عالم الكتب - بيروت- ط/ 1، 1414هـ-1994م: 7/ 188 (نجو).

(78) لسان العرب 15/ 304 (نجا).

(79) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار النهضة -القاهرة- ط/ 2، 2006م: 66-71.

(80) ينظر: نفسه 66.

(81) لسان العرب 15/ 121 (غرا).

(82) ينظر: كتاب غريب القرآن 1/ 56 ومعاني القرآن للنحاس، تحقيق : محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المرمة - ط/ 1، 1409: 2/ 283 وتفسير ابن زمنين 2/ 17.

(83) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 288 و2/ 313 ومعاني القرآن 2/ 283.

(84) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر -بيروت- ط/ 1، 1405هـ: 6/ 160.

(85) مقاييس اللغه 4/ 475 (فجر).

(86) العين 6/ 58 (بجس).

(87) مقاييس اللغه1/ 199 (بجس).

(88) ينظر: أسرار التكرار في القرآن 1/ 30. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 2/ 466 وملاك التأويل 1/ 311.

(89) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي -لبنان- ط/ 4، 1983م: 2/ 52 وتفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر - بيروت - 1401هـ: 1/ 102 واللباب في علوم الكتاب 2/ 107 الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت- ط/ 1، 2002م: 1/ 204.

(90) ينظر: التفسير الكبير 3/ 466 والإتقان في علوم القرآن 3/ 307.

(91) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 112- 114 والتعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار عمار –عمان- ط/ 3، 2004م: 312 – 313.

(92) العين 7/ 348 (زلّ).

(93) جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد، تحقيق: الدكتور/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت- ط/ 1، 1987: 1/ 130 (زلل).

(94) مقاييس اللغه 3/ 4 (زل).

(95) التعاريف 388.

(96) ينظر: العين 7 / 335 (وسوس).

(97) تهذيب اللغة 13 / 92 (وسوس).

(98) ينظر: تفسير الطبري 1/ 234. وتفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر –بيروت- د. ت: 1 / 71.

(99) تفسير الثعلبي 1 / 94.

(100) تفسير البحر المحيط، 1/ 311. وينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن 1/ 77 وغيرهم.

(101) النكت والعيون (تفسير الماوردي). 2/ 209.

(102) ينظر: التبيان في إعراب القرآن 2/ 906. تفسير البحر المحيط 6/ 128.

(103) التيسير في القراءات السبع، أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني تـ 444هـ، قراءة وتعليق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة بطنطا –مصر- ط/ 2002م: 55.

(104) ينظر: تفسير ابن عرفة 2 / 77.

(105) ينظر: السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف –مصر- ط/ 2، 1400هـ: 1/ 154. والحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت – ط/ 4، 1401: 1 / 74.

(106) ينظر: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل 1/ 44.

(107) تفسير البحر المحيط 1 / 311.

# نقش سبأي جديد من جبل كنن(مدينة نعض) (Ab1)

## (دراسة في الدلالة اللغوية والتاريخية)

د. أحمد صالح العبادى *

**المدخل:**

بداية أشكر الأستاذ/ محمد سعدأحمد الشرعي، مدير عام متحف الآثار بجامعة ذمار ، الذي لفت نظر الباحث إلى هذا النقش وإقناع صاحب النقش الذي يوجد بحوزته بالسماح بتصويره ونشره، وهو من أهالي قرية نعض (حاليا) جنوب غرب جبل كنن، ينظر(خارطة 1)، موقع العثورعلى النقش.

وهو نقش سبئي جديد من نقوش الإهداءات، وقد رمز له الباحث **بالرمز(AB1)**، وهو الرمز الذي سيعتمده الباحث في النقوش التي سيقوم بنشرها مستقبلا إن شاء الله، والرمز إختصار لاسم الباحث متبوعا برقم تسلسلي للنقش المراد نشره.

* أستاذ التاريخ القديم المشارك / قسم التاريخ / كلية الآداب، جامعة ذمار، الجمهورية اليمنية

**(Ab1)** اختصار لتسمية مجموع النقوش التي سيقوم الباحث بنشرها مستقبلا.

والنص مدون بخط المسند البارز على لوح من البرونز، مستطيل الشكل، مؤطر من جميع جهاته ومزين بأفريز أسفل الأطار أعلى النقش باشكال مثلثات بارزة، واللوح مثقوب بأربعة ثقوب في زواياه الأربعة، يبلغ طول اللوح 40 سم، وعرضه 25سم، يتألف النص من أحد عشر سطراً، تم تدوينها داخل إطار اللوح، بخط المسند البارزالمعروف من قبل في لوحات برونزية أخرى مماثلة.

ونرجح أن النقش يرجع تاريخه إلى منتصف القرن الثاني الميلادي وذلك إستنادا إلى طريقة الخط الذي كتبت به نقوش هذه المدة وأسلوبه ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ماتضمنه النقش من أسماءأقيال ينتسبون إلى قبيلة ذمري المعروفة، والتي برزت في النقوش خلال هذه المدة، بوصفها القبيلة التي يتزعمها أقيال من بني (جرة/ جرت) ثم أنتقلت زعامتها إلى أقيال بني (ذي رنح/ ذرانح)،كما هو الحال في هذا النقش موضوع الدراسة، ونقش آخر (Ir5) نشره المرحوم مطهر الإرياني في كتابه نقوش مسندية وتعليقات.

ومن الواضح أن قيالة بني ذمري قد آلت إلى أقيال بني ذرانح بعد وصول أقيال ذمري(سعد شمس أسرع، وابنه مرثد يهحمد) إلى سدرة الحكم، وورد ذكرهم في النقوش بأنهما ملكاً سبأ وذو ريدان ابنا إيل شرح يحضب الأول، ملك سبأ وذوريدان، ولم يكونا ابنيه فعلا بل تبناهما تبنياً سياسياً يقوم على أساس التحالف السياسي، وكان لأقيال ذمري من بني ذرانح دور بارز في الحروب إلى جانب أسيادهم (سعد شمس أسرع، وأبنه مرثد يهحمد)، ملكي سبأ وذو ريدان، كما سيتضح لنا من خلال دراستنا لهذا النقش.

صورة النقش بحروف خط المسند:

| رقم السطر | النص بالحروف السبئية | النص بالحروف العربية |
|---|---|---|
| 1 | 𐩣𐩧𐩲𐩧𐩣𐩠𐩲𐩨𐩠 | ردع م/ و ب ن هـ و/ ن ب |
| 2 | 𐩠𐩲𐩣𐩨𐩧𐩠𐩲𐩧𐩥𐩣 | ط ا ل/ و ن ش ا ك ر ب/ و |
| 3 | 𐩱𐩧𐩨𐩥𐩠𐩧𐩲𐩣𐩥 | إ ل ر ب/ ب ن و/ ذ ر ن ح |
| 4 | 𐩨𐩦𐩥𐩧𐩲𐩣𐩨𐩠𐩧 | أ ق و ل/ ش ع ب ن/ ذ م ر |
| 5 | 𐩠𐩦𐩱𐩥𐩠𐩰𐩧𐩠 𐩱𐩰 | ي/ ه ق ن ي و/ إ ل هـ م و |
| 6 | 𐩰𐩤𐩠𐩦𐩢𐩢𐩠𐩨𐩡𐩠 | ع ث ت ر/ ع ز ز م/ ع د ي |
| 7 | 𐩱𐩱𐩱𐩧𐩠𐩧𐩥𐩱𐩧𐩧 | ك ن ن/ ح ج ن/ و ق هـ هـ م |
| 8 | 𐩱 𐩥𐩠𐩧𐩱𐩥𐩠 𐩱𐩣𐩰 | و/ ب م س أ ل هـ و/ و أ م |
| 9 | 𐩠𐩠𐩰𐩱𐩱𐩰𐩧𐩰𐩱𐩨 | ر هـ و/ ل و ف ي هـ م و/ و و |
| 10 | 𐩧𐩥𐩠𐩰𐩱𐩡𐩰𐩣𐩥𐩰𐩰 | ف ي/ أ ب ي ت هـ م و/ و أ ق |
| 11 | 𐩠𐩱𐩨𐩱𐩱𐩧𐩥𐩠𐩰𐩱𐩱 | ن ي هـ م و/ و أ ث م ر هـ م و |

## نقل المعنى

رادع وأبناؤه نبط إل، ونشأ كرب، و إل رب بنو ذرانح أقيال (زعماء) الشعب ذمري، قدموا هذا النقش البرونزي لمعبودهم (إلههم )عثتر عززم ( عثتر العزيز) في معبده الواقع قمة جبل كنن، وذلك حسبما أمرهم به (أولما أوحى به إليهم المعبود ) في مكان سؤاله (محرابه) وأمره، لسلامتهم، وسلامة بيوتهم ، وأملاكهم، وثمارهم.

**الحاشـية:**

**س 1:- ردعم** : اسم صاحب النقش، وهو اسم علم مفرد مذكر، يقرى على صيغة اسم الفاعل (رادع) والميم اداة للتنوين، كما يمكن أن يقرى(رداع)، وهو من الجذر، ردع ، بمعنى " كف عن الشي" وهو أيضاً، بمعنى" صد، سد"[1]، ويعتبر من أسماء الأعلام الشائعة والمعروفة التي ترد في النقوش اليمنية القديمة[2] .

ـــــ: **وبنهو**: الواو حرف عطف، بنهو اسم جمع يدل على النسبة إلى الأب أي وأبنائه (نبط إيل، ونشأ كرب، وإيل رب) .

س1- 2: نبط إل: اسم علم مركب من الفعل نبط: بمعنى: "حفر بئر، حتى الماء" في السبئية[3] وباللغة العربية نجده نفس المعنى "أستخرج الماء"[4] وبذلك فإن معنى هذا الجزء من الاسم يعد مستخرج الماء[5]، وقد سُمي الأنباط الذين أقاموا دولة الأنباط المعروفة في الأردن حالياً بهذا الاسم، لأنهم كانوا يستنبطون الماء من بطن الأرض ويبيعونه للقوافل التجارية، و إل: اسم المعبود السامي المشترك القديم. ولذلك يمكن ان يكون الاسم مركباً على هيئة الجملة الفعلية ( منح إل ، موفر ماء إل)

ـــــ: **نشأ كرب**: اسم علم مركب، من نشأ، وكرب، والاسم نشأ، يأتي في المعجم السبئي بمعنى " قام بعمل، رفع "[6]، كما يرد بصيغة الفعل المزيد في النقوش اليمنية القديمة ( تنشأ) على وزن (تفعل)، بمعنى "أثار(قتالاً)، شن (حرباً) "[7]،ويأتي الجذر في العربية الفصحى بمعنى " ارتفع، ظهر على، أو من بلغ قامة الرجُل أي: صار شاباً "[8] ويمكن قراءته ناشئ كرب، أي الخالق أو الرافع (المعبود).

**وكرب**: الاشتقاق الآخر للاسم، وهو من الجذر (كرب) بمعنى: "نفذ، تقيد بأوامر، التزم"[9] ، وكذلك "جمع، حشد"[10].

وفي المعجم السبئي، بمعنى: "بركة ، نعمة ، فضل"[11] أي(كثير البركة)، ويرد هذا الاسم في النقوش اليمنية ضمن الاسماء المفردة كـ( كرب ، كريب )، والمركبة:( كرب إل، أب كرب، أخ كرب)[12] نشأ كرب : من الأسماء المركبة التي ترد في معظم النقوش اليمنية القديمة[13]، وبخاصة النقوش السبئية[14]

**س3 : إل رب**: اسم علم مركب على صيغة الجملة الإسمية، من إل : أي المعبود، ومن الجذر ربب، بمعنى: "ملك ،حاز، رهينة" في السبئية[15]، ونجد الجذر في الآرامية يأتي بمعنى: " عظيم"[16] ويكون مفهوم الاسم بذلك(المعبود العظيم، المعبود الملك).

**ـــ: بنو ذرنح**: (بنوا): اسم جمع يدل على نسبة اصحاب النقش ووالدهم، إلى عائلة واحدة وهي (ذرنح) أي قبيلة (الذرانح)، والاسم من الجذر ذرح، بمعنى: " قوي، شديد، عظيم "[17] و ذرنح: من اسماء الأعلام المعروفة في النقوش اليمنية القديمة [18]، ويرد اسماً لقبيلة [19]، ويطلق على اصحابها لقب (الذرانح)[20] .

والاسم في هذا النقش هو لقبيلة الذرانح، ويعد أصحابها من الأذواء[21]، كما يشير(**الصلوي**) إلى أن الذرانح من أهم الأقيال المذكورين في نقوش اليمن القديم [22] وهذا ما هو موضح على النقش قيد الدراسة (بنو ذرنح أقول شعبن ذمري)، أي أقيال قبيلة ذمري.

والمقر الرئيس لهذه القبيلة غير معلوم بدقة، إذ وجد لهم ذكر في النقش **(Ir 40)** من مصنعتهم (تعرمن) قدياً(بيت ضبعان) حالياً، ونجدهم في النقش**(RES479)** الذي يذكر قصرهم المسمى صنع بمدينة يكلا (النخلة الحمراء) حالياً، والمنحوتين على صدري تمثالي الملك (ذمار علي يهبر)، وابنه (ثأران) (23) ومن المحتمل أنهم استقروا في مدينة يكلا.

وكان لهم دور بارز في زعامة قبيلة (ذمري وسمهر) خلفاً لقبيلة (ذو جرة)، التي صار أصحابها ملوك سبأ وذا ريدان[24]

فضلاً عن إسهامهم الفاعل في الأحداث السياسية في منتصف القرن الثاني الميلادي، إذ كانوا من المرابطين في الرحبة شمال شرق صنعاء أثناء الحرب التي كانت بين الملك (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد يهحمد) ملكي سبأ وذي ريدان ضد التحالف المشرقي [25]، الذي كان يرأسه (يدع إل) ملك حضرموت و(وهب إل) من بني معاهر [26]، الذي ورد في النقش المعرف بـ(Ja 629)،وضم كلا من خولان وحضرموت وقتبان وردمان ومضحي ، ومن أنضم إليهم من أعراب ،وحققوا انتصارات ساحقة على خصومهم.

كما ورد في النقش (Ir 5) أن القيل (شرح إل أسأر الذرنحي)، من بني ذرانح أقيال قبائل ذمري، تقرب بصنم ذهبي من البرونز، معبراً به عن حمد شرح إل الذرانحي لقدرة وقوة المعبود (إل مقه) بعل أوام، لأنه

حفظ وسلم سيدهم سعد شمس اسرع، وابنه مرثد يهحمد ملكي سبأ وذو ريدان أبني إل شرح يحضب ملك سبأ وذو ريدان، وكل الحشد الذي شايع سيدهم، في غزوة غزوها إلى أرض ردمان لمواجهة جموع يدع إل ملك حضرموت ووهب إل المعاهري والجيوش والقبائل التي كانت معهم في هذه الحرب.

و مما هو جدير بالإشارة إليه أن ملكي سبأ وذي ريدان سعد شمس اسرع وأبنه مرثد يهحمد ليسوا أبناءً حقيقيين للملك إل شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان، وإنما هما ابناءه بالتبني السياسي نظراً إلى الأعمال الجليلة التي قاما بها في الحروب مع الملك إيل شرح يحضب الأول ،كما أستمر ذكر بني ذرانح في أواخر القرن الثالث الميلادي كأقيال قبيلتي (قشم ومضحي) ولم يذكر أنهم أقيال ذمري كما كانوا من قبل (**RES 4196**).

**س4: أقول**: اسم علم وهو جمع قيل، بمعنى: "تولى منصب"[27] والقيل أو قول، وجمعها "أقيال، أقوال، مقاول" مصطلح عرف في اليمن القديم من خلال النقوش، و يطلق على من يقوم بتولي إدارة شؤون الإقليم أو المخلاف أو المقاطعة باسم الملك في العاصمة المركزية مثل مأرب، وظفار، في حالة وجود دولة مركزية قوية، وكان الأقيال يستقلون بالحكم في حالة ضعف الدولة المركزية[28]

ـــــ:**شعبن**: اسم علم شعب، والنون آخر الاسم للتعريف ،كما هو معروف في اللغة اليمنية القديمة، أي (الشعب) بمعنى " القبيلة أو البلدة "[29] وكان يطلق على قبيلة أو مجموعة قبائل في جنوب الجزيرة العربية (اليمن القديم)[30]، فاللفظ يشمل معنى واسعاً، يدل على تجمع كبير يضم قبائل عدة في تكوين اجتماعي وسياسي واحد، مثل شعب سبأ، وشعب همدان[31] **وشعب ذرانح** في هذا النقش.

**س4-5: ذمري**: اسم علم (قبيلة، حلف) وهو بمعنى "ما يلزمك حفظه وحمايته"[32].

كما يرد اسماً (لقبيلة) في النقوش اليمنية القديمة، وقد ورد اسم قبيلة ذمري في عدد من النقوش، ذكرت فيها جميعا بوصفها القبيلة التي يتزعمها الأقيال من بني (جرت/ جرة)[33]

و يبدأ ذكرها كقبيلة في النقوش المعروفة بعهد (كرب إل بين) **(Av. Nocd 9 ; Ja 643-643 bis)** حوالي (أواخر القرن الأول الميلادي) وتنتهي بعهد شمر يهرعش (Ja 650) حوالي (أواخر القرن الثالث الميلادي) [34] ، وكان يتزعمها الأقيال من بني جرة قبل وصولهم لسدرة الحكم[35]، واصبح زعماؤها واقيالها

من بني ذرانح بعد ذلك، وتقع أراضي ذمري بفرعيها (الجرتي والذرانحي) جنوب العاصمة اليمنية صنعاء وجنوب شرقها . [36] ينظر(خارطة2)

**س5: هقنيو**: فعل ماض مزيد بحرف الهاء في أوله في لهجة النقوش السبئية، والواو في آخره للدلالة على الجمع، ومعنى الفعل "قدم، قرب، تقرب، أهدى (شيئا)ً إلى" (المعبود) [37]

**س5-7: الهمو عثتر عززم: إلاههم أي(معبودهم) عثتر عززم**: وجدت آراء كثيرة حول معنى اسم عثتر واشتقاقه، منها: الرأي الذي يذكر اشتقاقه من اسم الأرض التي تسقى من مياه الأمطار والتي تسمى "أرض عثور" من الجذر عثر[38] وهو اسم المعبود الذي يمثل الصدارة على المعبودات في معظم الممالك اليمنية القديمة ،**عززم** صفة لعثتر، و(عزز) في بعض اللغات السامية القديمة، بمعنى" قويٌ "[39] والعزيز في اللغة العربية الفصحى " الجامِعٌ لكل شيء إذا قَلَّ حتى يكَادُ لا يُوجَدُ من قِلَّتِه " [40] والعز " القوة، والشدة، والغلبة، والرفعة، والامتناع....، والعِزَّة لله وعزِيزٌ: مَنِيع لا يُغْلب ولا يُقْهر "[41]

و(عثتر عززم) أي عثتر العزيز، اسم المعبود المحلي الخاص بقبيلة ذمري ممثلة بأقيالها(بني جرة، والذرانح) فضلاً عن معبودات أخرى تذكر جوار هذا المعبود مجموعة او منفردة تخص بني جرة، ولكن مركزها أو معبدها هو جبل كنن ذاته [42]،ومن النقوش التي يرد ذكرها بها

( Ja559,561,568,606,607,631,753;GL1193,;Ir5,49)، ومن المعبودات الواردة في النقوش التي كانت تعبد في هذه القبيلة، الشمس بصفتها (ذات ظهران) (Ja 631/20) .

**س6ــ 7: عدي كنن** : عدي حرف جر بمعنى (في) كما يرد في لغة النقوش اليمنية القديمة ايضا بمعان متعددة منها(عند، إلى، حتى) [43] كنن: اسم لجبل وهو بمعنى" المقام الداخلي للمعبد، وما زالت هذه الكلمة مستعملة في عدد من اللهجات اليمنية حتى وقتنا الحاضر، ومفردها (كُنة) بمعنى شرفة أو ضلة، و تجمع على (كُنَنْ ) والفعل (كْنَنَ)، بمعنى أستظل تحت مكان مسقوف، ولاسيما في حالة هطول المطر"[44]، وما يزال هذا اللفظ متداول في بعض اللهجات اليمنية حتى يومنا هذا، بمعنى (أستظل من المطر)

وكنن اسم الجبل الذي يقع عليه معبد المعبودين عثتر عزيز وذات ظهران، وهو لايزال يحمل هذا الاسم حتى الوقت الحاضر، ويقع جنوب شرق مدينة صنعاء ويقع جزء منه اليوم في أرض سنحان و الجزء الآخر منه يمتد في أرض خولان.

**س7: حجن**: حرف جر بمعنى" كما، مثلما، بموجب، بمقتضى"[45].

**س7-8: وقههمو**: فعل ماضي مع ضمير الغائبين، وقه بمعنى "أمر"[46]، وفي العربية الفصيحة: الوقه : الطاعة[47] وقههمو في النقش،( أمرهم)، **أي بموجب ما أمرهم أو طاعة لأمره.**

**س8: بمسئلهو**: الباء حرف جر مسأل اسم مجرور، والهاء ضمير متصل عائد على المعبود، ومسأل بمعنى " وحي، جواب موحى، نعمة نزلت وحيا "[48]، و المسأل هو "مكان الاستخارة، مكان الصلاة"[49] ويسمى ايضا قدس الاقداس، وهو على شكل غرفة أو منصة تبنى في مؤخرة المعبد، إذ يتم العناية بها بشكل يعكس مكانة المعبد، وتقارن بالمحراب[50].

**س9-10: لوفيهمو ووفي**: أي لسلامتهم، واللفظ يتكون من حرف الجر اللام، والاسم المجرور(وفي) بمعنى "سلامة، نجاة، عافية، خير"[51] وضمير جمع الغائبين (هم)، وحرف الواو لإشباع حركة الضم ، ووفي : الواو حرف عطف (وفي) اسم معطوف.

**س10: ابيتهمو**: اسم جمع ، بيت، وهو مضاف و،(همو) ضمير جمع للغائبين مضاف إليه، (ولوفيهمو ووفي ابيتهمو)، أي لسلامتهم وسلامة بيوتهم.

ويأتي بمعنى" بيت، ضيعة، معبد، عشيرة، عائلة، اسرة"[52] وهو لفظ سامي مشترك، [53] أبيتهم بمعنى(بيوتهم)

**س10-11: اقنيهمو**: اسم جمع، وهو مضاف،و(هم) ضمير جمع الغائبين مضاف إليه، والواو لإشباع حركة الضم. وقني :بمعنى" اقتنا، حاز، احرز "[54]، وفي العربية الفصيحة القنوة والقَنْوة : الكسبة [55] اذاً أقنيهمو تعني(أملاكهم) أو مقتنياتهم.

**س11: أثمرهمو: اسم جمع ثمرة، و(هم)** ضمير جمع الغائبين، والواو لإشباع حركة الضم **و(ثمر)** بمعنى" ثمرت الارض، ثمر المحصول"[56]، والثمار، في اللغة العربية الفصحى، تعني "ثمار الحبوب، وثمار

المحصول"[57] وفي لهجة أهل اليمن اليوم هو "الثمار من بداية ظهور سنابله إلى حصاده" [58]، وأثمرهم في النقش قد يقصد بها (ثمارهم، محاصيلهم، مزارعهم).

**التعليق:**

مما لاشك فيه أن الإنسان اليمني القديم تقرب إلى المعبودات التي عبدها النصوص على الألواح البرونزية و الحجرية، التي تزين أفاريزها أحيانًا بزخارف حيوانية أو نباتية أو برموز خاصة بالمعبودات، وكانت تلك المساند تقدم كقرابين أو(نذور) توضع في المعابد لتزيينها بما تتضمن من كتابات وزخارف متباينة، كما كانت تقدم على كونها وثيقة اعترافيه تظل على جدران المعبد.

فضلا عن انها تذكار لأصحابها، فقد عبروا من خلالها عن شكرهم للمعبودات لما حققته لهم من الآمال والطموحات التي كانوا يأملون الحصول عليها في حياتهم، مثل: نزول الغيث أو النصر على خصومهم وحصولهم على الثمار الوفيرة أو لإنجاب الأولاد الذكور والذرية الصالحة أو لنجاتهم من الكوارث وحمايتهم من النكبات وباس المعتدين وخطوب الزمن.

و تعد تقربا ت نذرية أو طوعية تقدم للمعبودات، وهي شبيهة بقرابين التماثيل الآدمية والحيوانية،التي توضع في المعابد المقدمة إليها، لتكون بمثابة تذكار للأشخاص الذين تقربوا بها، لكي يكون الأشخاص المقدمون لها أو التي تمثلهم في حماية الآلهة ورعايتها في حياتهم الدنيوية، فضلا عن حياتهم الأخرى أيضاً.

كما تعد رافداً لتوضيح بعض صور الحياة الدينية العامة لقدماء اليمنيين ، وعلى الرغم من اشتمال نقوش الإهداءات المودعة في المعابد على مفردات تضم موضوعات متعددة الاختصاص تدور حول الجانب الديني، إلا أنها لا تساعدنا في توضيح الصورة التي ننشدها عن الحياة الدينية لحضارة اليمن القديم، كونها لا تعطي تفاصيل دقيقة عن طبيعة هذه المعبودات وطبيعة صلتها بالإنسان.

وعلى الرغم من ذلك يبدو أن الجانب الديني كان يشغل حيزا كبيرا في حياة اليمني القديم واهتماماته، بل ربما كان يعد محور حياته، وكان اعتقاد الإنسان اليمني القديم بالمعبودات قويا، فهي التي تمنحه كل ما يطلبه منها، وتحميه من عاديات الزمان وشر الأشرار وتنصره على الخصوم وترزقه الثمار والغلال الوفيرة والذرية الصالحة، وما عليه إلا القيام بما يجعلها راضية عنه [59]،لذلك نجد كثيرا من النقوش الخاصة بالإهداءات مصحوبة بالقربان المقدم للمعبودات، أو كانت تكتب على القربان ذاته أو على القاعدة التي تحمله، وأحيانا أخرى كان القربان هو النقش المكتوب ذاته، كما في نقشنا هذا، وإن لم يكتب في النص اسم اللوح ويكتفى بالإشارة إلى أنه قدم للمعبود في معبده، وذلك لتحقيق ما يطلبه المتقرب منه، حمداً لما حققه له المعبود من أشياء سبق أن طلبها الشخص المتقرب.

والمعلومات الجديدة التي قدمها لنا هذا النقش، تكمن في أسماء الأعلام الجديدة التي أوردها من قبيلة الذرانح اقيال قبيلة ذمري، الحلف القبلي المشكل من قبائل متعددة [60]وهي أسماء أعلام لم ترد من قبل في النقوش المكتشفة حتى الآن، وهو أمر مألوف عند اكتشاف أية نقوش جديدة، وهذه الاسماء: (ردعم، وابنائه نبط إل، ونشأ كرب، ورب إل) لم ترد في نقوش هذه الاسرة من قبل، بحسب علم الباحث، وبذلك نرى إضافتها إلى أسماء الأقيال من بني ذرانح اقيال قبيلة ذمري، الواردة في سائر النقوش، أما الاسم (نشأكرب) فنجده بكثرة في النقوش كـ **(Ja643–643bis)**، والخاصة ببني جرة الشريك في قيالة قبيلة ذمري[61] .

وأما بالنسبة إلى الاسم المعبود عثتر ومعبده المذكور كنن، فكثيراً ما تحدثت عنه النقوش وكنن جبل كبير أو حصن منيع يقع جنوب شرق مدينة صنعاء كما سلف القول، وهو المركز الديني لأقيال قبيلة ذمري، المكونة بفرعيها الشمالي بني جرة، والجنوبي الذرانح، ولايزال الجبل يحمل نفس الاسم وفي الوقت الراهن وإلى الاسفل منه تقع مدينة نعض الأثرية والتي كانت تعد حاضرة أقيال قبيلة جرة، وهي في بلاد سنحان اليوم .

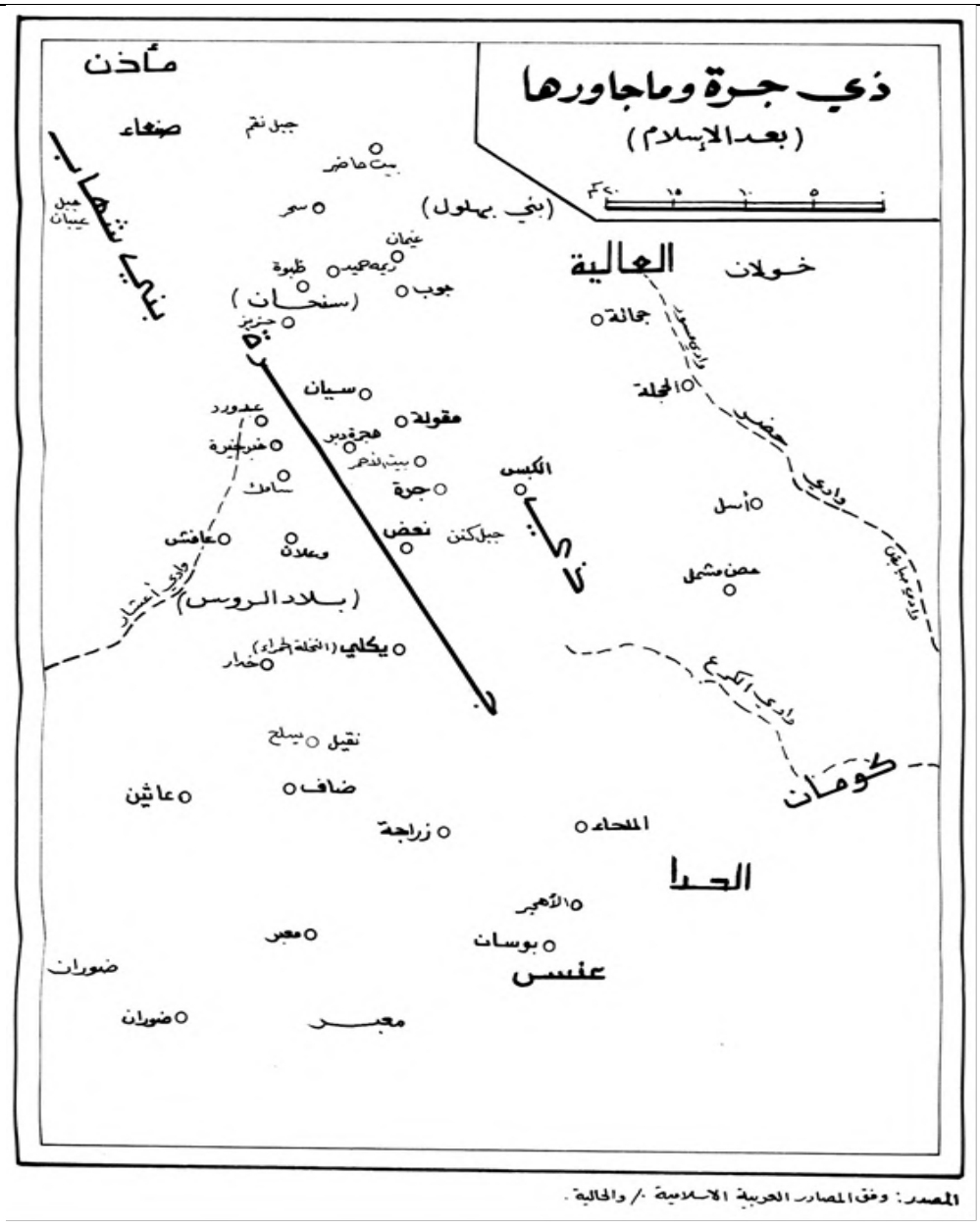


المصدر: وفق المصادر العربية الاسلامية /. والخالية .

خارطة (1) مدينة نعض وقبيلة ذي جُرَة وما جاورها (عن الناشري:184 :2003م)

خارطة رقم (2)قبيلة ذمري وما جاورها وفق المصادر النقشية القديمة(عن الناشري:183 :2003م،

## الهوامش والإحالات:

1- ابن منظور،**جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري**: (د. ت) لسان العرب، ستة مجلدات، تحقيق عبدالله علي الكبير، وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1623 .

2- Harding, G. Lankester: 1971 An Index and concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions, (Near and Middle East series, 8) Toronto University of Toronto Press and Buffalo.p .275

3- **الفرد بيستون، وآخرون**: المعجم السبئي، نشر جامعة صنعاء، مكتبة لبنان، بيروت، دار نشريات بيترز، لوفان الجديدة 1982: 91

4- ابن منظور:ج1،ص 156

5- **الذيب،سليمان بن عبد الرحمن**:دراسة تحليلية لنقوش نبطية قديمة من شمال غرب المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1995م: 70

6- بيستون، وآخرون، المعجم السبئي، 1982م:98-99

7- بيستون، وآخرون المعجم السبئي، 1982م:98

8- ابن منظور، نشأ :4418

9- بيستون، وآخرون المعجم السبئي،1982م: 78

10- **الصليحي ، علي محمد عبد القوي**:"الديانة في اليمن قبل الإسلام ". الموسوعة اليمنيـــــة مج1ط1،مؤسسة العفيف الثقافية، 1992م: 902

11- بيستون، وآخرون المعجم السبئي، 1982م: 79

12- **(Harding 1971:497)**

13- **( Harding 1971:587-588)**

14- **Tairan, S.A:** 1992 Die personennamen in den altsabäiscchen Inschtiften, Hildesheim/Zürich/ New York, p105 (Texte und studien zur Orientalistik 8).P.217

15- بيستون، وآخرون المعجم السبئي، 1982م:114

16- الذيب، **سليمان بن عبد الرحمن**: معجم المفردات الآرامية القديمة، دراسة مقارنة، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 2006م: 258.

17- **يوسف محمد عبدالله**:"مدونة النقوش اليمنية القديمة "مجلة الاكليل، ع(1)، وزارة الاعلام والثقافة، صنعاء، السنة(7) 1989م: 115.

18- **(Harding 1971 :253 )**

19- **مكياش،عبد الله أحمد عبد الله**:اسماء القبائل في النقوش العربية الجنوبية، (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، معهد الاثار والانثروبولوجيا1993م: 58

20- **الإرياني،مطهر علي بن علي**:نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ط(2) 1990م: .272.

21- **با فقيه،محمد عبد القادر**:"الأقيال و الأذواء ونظام الحكم في اليمن القديم"، (مجلة) دراسات يمنية، العدد (27)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1987: 79

22- **إبراهيم محمد الصلوي**:" القيل " الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية- صنعاء، مج (3)2003م :2429- 2430

23- **الإرياني ،مطهر علي بن علي**: "ذمار علي وأبنه يعودان إلى صنعاء "، مجلة الاكليل، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، العدد(2،3)،1983 : 255 .

24- **الإرياني** "ذمار علي وأبنه يعودان إلى صنعاء " 1983: 256-257

25- **بافقيه** "الأقيال و الأذواء ونظام الحكم في اليمن القديم" 1987م:63

26- **الناشري،على محمد على محمد**:ذي جرة ودورهم في حكم دولة سبأ وذي ريدان، وزارة الثقافة والسياحة صنعاء، 2003م:21

27- **بيستون، وآخرون، المعجم السبئي**، 1982: 110

28- **الصلوي**، " القيل " مج (3)2003م :2429- 2430

29- بيستون، وآخرون، المعجم السبئي 1982م:130

30- **مكياش**، اسماء القبائل في النقوش العربية الجنوبية، 1993م:77- 78

31- **يوسف محمد عبدالله:" شعب"**، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية- صنعاء، مج (3).2003م :1715

32- ابن منظور، ج3: 1515

33- **مكياش**، اسماء القبائل في النقوش العربية الجنوبية، 1993 م:59

34- **الناشري**، ذي جرة ودورهم في حكم دولة سبأ وذي ريدان 2003م:33

35- **الإرياني**، نقوش مسندية وتعليقات، 1990م: 65-66

36- **الناشري ،على محمد على محمد** : اليمن في عصر ملوك سبأ وذي ريدان من (القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني الميلادي) رسالة دكتوراه(غير منشورة) جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ. 2007م:26

37- بيستون، وآخرون المعجم السبئي 1982م: 106

38- **الزبيري،خليل وائل محمد**:الاله عثتر في ديانة سبأ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عدن 2000م:51

39- **حازم علي كمال الدين**معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية ، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008م:270، 271

40- **الفراهيدي،أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد** :كتاب العين، تحقي ق :د .مهدي المخزومي ، د/ إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال. د.ت، ج1: 76-77.

41- ابن منظور، عزز :374-378

42- **با فقيه ،محمد عبد القادر(وآخرون)**: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م: 218

43- **الصلوي ،إبراهيم محمد:**"نقش جديد من وادي ورور"، دراسة في دلالته اللغوية والدينية، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد(19) 1996م:33

44- **العريقي ،منيرعبد الجليل**:الرموز الدينية على العملات اليمنية القديمة"،مجموعة المتحف الوطني بصنعاء" جمعية الآثاريين العرب، المجلس العربي للدراسات والبحث العلمي، المؤتمر الخامس للجمعية الآثريين العرب. 2002م:228-229.

45- بيستون، وآخرون المعجم السبئي، 1982م:69

46- بيستون، وآخرون المعجم السبئي 1982م:161

47- **ابن منظور، وقه:561**

48- بيستون، وآخرون المعجم السبئي 1982م:121

49- **مكياش، عبدالله أحمد عبدالله:**نقوش عربية جنوبية من اليمن، رسالة (دكتوره)غير منشورة، جامعة بغداد، قسم اللغة العبرية ، اللغات الجزرية (السامية)، 2002 م:369

50- **العريقي،** الرموز الدينية على العملات اليمنية القديمة" 2002م:228

51- **بيستون،** وآخرون المعجم السبئي،1982م:34

52- **بيستون،** وآخرون المعجم السبئي،1982م:34

53- **كمال الدين، معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية، 2008م:94**

54- بيستون، وآخرون المعجم السبئي،1982م:106

55- ابن منظور، قني:201

56- بيستون، وآخرون المعجم السبئي 1982م :150- 151

57- **الحميري ،نشوان بن سعيد:**شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، مطهر علي الأرياني، يوسف محمد عبد الله، دار الفكر، دمشق، ط(1)، ج2 ، 1999م:879

58- **داديه، يحيى عبدالله:** ألفاظ الزراعة والري في لهجة منطقة عتمة بمحافظة ذمار (دراسة لغوية مقارنة)، رسالة (ماجستير)غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة عدن. 2009م:43- 44

59- **الصلوي،إبراهيم محمد :**"نقش جديد من نقوش الاعتراف العلني – (نقش من معبد أ ذ ن ن) دراسة في دلالاته اللغوية والدينية ". دراسات سبئية المركز الإيطالي للبحوث الأثرية صنعاء، 2005م:109-120

60- **الناشري،** ذي جرة ودورهم في حكم دولة سبأ وذي ريدان 2003م:14

61- **الناشري،** ذي جرة ودورهم في حكم دولة سبأ وذي ريدان 2003م:29-31

# تناسب سور المعوذات

## دراسة تطبيقية

د. جمال محمد أحمد هاجر *

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإذا كانت العلوم تشرف بشرف موضوعها، وعظم مقصودها، فإن أشرف العلوم ما اختص بكتاب الله الكريم؛ لهذا كان شرف علم المناسبات لا يدانى، وأهميته لا توازى؛ لأنه يظهر ما تميز به كلام ربنا الكريم من قوة ترابط، وشدة تناسب بين سوره وآياته، الذي يعد جانباً من جوانب إعجازه، وقد تبوأ علم المناسبات في علوم القرآن موضع الصدارة، وتناوله الأئمة الأعلام بالدراسة، وعدوه من أعظم العلوم قدراً، وأفضلها ذكراً، وأكثرها ثواباً وأجراً؛ لما يبرز جانباً من إعجاز النظم القرآني، ويظهر ترابط سور القرآن وآياته، من أوله إلى آخره، وأخذ بعضها برقاب بعض، حتى كأنها سورة واحدة.

ومن هنا نبعت الفكرة لديَّ للبحث حول هذا الموضوع؛ لتجلية جانب منه، وبيان شدة الترابط بين سور المعوذات، وعلاقتها بفاتحة القرآن الكريم.

* أستاذ الدراسات القرآنية المساعد كلية التربية والعلوم برداع-جامعة البيضاء

**أهمية البحث وأسباب اختياره:**

تبرز أهمية هذا البحث من خلال نقاط كثيرة، من أهمها:

1. فائدة هذا العلم الجليل في تفسير كتاب الله، والكشف عن وجوه الحِكَم التي لا تدرك إلا بالوقوف على علم المناسبات.
2. اجتماع هذه السور الثلاث في الاسم والغرض؛ إذ سميت بالمعوذات، وغرضها التعوذ بالله من شرور الجن والإنس.
3. أنه يبرز المناسبات بين سور المعوذات.
4. إظهار مدى إحكام البناء القرآني بشكل عام، وسور المعوذات بشكل خاص.

**أهداف البحث:**

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. إثبات التناسب بين سور المعوذات.
2. بيان تناسب خاتمة القرآن بفاتحته.
3. لفت الأنظار إلى ضرورة التدبر المستمر لكتاب الله؛ لإظهار تناسب سور القرآن وآياته.
4. تعزيز ثقة المؤمنين بكتاب ربهم، من خلال إبراز كون القرآن كله وحدة بنائية بكل سوره وآياته وكلماته.

**الدراسات السابقة:**

من خلال البحث فيما كتبه المعاصرون في الدراسات القرآنية، نجد أن هذا الموضوع لم يحظ بدراسة مفردة، على الرغم من أن مفرداته مبثوثة في ثنايا كتب التفسير وعلوم القرآن.

لذا رأى الباحث أن من المناسب إفراد هذه السور الكريمة بدراسة يعرض فيها لأوجه التناسب بينها.

**منهج البحث:**

التزمت في هذا البحث المنهج العلمي المتبع في الدراسات القرآنية، ويمكن إيجاز أهم نقاطه فيما يأتي:

-جمع المادة العلمية المتعلقة بتناسب سور المعوذات.

-عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر أرقامها في صلب البحث بعد كتابة نص الآية مباشرة.

-تخريج الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو بأحدهما، إن كان الحديث فيهما، فإن لم يكن فيهما خرجته باختصار من غيرهما، مع بيان درجة الحديث من صحة أو ضعف عند علماء الحديث المتخصصين.

-لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في البحث خشية الإطالة.

-عزو الأقوال إلى أصحابها،وتوثيقها من كتبهم، فإن لم أجد وثقتها من المصادر والمراجع الأخرى.

-ذكر بيانات المصادر والمراجع في ثبت مستقل في آخر البحث.

اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

**أما المقدمة**: فقد ذكرت فيها أهميةَ الموضوعِ، وأسبابَ اختياره، وأهدافَ البحثِ، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

**وأما خطة البحث فهي على النحو الآتي:**

**التمهيد**: كان التمهيد مدخلاً إلى الموضوع من خلال التعريف بالتناسب، وبيان أهميته، والتعريف بسور المعوذات.

**المبحث الأول**: التناسب بين السور الثلاث.

**المبحث الثاني**: مناسبة سورة الإخلاص لما قبلها.

**المبحث الثالث**: مناسبة سورة الفلق لما قبلها.

**المبحث الرابع**: مناسبة سورة الناس لما قبلها.

**المبحث الخامس**: مناسبة خاتمة القرآن لفاتحته.

**وأما الخاتمة**، وفيها أهم نتائج البحث التي توصلت إليها.

**وأما الفهارس**، فهي فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

ولا أدعي في هذا كله العصمة من الخطأ، فما وفقت فيه فلله الفضل والمنة، وما جانبت فيه الصواب فأستغفر الله وأتوب إليه، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

**التمهيد، وفيه ثلاث مسائل:**

**المسألة الأولى: التعريف بالتناسب.**

**التناسب في اللغة:**

**قال ابن فارس:** "النون والسين والباء، كلمةٌ واحدةٌ، قياسُها اتِّصال شيءٍ بشيء. منه النّسَب؛ سمِّي لاتِّصاله وللاتِّصالِ به. تقول: نَسَبْتُ أنْسُبُ. وهو نَسِيبُ فلانٍ. ومنه النَّسيبُ في الشِّعر إلى المرأة، كأنَّه ذِكْرٌ يتَّصِل بها،....،والنّسيبُ: الطريق المستقيم؛ لاتِّصال بعضِه من بعض"[1].

**وقال الراغب الأصفهاني:** "النَّسَب، والنِّسْبَة: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نَسَبٌ بالطُّول، كالاشتراك بين الآباء والأبناء، ونَسَبٌ بالعَرْض؛ كالنِّسْبة بين بني الإِخْوة، وبني الأَعْمام. قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبَاً وَصِهراً﴾ [الفرقان: ٥٤]. وقيل: فلان نَسِيبُ فلان. أي: قريبه، وتُستعمَل النّسبةُ في مقدارَيْنِ مُتجانِسَيْنِ بَعْضَ التَّجَانُسِ يختصُّ كلّ واحد منهما بالآخر"[2].

**وقال ابن منظور:** "النَّسَبُ يكون بالآباءِ، ويكونُ إِلى البلاد، ويكون في الصِّناعة،...، وتقول: ليس بينهما مُناسَبة أَي مُشاكَلةٌ"[3].

**وقال الزركشي:** "وَالْمُنَاسَبَةُ فِي اللُّغَةِ: المقاربةُ، وَفُلَانٌ يُنَاسِبُ فُلَانًا أَيْ يَقْرُبُ مِنْهُ وَيُشَاكِلُهُ،...، ومنهُ المناسبةُ في العلَّةِ في بابِ القياسِ: الوصفُ المقاربُ للحكمِ"[4].

من النصوص السابقة نستخلص دوران مادة النسب حول الاتصال والمقاربة والمماثلة، لكن ذلك لا يقتضي بالضرورة المشابهة من كل وجه، فقد يشتركان في أمر ما، ويختص كل منهما بأمر آخر.

**التناسب في الاصطلاح:**

ولمعرفة الدلالة الاصطلاحية لهذا العلم عند العلماء، فإننا **نجد العلَّامة البقاعي** خير من يكشف عن مفهومه، ويبين عِظَمَ مضمونه، بقوله: **"**عِلْمٌ تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها"[5].

**وقال ابن العربي**: "ارتباطُ آي القرآنِ بعضِها ببعضٍ، حتى تكونَ كالكلمة الواحدة، متَّسقة المعاني، منتظمة المباني"[6].

ويخلص مما سبق أن علم المناسبات فن أسلوبي يُعنى باستجلاء الروابط العقلية أو الذهنية بين الآيات والسور، انتهاء إلى ترسيخ الوحدة الموضوعية والانسجام الداخلي لبنية النص القرآني، التي تعد من أهم الظواهر الإعجازية التي سعى المفسرون للكشف عنها، وإظهار روائع نظمه، وتناسب سوره وآياته[7].

**المسألة الثانية: أهمية التناسب.**

اهتم علماء علوم القرآن بالتناسب، ونال حظاً وافراً من دراساتهم، إذ صُنف بصفته علماً مستقل بذاته[8]، له محدداته العلمية، وسماته الموضوعية التي تبينه، وتكشف عن مضمونه وغايته[9]، ووصفوه، بأنه "علمٌ شريفٌ تحزرُ به العقولُ، ويُعرفُ به قدرُ القائل فيما يقول"[11].

ولما "كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير، نسبة علم البيان من النحو"[12] فإننا نجد **الرازي** يعده أحد وجوه الإعجاز، فيقول عند تفسيره لخواتم سورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو – أيضًا– معجزٌ بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبهِ أرادوا ذلك"[13].

**وقال الزُّرقاني**: "إن القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السَّرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك، ولا تخاذل، كأنه حلقة مفرغة، أو كأنه سمط وحيد، وعقد فريد، يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقاً لأوله، وبدا أوله مواتيًا لآخره"[14].

وأما **فائدة** هذا العلم فتكمن في كونه يجعل "أجزاء الكلام بعضها آخذًا بِأَعْنَاقِ بَعْضٍ؛ فيقوى بذلك الارتباط، ويصيرُ التأليفُ حاله حال البناءِ المحكمِ المتلائمِ الأجزاءِ"[15].

## المسألة الثالثة: التعريف بسور المُعَوِّذَاتِ.

**المُعَوِّذَاتُ**: بِكَسْر الْوَاو المشددة جمع معوِّذة، اسم فاعل من عَوَّذَ يُعوّذ تعويذاً: إذا قال: أُعيذك بالله من كلّ شرّ، يعني محصِّنات، سميت بذلك؛ لأنها تعصم صاحبها من كلّ سوء[16].

وتطلق المعوذات، ويراد بها عند أهل العلم السور الثلاث: (الإخلاص، والفلق، والناس)، **قال بدر الدين العيني**: "(بابُ فَضْل المُعَوِّذَاتِ) أَي: هذا بابٌ في بيان فضل المعوذات، وهي بكسر الْوَاو جمع معوذة، والمراد بها السُّور الثَّلَاث، وهي: سُورَة الْإِخْلَاص، وسورة الفلق، وسورة النَّاس، وَالدَّلِيل على ذَلِك مَا رواهُ أَصحاب السّنَن الثَّلَاثَة، وَأحمد، وَابْن خُزَيْمَة، وابن حبَّان من حَدِيث عقبَة بن عَامر-ﷺ، قَالَ لي رَسُول الله ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ (الْإِخْلَاص: 1)، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ (الفلق:1)، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (النَّاس: 1)، تعوّذ بِهن؛ فَإِنَّهُ لم يتَعَوَّذ بمثلهن)، وَفِي لفظ: (اقْرَأ المعوذات دبر كل صَلَاة)، فَذَكرهنَّ"[17].

**ويرد هنا إشكال**، وهو: أن التعوذ ظاهر في المعوذتين، وكيف هو في سورة الإخلاص؟ فيزيل الإشكال، ويوضح المقال **بدر الدين العيني**، بقوله: "قلت: لأجل مَا اشْتَمَلت عليه من صفة الرب أطلق عَلَيْهِ المعوذ، وَإِن لم يُصَرح فِيهِ. وَمِنْهُم من ظن أَن الْجمع فِيهِ من بَاب إِن أقل الْجمع اثْنَان. وليس كذلك، فَافْهَم"[18].

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن هذا القول -أعني جمع السور الثلاث تحت هذا الاسم-هو قول كثير من العلماء، كالرازي[19]، وابن حجر العسقلاني[20]، والطوفي[21]، والنيسابوري[22]،شمس الدين البِرْماوي[23]، وابن باديس[24]، والزُّرقاني[25]، وابن عاشور[26]،وغيرهم.

ومما يُؤنس-أيضاً- لتأكيد ما سبق، هو ما قام به علماء الحديث في ترجمة عنوانات الأبواب الحديثية، وقصدوا بذلك السور الثلاث، فقد قال **عبد الرزاق الصنعاني** في مصنفه: "باب المُعَوِّذَاتِ"[27].

**وقال البخاري في صحيحه**: (باب فضل المُعَوِّذَاتِ)[28] دلالة على أن اسم المعوذات يطلق ويراد به السور الثلاث، **قال ابن حجر**: "فيه أنَّ المرادَ بالمعوذاتِ (الإخلاص، والفلق، والناس) وأنَّ ذلك وقع صريحاً في روايةِ عقيلِ المذكورةِ، وأنَّها تُعيِّنُ أحدَ الاحتمالاتِ الماضي ذكرها"[29].

**وقال النسائي**: "باب الأمر بقراءة المعوذات بعد التسليم من الصلاة"[30].

**قال شارح سنن النسائي**: "وسماها كلها "المعوذات" تغليباً، أو لأن في سورة الإخلاص تعويذاً من الشرك"[31].

**وقال السيوطي**: "هاتان السورتان نزلتا معًا -كما في الدلائل للبيهقي[32]- فلذلك قُرنتا، مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوذتين، ومن الافتتاح بـ {قُلْ أَعُوذُ}، وعقب بهما سورة الإخلاص؛ لأن الثلاثة سميت في الحديث بالمعوذات وبالقواقل"[33].

**وثمة أمرٌ آخرٌ يتطلب منَّا إيضاحه**، وهو سبب التسمية بهذا الاسم، **قال الطوفي**: "وإِنَّما سُمِّيَت هذهِ بِـ(المعَوِّذاتِ) -بِكَسرِ الواوِ؛ لأَنَّهُ -ﷻ- أنزَلَها مُعَوِّذات لنبيه-ﷺ- حينَ سحرهُ لبيدُ بنُ الأَعصَمِ اليهودِيِّ، ولِيُعَوِّذَ بهما أمّتَهُ"[34].

**قال القرطبي**: "وهذه السورة [أي: الفلق]، وسورة الناس، والإخلاص: تعوذَ بهنَّ رسول الله -ﷺ- حين سحرته اليهود"[35].

**قال محمد علي الأثيوبي**: "سميت بذلك؛ لأنها تعصم صاحبها من كلّ سوء"[36].

وقد كان لاتحاد بناء هذه السور، وتعانق موضوعاتها أعمق الأثر في الجمع بينها في التسمية.

**قال ابن باديس**: "ومن صدقك في توحيدك لله في ربوبيته وإلهيته أن تنقطع عن هذا الكون وتكون منه، وكأنك لست منه بصدق معاملتك لله، وإخلاص توحيدك إياه، فأنت وقد آمنت وصدقت، وخرجت من سورة الإخلاص متشبعاً بمعانيها، ومنها معنى الصمد- تستشعر أن العالم كله عجز وقصور، وأن خيراته مكدرة بالشرور، وأن لا ملجأ إلاّ ذلك الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فتجيء المعوذتان بعد الإخلاص مبينتين لذلك الالتجاء، الذي هو من تمام التوحيد. ولأجل هذه المناسبة والارتباط بين السور الثلاثة جمع بينهن في التسمية"[37].

**وقال أيضاً**: "فتجيء المعوذتان بعد الإخلاص مبينتين لذلك الالتجاء الذي هو من تمام التوحيد، ولأجل هذه المناسبة والارتباط بين السور الثلاثة جمع بينهن في التسمية: ففي الصحيح عن عائشة- رضي الله عنها-: (أن النبي- ‘- كان ينفث على نفسه بالمعوذات[38]" [39].

وهذه السور رغم قصرها إلا أن فيها "سِرٌّ ليس في غيرها من القرآن؛ لما اشتملت عليه من جوامع الدعاء التي تَعُمُّ أكثر المكروهات؛ من السحر والحسد وشر الشيطان ووسوسته، وغير ذلك؛ فلهذا كان -‘ -يكتفي بها"[40].

**المبحث الأول: التناسب بين السور الثلاث.**

هذه السور الثلاث المتعاقبة، التي ختم الله بها كتابه الكريم، وجُمع بينها في اسم واحد (المعوذات)، وفاتحة واحدة (قل)؛ تُظهر شدةَ التناسبِ فيما بينها، والتعانق بين موضوعاتها ومقاصدها "ففي الإخلاص الثناء على اللهّ، وفي المعوذتين دعاءُ العبدِ ربَّهُ؛ ليعيذه، والثناء مقرون بالدعاء، كما قرن بينهما في أمِّ القرآنِ المقسومة بين الرب والعبد: نصفها ثناء للرب، ونصفها دعاءٌ للعبدِ، والمناسبةُ في ذلك ظاهرةٌ"[41].

ويأتي التناسب بين هذه السور من وجه آخر، وهو "أنه –سبحانه– لَمَّا ذكرَ أنه سبحانه وتعالى، الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصمدُ، والصمدُ من معانيهِ الذي تصمدُ الخلائقُ إليه في حاجاتهم، جاء في هاتينِ السورتينِ توجيهُ العبادِ إلى من يستعيذونَ ويلوذونَ به، وهو اللهُ الصمدُ سبحانَهُ، فهو وحده الذي يعيذهم ويحفظهم، وهو الذي يلجأون إليه سبحانه"[42].

ولما صرح –ﷻ– بخالص التوحيد في سورة الإخلاص، وهي معركة الإيمان والشرك؛ رافعاً بذلك لواء التوحيد عالياً خفّاقاً، ومؤذناً بانتكاس الشرك وانحسار ظله تماماً في البيئة المؤمنة، جاءت المعوذتان، وهي بمثابة التكملة لمفهوم (الصمد) والتبيين له؛ فإن الصمد: هو الذي يستعاذ به، ويلجأ إليه ضد العدوّ، فعلّمنا الله كيف نستعيذ به، ونلجأ إليه؛ حتى لا نقع في وحل الشرك، ونكون بمنجاة من الشيطان؛ فإن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ركن من أركان التوحيد، وسلاح من أسلحة المؤمن، ومن لم يحمل هذا السلاح أوشك أن تختطفه الشياطين[44].

**وأما البقاعي** فيرى مناسبة لطيفة لمجيء المعوذتين بعد سورة الإخلاص، وهي: "أنه لما عُلِمَ بالإخلاص تمام العلم وظهور الدين على هذا الوجه الأعظم، فحصل بذلك غاية السرور، وكان التمام في هذه الدار مؤذناً بالنقصان، جاءت المعوذتان لدفع شر ذلك"[45].

وقد أبدى **ابن باديس** مناسبة خاصة بين السور الثلاث، فقال: "إن سورة الإخلاص قد عرَّفت الخلق بخالقهم بما فيها من التوحيد والتنزيه والتمجيد؛ فإذا قرأت القرآن وتدبّرته على ترتيبه، ووجدت توحيد الله منبثاً في آياته وسوره، متجليّاً ذلك التجلي الباهر بما عرضه وصوره، سادّاً ببراهينه على النفوس كل ثنية وكل مطلع، كانت آخر مرحلة يقطعها فكرك من مراحل التوحيد في القرآن، هذه السورة المعجزة على قصرها، فكأنها توكيد لما امتلأت به نفسك من معاني التوحيد، وكأنها وصية مودع مشفق بمهم يخشى عليك نسيانه؛ فيعمد فيها من الكلام إلى ما قلَّ ودلَّ ولم يملَّ.

ومن صِدْقك في توحيدك لله في ربوبيته وإلهيته أن تنقطع عن هذا الكون وتكون منه، وكأنك لست منه بصدق معاملتك لله، وإخلاص توحيدك إياه، فأنت وقد آمنت وصدقت، وخرجت من سورة الإخلاص متشبعاً بمعانيها، ومنها معنى الصمد- تستشعر أن العالم كله عجز وقصور، وأن خيراته مكدرة بالشرور، وأن لا ملجأ إلاّ ذلك الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فتجيء المعوذتان بعد الإخلاص مبينتين لذلك الالتجاء الذي هو من تمام التوحيد"[46].

وقال **الرازي** عند بيانه للمناسبة بين هذه السور الثلاث: "ثم إنَّه –سبحانه- ختم كتابه الكريم بتلك الطريق التي هي أشرف الطريقين، فبدأ بذكر صفات الله وشرح جلاله، وهو سورة: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ} ثم أتبعهُ بذكرِ مراتبِ مخلوقاته في سورة: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} ثم ختم بذكر مراتب النفس الإنسانية، وعند ذلك ختم الكتاب،....، فسبحان من أرشد العقولَ إلى معرفةِ هذه الأسرارِ الشريفةِ المودعةِ في كتابهِ الكريمِ"[47].

وأما **عبد الكريم الخطيب** فقد استرشد بكلام العلماء السابقين في بيان التناسب بين السور الثلاث، وذكر خلاصة للمناسبة بينها، فقال: "تقرر في سورة الإخلاص ما ينبغي أن يكون عليه مفهوم المخلوقين للخالق- ﷻ- من تفرده بالألوهية، وتنزيهه أن يكون والدًا أو مولودًا، وعن أن تكون له نسبة إلى المخلوقات، إلا نسبة الدلالة على قدرته وحكمته وعلمه، وأنها جميعها مفتقرة إليه في وجودها، وفى بقائها، وأنه –سبحانه- لا مثيل له، ولا شبيه، ولا كفء ولا ندَّ.. هذا ما أمر الله–سبحانه- النبي[ﷺ] أن يؤمن به أولًا، ثم أن يؤذن به في الناس..

ثم جاءت بعد هذا سورتا المعوذتين، الفلق، والناس تقرران هذه الحقيقة، وتؤكدانها في مجال التطبيق العملي لآثارها، وذلك بدعوة النبي[ﷺ] والناس جميعًا أن يعوذوا بربهم، وأن يستظلوا بحمى ربوبيته من كل ما يسوؤهم، أو ما يتوقع أن يعرض له بسوء، فذلك هو الإيمان بالله سبحانه، والإقرار بسلطانه القائم على هذا الوجود، وأنه وحده الذي تتجه الوجوه كلها إليه في السراء والضراء.. فهو سبحانه القادر على كل شيء، وهو سبحانه الذي بيده مقاليد كل شيء.. أما المخلوقون فهم جميعًا على سواء في الحاجة إلى الله، وفى الافتقار

إليه، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم:﴿ يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللهِ واللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ ﴾ [فاطر:15]"[48].

وأما بيان الحكمة من ترتيب هذه السور الثلاث على هذا الوجه، فإننا نجد **الطوفي** يوضح ذلك، ويبين سبب تقديم سورة الإخلاص على الفلق والناس، فيقول: "لما كانت الصفاتُ تابِعَةً للذَّاتِ، كان اسمُ الذَّاتِ مقدماً على الصِّفاتِ، وسورَةُ الإخلاصِ مُشتملةٌ على اسمِ الذَّاتِ، فلذلك قد قُدِّمَت في التَّعَوُّذِ على سورةِ الفلقِ والنَّاسِ؛ لاشتِمالِها على أسماءِ الصِّفاتِ، نحوَ: (رَبُّ الفَلَقِ) وَ (رَبُّ النَّاسِ)، و(مَلِكُ النَّاسِ)"[49].

وثمة التفاتة لطيفة **للبقاعي** في سر ترتيب هذه السور على هذا الوجه، إذ قال: "وقدمت الفلق التي [هي][50] خمس آيات مع ما مضى من المناسبات؛ لأن اقترانها بسورة التوحيد أنسب، وشفعها بسورة الناس التي هي ست آيات أنسب، ليكون الشفع بالشفع، والابتداء بالوتر بعد سورة الوتر"[51].

وأما **السيوطي** فينظر إلى التناسب بين هذه السور الثلاث من جهة فواصلها ومناسبة مقاطعها، فيقول : "وقدمت الفلق على الناس-وإن كانت أقصر منها- لمناسبة مقطعها في الوزن لفواصل الإخلاص مع مقطع تَبَّت"[52].

**المبحث الثاني: مناسبة سورة الإخلاص لما قبلها.**

قبل أن نقف على تناسب سورة الإخلاص بما قبلها لا بُدَّ من الإشارة إلى أن "في سورة الإخلاص معجزة تعدل آلاف المعجزات، وهي أنها على قصرها وصفت الله-ﷻ- وصفًا لا تنتهي عجائبه، حتى إن كل ضلال وقعت فيه البشرية في موضوع معرفة الذات الإلهية فإنَّ سورةَ الإخلاصِ قد أحاطت به، ونفته وخلصت الإنسان منه، ثم إن العقل البشري قد يصل إلى ما ذكرته هذه السورة في التعرف على الله-ﷻ- ولكن بعد آماد وآماد، وإنَّ أقصى ما يمكن أن يصل إليه العقل البشري في موضوع تنزيه الذات الإلهية هو ما ورد في هذه السورة"[53].

ولسورة الإخلاص تعلق وثيق، ومناسبة ظاهرة بسورتي ( الكافرون) و(المسد)، فأما التناسب بين سورة الإخلاص وسورة الكافرون، فإنه لما كانت سورة الكافرون "تركز على تقرير توحيد العبادة والبراءة من الشرك والتمايز التام بين الإسلام والشرك"[54]، و "سورة الإخلاص تركز على إثبات تفرد الله بالكمال والألوهية وتنزّهه عن النقص"[55]، كان الاتصال بينهما في المعنى، فهما بمنزلة كلمة التوحيد في النفي والإثبات؛ وذلك أنه لّما نفى في الكافرون عبادة ما يعبدون، صرح هنا بلازم ذلك، وهو أنَّ معبوده أحد، وأقام الدليل على ذلك[56]، فتكون "كل واحدة منهما تفيدُ براءةَ القلبِ عمَّا سوى الله-تعالى، إلا أن: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ يُفيدُ بلفظهِ البراءةَ عما سوى الله، وملازمةَ الاشتغالِ بالله، و: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ يُفيدُ بلفظه الاشتغالَ بالله، وملازمةَ الإعراضِ عن غيرِ الله، أو من حيث إن: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ تفيدُ براءةَ القلبِ عن سائرِ المعبودينَ سوى الله، و: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ تفيدُ براءةَ المعبودِ عن كلِّ ما لا يليق به"[57].

ولاشتراك السورتين في الموضوع، وهو تقرير التوحيد، دور في الترابط وقوة التناسب، :"فـ ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ اشتملت على التوحيد العملي نصًا، وهي دالة على العلمي لزومًا، و﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾، اشتملت على التوحيد العلمي القولي نصًا، وهي دالة على التوحيد العملي لزومًا؛ ولهذا كان النبي-ﷺ- يقرأ بهما في ركعتي الفجر، وركعتي الطواف، وغير ذلك"[58].

ومن هنا جاء الجمع بين السورتين في الاسم، فسميتا بسورتي الإخلاص؛ لأنهما مشتملتان على التوحيد الخالص، فهما مخلصتان لأصل الدين بكل معانيه[59]، **قال ابن القيم**: "فإن هاتين السورتين سورتا الإخلاص، قد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح له إلا بهما، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد، وأنه إله (أحد صمد لم يلد) فيكون له فرع، (وَلَمْ يُولَدْ) فيكون له أصل، (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) فيكون له نظير. ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها. فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال، ونفي ما لا يليق به من الشريك أصلاً وفرعًا ونظيرًا. فهذا توحيد العلم والاعتقاد.

والثاني: توحيد القصد والإرادة، وهو: ألا يعبد إلا إياه، فلا يشرك به في عبادته سواه، بل يكون وحده هو المعبود.

وسورة (قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ) مشتملة على هذا التوحيد.

فانتظمت السورتان نوعي التوحيد وأخلصتا له"[60]"فسورة الكافرين للتبرؤ من جميع أنواع الكفر والشرك، وهذه السورة [أي: الإخلاص] لإثبات التوحيد لله تعالى، المتميز بصفات الكمال، المقصود على الدوام، المنزه عن الشريك والشبيه"[61].

**وقال سعيد حوى:** "جاء قبل سورة الإخلاص سورة الكافرون، وسورة النصر وسورة المسد، وقد أمرت سورة الكافرون رسول الله-ﷺ- أن يعلن أنه لا يعبد ما يعبده الكافرون، وجاءت سورة النصر؛ لتبين أن النصر كائن لرسول الله-ﷺ-على أهل الكفر، وجاءت سورة المسد؛ لتبين عقوبة الكافرين، وتأتي سورة الإخلاص؛ لتعرفنا على الله-ﷻ- الذي يعبده رسول الله -ﷺ- والملاحظ أن سورة الكافرون مبدوءة بقوله تعالى: (قُلْ)، وسورة الإخلاص مبدوءة بقوله تعالى: (قُلْ)، وبينهما سورتان ليستا مبدوءتين بـ(قل). في سورة الكافرون أمر لرسول الله-ﷺ- أن يعلن مفاصلته للكافرين في العبادة والدين، وهذه سورة الإخلاص يأمر الله-ﷻ- رسوله -ﷺ- أن يعلن صفات إلهه الذي يعبده، والذي لا يعبده الكافرون، ولا يعرفونه ﷻ"[62].

**وأما مناسبة سورة الإخلاص لسورة المسد،** فإنه لما كان العرب يجمعون المال، ويطلبون البنين؛ لمكاثرة الخصوم، ومحاربة الأعداء، وذكر الله في المسد أن أبا لهب حين نزل به الهلاك لم ينفعه ماله ولا ولده، جاءت سورة الإخلاص مشتملة على تنزيه-ﷻ-نفسه عن مشابهة خلقه، وإثبات وحدانيته، وتفرده عن المثيل والشريك والصاحبة والولد، وأنه لا يُقْصَدُ في الحوائجِ غيرُه، وتنزيهُه عن سماتِ المحدثاتِ، وإبطالُ أن يكونَ له ابنٌ، وإبطالُ أن يكونَ المولودُ إلهاً مثل عيسى عليه السلام[63].

"وكان في إيلائها سورة تبت ردًا على أبي لهب بخصوصه"[64]؛ فإنه لما "كانت عداوة أبى لهب وزوجه للنبي[ﷺ]، ممثلة في عداوتهما لدعوة التوحيد التي كانت عنوان رسالة النبيّ، صلوات الله وسلامه عليه، وكلمته الأولى إلى قومه، وقد ساقت هذه الكلمة أبا لهب وزوجه، ومن تبعهما في جحود هذه الكلمة، والتنكر لها-ساقتهم إلى هذا البلاء الذي لقياه في الدنيا، وإلى هذا العذاب الأليم في جهنم المرصودة لهما في الآخرة، وسورة (الإخلاص)، وما تحمل من إقرار بإخلاص وحدانية الله من كل شرك- هي مركب النجاة لمن أراد أن ينجو بنفسه من هذا البلاء، وأن يخرج من تلك السفينة الغارقة التي ركبها أبو لهب وزوجه، ومن اتخذ سبيله معهما من مشركي قريش ومشركاتها. وها هو ذا النبي الكريم[ﷺ]، يؤذّن في القوم، بسورة الإخلاص، ومركب الخلاص"[65].

**وقال أبو حيان:** "ولَمَّا تقدم فيما قبلها عداوةُ أقربِ الناس إلى الرسول -'، وهو عمُّهُ أبو لهب، وما كان يقاسي من عُبَّادِ الأصنامِ الذينَ اتخذوا مع اللهِ آلهةً، جاءت هذه السورة مصرحةً بالتوحيدِ، رادَّةً على عُبَّادِ الأوثانِ والقائلينَ بِالثَّنَوِيَّةِ وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد"[66].

وأما سر الترتيب بين السورتين، فيرى العلماء أن سبب اتصال الإخلاص بالمسد- للتوازن في اللفظ، فآخر تلك المسد، وأول هذه أحد[67].

**المبحث الثالث: مناسبة سورة الفلق لما قبلها.**

تبدو المناسبة بين سورة الفلق وسورة الإخلاص قبلها ظاهرة، فسورة الإخلاص عرفتنا على الله-ﷻ- وكماله وصفاته، فهي تركز على إثبات وحدانية الله تعالى، وأنه الصمد الذي لا يقصد في الحوائج سواه[68]،فتكون مختصة "بحق الله –تعالى- في ذاته وصفاتهِ من الوحدانيَّةِ والصمديَّةِ، ونفيِ الوِلادةِ والولدِ، ونفيِ الكفءِ، وكُلّهَا صفاتُ انفرادٍ للهِ سبحانهُ"[69].

وجاءت سورة الفلق تقرر وترشد إلى أن على الإنسان أن يعلق قلبه بربه، ويفوض أمره إليه، ويحقق التوكل عليه، وأن لا يتعوذ إلا بالله، ولا يلتجئ لصرف الشرور كلها إلى غير الصمد[70]، فيكون غرضها الأسمى

"تعليم النبي-ﷺ-كلماتٍ للتعوُّذ بالله من شر ما يُتَّقى شَرُّهُ من المخلوقات الشِّرِّيرة، والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشرِّ، والأحوالِ التي يستر أفعال الشرِّ من ورائها؛ لئلا يُرمى فاعِلُوها بتبعاتِها، فعلَّمَ اللهُ نبيهُ هذه المعوذة ليتعوذ بها"[71].

والناظر في كتب التفسير لا يعدم الشواهد من كلام المفسرين على هذا، فقد **قال النيسابوري**: "لما أمره بقراءة سورة الإخلاص تنزيها له عما لا يليق به في ذاته وصفاته، وكان ذلك من أشرف الطاعات، أمره أن يستعيذ به من شر من يصده عن ذلك كالمشركين، وكسائر شياطين الإنس والجن"[72].

لَمَّا شرح الله-سبحانه-أَمر الأُلوهية في سورة الإخلاص، جيءَ بسورة الفلق بعدها؛ لتكون شرحًا لما يستعاذ منه بالله الأَحد-سبحانه- من أَنواع الشر الذي في العالم ومراتب مخلوقاته[73].

فيكون في الأولى التعريف، وفي الأخرى التعليم والإرشاد، فهذا وجه ذكر هذه السورة عقب سورة الإخلاص[74].

ولما كان مقطع سورة الفلق مناسب لمقطع سورة الإخلاص قدمت على سورة الناس، وإن كانت أقصر منها، **قال السيوطي**: "وقدمت الفلق على الناس-وإن كانت أقصر منها؛ لمناسبة مقطعها في الوزن في اللفظ لفواصل الإخلاص مع مقطع تبت"[75]. فـ"مقطع الفلق (حسد)، مناسب لفواصل الإخلاص (أحد)، (الصمد)، (أحد)، ومقطع تبت (مسد)، وكلها متفقة في الوزن"[76].

**المبحث الرابع: مناسبة سورة الناس لما قبلها.**

وأما التناسب بين سورتي الناس والفلق فواضح يرشد إليه اشتراكهما في الوصف؛ ذ جمعتا الاستعاذة من الشرور كلها الظاهرة والخفيّة، والواقعة على الإنسان من الخارج، والتي تصدر عنه من الداخل.

بيد أن سورة الفلق تضمنت الاستعاذة من الشرور الظاهرة والخفية الواقعة على الإنسان من الخارج، أما سورة الناس فقد تضمنت الاستعاذة من شرور الإنسان الداخلية (النابعة من نفسه)[77]، **قال ابن القيم**:

"فسورة الفلق: تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد، وهو شر من خارج، وسورة الناس: تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه، وهو شر من داخل.

فالشر الأول: لا يدخل تحت التكليف، ولا يطلب منه الكف عنه؛ لأنه ليس من كسبه.

والشر الثاني في سورة الناس: يدخل تحت التكليف، ويتعلقُ به النهي، فهذا شر المعائب والأول شر المصائب، والشر كله يرجع إلى العيوب والمصائب. ولا ثالث لهما.

فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات، وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيوب التي أصْلُها كلها الوسوسة"[78].

**قال ابن عاشور**: "شابهت فاتحتها فاتحة سورة الفلق إلا أن سورة الفلق تعوذ من شرور المخلوقات من حيوان وناس، وسورة الناس تعوذ من شرور مخلوقات خفية وهي الشياطين"[79].

**وقال عطية محمد سالم**: "إنَّ المستعاذَ منه في السورة الأولى أمورٌ تأتي من خارجِ الإنسانِ، وتأتيه اعتداءً عليه من غيره، وقد تكون شرورًا ظاهرة، ومثلُ ذلك قد يمكنُ التَّحَرُّزُ منه أو اتقاؤُهُ قبل وقوعه، وتجَنُّبُهُ إذا عُلِمَ به. بينما الشَّرُّ الواحدُ في الثانيةِ يأتيه من داخليته، وقد تكون هواجسُ النفسِ وما لا يقدر على دفعه، إذ الشيطان يرانا ولا نراه، كما في قوله: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧ ]، وقد يثير عليه خلجات نفسه ونوازعَ فكرِهِ، فلا يجدُ لهُ خلاصًا إلا بالاستعاذة، واللجوءِ إلى رب الناس ملك الناس إله الناس"[80].

وتأتي المناسبة بينهما من جهة العموم والخصوص، فبالإضافة إلى تناسب هاتين السورتين في الاستعاذة، فإن سورة الفلق عامة في الاستعاذة من كل شر، أما الناس فقد خصت بالاستعاذة من شر الوسواس الخناس، فبدأ بالعموم، ثم أتبعه بالخصوص؛ ليكون أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه وأوفى بالمقصود[81]، **قال البقاعي**: "لما جاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار البدنية وغيرها، العامة للإنسان

وغيره، وذلك هو جملة الشر الموجود في جميع الأكوان والأزمان، ثم وقع فيها التخصيص بشرور بأعيانها من الفاسق والساحر والحاسد، فكانت الاستعاذة فيها عامة للمصائب الخارجة التي ترجع إلى ظلم الغير، والمعايب الداخلة التي ترجع إلى ظلم النفس، ولكنها في المصائب أظهر، وختمت بالحسد، فعلم أنه أضر المصائب، وكان أصل ما بين الجن والإنس من العداوة الحسد، جاءت سورة الناس متضمنة للاستعاذة من شر خاص، وهو الوسواس، وهو أخص من مطلق الحاسد، ويرجع إلى المعايب الداخلة اللاحقة للنفوس البشرية التي أصلها كلها الوسوسة، وهي سبب الذنوب والمعاصي كلها، وهي من الجن أمكن وأضر، والشر كله يرجع إلى المصائب والمعايب، فقد تضمنت السورة كالفلق استعاذة ومستعاذاً به ومستعاذاً منه وأمراً بإيجاد ذلك"[82].

بينما **ابن باديس** يرى أن تناسبهما يأتي من جهة اشتراكهما في الوصف، إذ قال: "والمناسبة بين السورتين يرشد إليها اشتراكهما في الوصف، وهو المعوذ بهما من الشرور المذكورة فيهما، وفي السورة الأولى الاستعاذة من الشر العام،....، وفي هذه السورة الاستعاذة من شر واحد لكنه سبب في شرور كثيرة"[83].

**وتبدو مناسبة أخرى**، وهي أن الاستعاذة في سورة الفلق تكون من المضار البدنية، وهي تعم الإنسان وغيره، والاستعاذة في سورة الناس من الأضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها، فعمم الإضافة في الفلق وخصصها بالناس في سورة الناس، فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم ويستحق عبادتهم[84].

وتظهر المناسبة بين السورتين -**عند ابن تيمية**- من وجهٍ آخر، وهي "أن المستعاذ منه هو الشر، كما أن المطلوب هو الخير: إما من فعل العبد، وإما من غير فعله. ومبدأُ فعله للشرِ هو الوسواس، الذي يكون تارةً من الجن، وتارةً من الإنس. وحسمُ الشرِ بحسمِ أصله ومادته أجودُ من دفعه بعد وقوعه. فإذا أُعِيذَ الْعَبْدُ من شر الوسواس الذي يوسوس في الصدور، فقد أعيذ من شر الكفر والفسوق والعصيان، فهذا في فعل نفسه، وتعمُ الآيةُ ـ أيضًا ـ فعلَ غيره لسوءٍ معه، فكانت هذه السورة لِلشَّرِّ الصَّادِرِ من العبد، وأما الشَّرُّ الصادر من غيره فسورة (الفلق)؛ فإن فيها الاستعاذة من شر المخلوقات عمومًا وخصوصًا"[85].

وأما وجه تأخير سورة الناس وتقديم سورة الفلق؛ فيرجع إلى العموم في الأولى والخصوص في الثانية، **قال ابن الزبير**: "وجه تأخيرها عن شقيقتها عموم الأولى وخصوص الثانية، ألا ترى عموم قوله: ﴿مِن شَرّ مَا خَلَقَ﴾[الفلق: ٢ ] وإبهام (ما) وتنكير غاسق وحاسد، والعهد فيما استعيذ من شره في سورة الناس "وتعريفه ونعته، فبدأ بالعموم، ثم أتبع بالخصوص؛ ليكون أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه، وأوفى بالمقصود"[86].

**المبحث الخامس: مناسبة خاتمة القرآن لفاتحته.**

تميز القرآن الكريم بالإحكام، وترابط الأركان، فلا ترى ثغرة في بنائه، أو تنافراً في أجزائه، فهو "مبنيٌّ على نظم عجيب تألفت درره وتناسبت عناصره، فلا تفاوت ولا تنافر ولا تباين ولا اختلافَ في شيء منه، وهو نظم متناسب في معانيه ومبانيه، في ألفاظه وأصواته، في إيقاعه وفواصله"[87] لذا تجده "كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر"[88]، لقد بلغ القرآن "من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره، مبلغًا لا يدانيه فيه أي كلام آخر، مع طول نَفَسِه، وتنوع مقاصده، وافتنانه في الموضوع الواحد"[89]، **قال الزرقاني**: "وآية ذلك أنك إذا تأملت في القرآن الكريم؛ وجدت منه جسمًا كاملاً تربط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجزائه، ولمحت فيه روحًا عامًا يبعث الحياة والحس على تشابك وتساند بين أعضائه، فإذا هو وحدة متماسكة متآلفة، على حين أنه كثرة متنوعة متخالفة، فبين كلمات الجملة الواحدة من التآخي والتناسق، ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط، ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات، وبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتابًا سويَّ الخلق حسن السمت"[90].

والتناسب بين فاتحة الكتاب وخاتمته "أوضح من أن يجحده جاحدٌ أو يستريب فيه مستريبٌ، فكلما نتدبر هذه السورة-الفاتحة- مع السورة الأخيرة في القرآن لا نقضي منها العجب؛ لشدة ما يوجد بينها من تناسق رائع، والتحام عجيب، فقد عاد الكلام على بدئه بأسلوب تهتز له النفس وتهتز، وترتاح له أيما ارتياح"[91].

ففي الفاتحة نجد أن المسلم أقرَّ وأعطى العهد والميثاق أنه يسلم نفسه لله، فلا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به، وتأتي سورة الإخلاص في نهاية المطاف، فتكون "تكملة للعهد الذي سبق في سورة الفاتحة، فإن الإقرار بعبادة الله، وإخلاص النفس له يفقد اعتباره إذا بقي هذا سراً بين العبد وربه، ولم يجهر به العبد على رؤوس الناس، ولم تصاحبه البراءة الصريحة المكشوفة من عبادة غير الله، ثم جاءت المعوذتان، ومعلوم أن الاستعاذة أخت الاستعانة ونسيبها أو أنها شطر منها، فإن الاستعانة هي طلب العون للتخلص من عدو أو التوقي من فتنة.

فلما تقدم العبد المسلم إلى ربه بطلب العون في سورة الفاتحة:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، استجاب الله دعاءه، وبيَّن له الطريق، وبيّن له الشرائع، وبيّن له الأحكام، وبيّن له كل ما يساعده في عبادة الله وطاعته، وابتغاء رضوانه.

ثم علَّمَه بعدما حمَّله الرسالة، وأقامه على المحجة البيضاء، كيف يستعيذ بربه من الشرور والفتن، التي تحيط به من كل جانب، وتريد أن تنقض عليه فتفسد عليه دينه وأمانته، وتحرمه من السعادة، التي اختصه الله بها"(92).

وقد أبدع **البقاعي** في بيانه للتناسب بين فاتحة القرآن وخاتمته أيما إبداع، إذ رأى أن القرآن دوري متصل أوله بآخره، وآخره بأوله، وفي هذا يقول: "ولك أن تقرر الاتصال والالتحام بوجه آخر ظاهر الكمال بديع النظام، فتقول: لما قرب التقاء نهاية الدائرة السورية آخرها بأولها ومفصلها بموصلها اشتد تشاكل الرأسين، فكانت هذه السور الثلاثة الأخيرة مشاكلة للثلاث الأول في المقاصد، وكثرة الفضائل والفوائد: الإخلاص بسورة التوحيد آل عمران، وهو واحد، والفلق للبقرة طباقاً ووفاقاً، فإن الكتاب الذي هو مقصود سورة البقرة خير الأمر، فهي للعون بخير الأمر، والفلق للعوذ من شر الخلق المحصي لكل خير، وفي البقرة: ﴿أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة: 67]، ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِحْرَ﴾ [البقرة: 102]- الآيات، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَو يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: 109] الآية، والناس للفاتحة، فإنه إذا فرغ الصدر الذي هو مسكن القلب، الذي هو مركب الروح، الذي هو معدن العقل كانت

المراقبة، فكان ذلك بمنزلة تقديس النفس بالتوحيد والإخلاص، ثم الاستعاذة من كل شر ظاهر، ومن كل سوء باطن؛ للتأهل لتلاوة سورة المراقبة بما دعا إليه الحال المرتحل وما بعدها من الكتاب، على غاية من السداد والصواب، وكأنه اكتفى أولاً بالاستعاذة المعروفة كما يكتفي في أوائل الأمور بأيسر مأمور، فلما ختم الختمة جوزي بتعوذ من القرآن، ترقية إلى مقام الإحسان، فاتصل الآخر بالأول أيّ اتصال بلا ارتياب، واتحد به كل اتحاد – إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب"[93].

**وقال رحمه الله:** "لما افتتح –ﷻ– هذا الذكر الحكيم بالهداية في قوله تعالى: ﴿اْهدِنَا الصّرَاطَ الْمُستَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦ ]، وبالهداية والتقوى التي هي شعار التائب في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، وذلك أول منازل السائرين، وختم بتقرير أمر التوحيد على وجه لا يتصور أن يكون أكمل منه، وتقرير الإخلاص فيه كما يشعر به الأمر بـ(قل)، وذلك هو نهاية المقامات عند العارفين، فتم بذلك الدين، وانتهى سير السالكين، وختم الإخلاص المقررة لذلك بأنه تعالى لا كفوء له، فتوفرت الدواعي على الانقطاع إليه والعكوف عليه

وألقت عصاها واطمأن بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر[94]

أمر بالتعوذ برب هذا الدين، موافقة لإياك نعبد وإياك نستعين، من شر ما يقدح فيه بضرر في الظاهر أو في الباطن، وهم الخلائق حتى على الفنا في الغنا، وبدأ بما يعم شياطين الإنس والجن في الظاهر والباطن، ثم اتبع بما يعم القبيلين، ويخص الباطن الذي يستلزم صلاحه صلاح الظاهر، إعلاماً بشرف الباطن على وجه لا يخل بالظاهر"[95].

ومناسبة أخرى بين فاتحة الكتاب وخاتمته، وهي براعة الاستهلال، وهي إشعار المتكلم في مفتتح كلامه بما يريد أن يفيض فيه. ولا شك أن من تدبر الفاتحة وتأمل معانيها، أشعرته بالمعاني التي فصلتها السور بعدها؛ لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن؛ ولذا سميت أم القرآن[96]، **قال البقاعي:** "ولما افتتح القرآن بسورة مشتملة على جميع معانيه، ختم بسورتين يدخل معناهما، وهو التعوذ، ويندب ذكره في جميع أجزائه ومبانيه، وفي ذلك

لطيفة أخرى عظيمة جداً، وهي أنه لما علم بالإخلاص تمام العلم وظهور الدين على هذا الوجه الأعظم، فحصل بذلك غاية السرور، وكان التمام في هذه الدار مؤذناً بالنقصان، جاءت المعوذتان لدفع شر ذلك"[97].

**وقال البقاعي**: "ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان ببراعة الختام وفذلكة النظام، كما أن الفاتحة شاملة لذلك؛ لأنها براعة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثول"[98].

ومن هنا تتجلى روعة ختم القرآن الكريم بسورة الناس، وبدئه بسورة الفاتحة، حيث جمع بين حسن البدء، وحسن الختم، وذلك غاية الجلال والجمال،" فإنا لو رجعنا إلى أول المصحف وآخره لوجدنا ربطاً بديعاً، إذ تلك الصفات الثلاث في سورة الناس موجودةٌ في سورة الفاتحة، فاتفقت الخاتمة مع الفاتحة في هذا المعنى العظيم، إذ في الفاتحة ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾، ﴿مَالِكِ يَومِ الدِينِ﴾، فجاءت صفةُ الربوبيةِ والملكِ والألوهيةِ في لفظ الجلالة.

وتكونُ الخاتمةُ الشريفةُ من باب عودٍ على بدءٍ، وأنَّ القرآنَ كله فيما بين ذلك شرحٌ وبيانٌ لتقديرِ هذا المعنى الكبير"[99].

ولقد أدرك شيخ الإسلام **ابن تيمية** التناسب بين فاتحة الكتاب وخاتمته، وأجاد في بيانه، حيث قال: "ثم ختمَ المصحفَ بحقيقةِ الإيمانِ، وهو ذكرُ اللهِّ ودعاؤه، كما بُنيت عليه أمُّ القرآنِ، فإنَّ حقيقةَ الإنسانِ المعنويةَ هو المنطق، والمنطقُ قسمان: خبرٌ وإنشاءٌ، وأفضلُ الخبرِ وأنفعُهُ وأوجبه ما كان خبرًا عن اللهّ كنصفِ الفاتحةِ وسورةِ الإخلاصِ، وأفضل الإنشاءِ الذي هو الطلبُ وأنفعُهُ وأوجبُهُ ما كان طلبًا من اللهّ، كالنصفِ الثاني من الفاتحةِ والمعوذتين"[100].

وفي بيان الحكمة من ختم القرآن بالمعوذتين ومناسبتها لفاتحة الكتاب الحكيم، **نجد ابن جزيّ الكلبي** يبين ذلك، ويكشف عنه بقوله: "فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين، وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

**الأول**: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده، والنعم مظنة الحسد فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله.

**الثاني**: يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما؛ لأن رسول الله- ﷺ- قال فيهما: (أُنْزِلَتْ عليَّ آياتٌ لمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ)[101] كما قال في فاتحة الكتاب: (لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟)[102] فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد، وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها.

**الوجه الثالث**: يظهر لي- أيضًا- أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن بالمعوذتين؛ ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة، وعند آخر ما يقرأ من القراءة، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء، وليكون القارئ محفوظًا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره، وبالله التوفيق لا رب غيره"[103].

ونختم بكلام قيَّم **للعلامة ابن باديس** أوضح فيه سر ختم القرآن بالمعوذتين، قال رحمه الله: "كان من رحمة الله بصاحب القرآن، ولطف تأديبه له، وحسن عنايته به، أن ختم بهاتين السورتين كتابه؛ لتكونا آخر ما يستوقف القارئ المتفقه، وينبهه إلى أن في العلم والحكمة مسألة لم يتعلمها إلى الآن، وهي: أنه مهما امتد في العلم باعه، واشتد بالحكمة اطلاعه: فإنه لا يستغني عن الله، ولا بد له من الالتجاء إليه، والاعتصام به، يستدفع به شر الأشرار، وحسد الحاسد. وكفى بهذه التربية قامعاً للغرور، وإنه لشر الشرور"[104].

## الخاتمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فبعد الفراغ من كتابة هذا البحث، ظهرت لي جملة من النتائج أجملها فيما يأتي:

1- أن القرآن متفرد بنظمه وأساليبه وعبارته، مترابط في سوره وآياته.

2- أهمية علم المناسبات؛ لما يظهره من تناسب القرآن وترابط آياته.

3- ارتباط فاتحة القرآن بخاتمته، وسائر أجزائه.

4-أن سور المعوذات تمثل نموذجاً لشدة الترابط بين السور القرآنية.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

## الهوامش والإحالات:

1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م. (5/ 423).

2) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق/ بيروت، ط: الأولى - 1412 هـ، ص801.

3) لسان العرب، ابن منظور، ، دار صادر– بيروت، ط: الثالثة - 1414هـ، (1/ 755).

4) البرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي، ط: الأولى، 1376 هـ - 1957م، (1/ 35).

5) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (1/ 6).

6) البرهان، (1/ 36)، الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1394هـ/ 1974 م، (3/ 369).

7) ينظر: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، د. قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط: الأولى، 1431هـ-2010م، ص95.

8) أَلَّف في علم التناسب من القدماء ابن الزبير الغرناطي، (ت:708هـ)، كتاب البرهان في ترتيب سور القرآن، وألّف بعده البقاعي، (ت:885هـ) كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وكتاب مراصد المطالع في تناسب المقاطع

والمطالع، ومن المُحْدَثين أحمد أبو زيد كتاب التناسب البياني في القرآن، ومحمد القاسم كتاب الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، وغيرهما.

9) ينظر: البرهان في علوم القرآن، (1/ 35)، الإتقان في علوم القرآن، (3/ 369)، والزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن عقيلة المكي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط: الأولى، 1427هـ/ 2006م، (6/ 296)، ومن الدراسات التطبيقية لهذا العلم ما قام به ابن الزبير الغرناطي في كتاب: (البرهان في ترتيب سور القرآن)، والبقاعي في كتاب: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وجلال الدين السيوطي في كتاب: (تناسق الدُّررِ في تناسبِ السُّورِ)، وغيرهم.

10) البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، (1/ 35).

11) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (1/ 6).

12) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط: الثالثة – 1420 هـ، (7/ 106).

13) مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط:الثالثة، (1/ 60).

14) البرهان في علوم القرآن، (1/ 36).

15) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (20/ 34)، التحبير لإيضاح معاني التيسير، ابن الأمير الصنعاني، ت: مَحَمَّد صُبْحي حَلّاق، مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض- السعودية، ط: الأولى،1433 هـ – 2012 م، (4/ 218)، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، محمد بن علي الأثيوبي، دار المعراج الدولية، دار آل بروم، ط: الأولى، (15/ 341).

16) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، (20/ 34).

17) المصدر السابق، (20/ 34).

18) قال الرازي: "الْمُعَوِّذَةُ، رُوِيَ أَنَّهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونَ فَعَوَّذَهُ بِهَا وَبِاللَّتَيْنِ بَعْدَهَا، ثُمَّ قَالَ: (تَعَوَّذْ بِهِنَّ فَمَا تعوذت بخير منها). مفاتيح الغيب، (32/ 357).

19) قال ابن حجر: "الْمُرَاد بِالْمُعَوِّذَاتِ: الْإِخْلَاصُ، وَالْفَلَقُ، وَالنَّاسُ". فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة- بيروت، 1379هـ، (11/ 125).

20) قال الطوفي: "وبتَأكيدِ أَمرِ الْمُعَوِّذاتِ؛ وهي: الثَّلاثُ الأُخَرِ". إيضاح البيان عن معاني أم القرآن، الطوفي الحنبلي، ت: علي حسين البواب، مكتبة الثقافة الدينية، ص24.

21) قال النيسابوري: "وأما المعوّذتان: فالفلق والناس، وقد يضم إليهما الإخلاص، فيقال: المعوذات". غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري، ت: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – 1416 هـ، (1/ 36).

22) قال البرماوي: "(المعوذات) بكسر الواو، يعني: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: 1]، والمعوذتين". اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، البرماوي، ت: لجنة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط: الأولى، 1433 هـ – 2012 م، (13/ 117).

23) قال ابن باديس: "المعوذات، ويراد بها ما يشمل سورة الإخلاص". في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس الصنهاجي، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: الأولى، 1416هـ – 1995م، ص369.

24) قال الزرقاني: "(يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ) -بِكَسْرِ الْوَاوِ- الْإِخْلَاصُ مُعَوِّذَةٌ تَغْلِيبًا، وَلَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ صِفَةِ اللهِ تَعَالَى". شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط: الأولى، 1424هـ – 2003م، (4/ 517).

25) قال ابن عاشور: "والمعوذة (لقول النبي -ﷺ- لعثمان بن مظعون، وهو مريض فعوذه بها وبالسورتين اللتين بعدها، وقال له: تعوذ بها". التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية – تونس، 1984 هـ، (30/ 610).

26) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند، ط: الثانية، 1403هـ، (3/ 384).

27) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى 1422هـ، (6/ 189).

28) فتح الباري، (11/ 125).

29) سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، ت: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1411 – 1991م، (3/ 68).

30) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، مرجع سابق، (15/ 342).

31) دلائل النبوة، البيهقي، ت: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان، ط: الأولى،1408ه/ 1988م، (6/ 248).

32) أسرار ترتيب سور القرآن، جلال الدين السيوطي، ت: عبد القادر عطا، دار الاعتصام، ط: الثانية، 1398هـ/ 1978م، ص161.

33) إيضاح البيان عن معاني أم القرآن، مرجع سابق، ص24.

34) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية– القاهرة، ط: الثانية، 1384هـ – 1964 م، (20/ 251).

35) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، (15/ 341).

36) تفسير ابن باديس، ص370.

37) لفظ الحديث كما في صحيح البخاري، برقم، (5016)، (12/ 462). عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ- ﷺ- كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَيَنْفُثُ فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا).

38) تفسير ابن باديس، ص370، 371.

39) الإتقان، (4/ 165).

40) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – 1416هـ/ 1995م، (16/ 478).

41) تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عطية محمد سالم، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1415 هـ – 1995 م، (9/ 157).

42) ينظر: أضواء البيان، (9/ 158)، إمعان النظر في نظام الآي والسور، محمد عناية الله سبحاني، دار عمار، الأردن، ص141.

43) نظم الدرر ، (22/ 394).

44) في مجالس التذكير، ص370.

45) مفاتيح الغيب، (32/ 310).

46) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة، (16/ 1716).

47) إيضاح البيان، ص24.

48) ساقطة من المطبوع.

49) نظم الدرر ، (22/ 419).

50) تناسق الدرر، ص146.

51) الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام – القاهرة، ط: السادسة، 1424 هـ، (11/ 6748).

52) المختصر في تفسير القرآن، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط: الثالثة، 1436 هـ، ص603.

53) المرجع السابق، ص604.

54) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، ط: 1420 هـ، (10/ 570)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري، ت: هاشم محمد مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، (32/ 435)، حاشية الشهاب على البيضاوي، أحمد بن محمد الخفاجي، دار صادر ـ بيروت، (8/ 410)، التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: الأولى، (1393 هـ = 1973 م) - (1414 هـ = 1993 م)، (10/ 2048).

55) مفاتيح الغيب، (32/ 358).

56) مجموع الفتاوى، (17/ 107).

57) ينظر: مجموع الفتاوى، (32/ 4)، بدائع الفوائد، ابن القيم، ت: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط: الأولى، 1416 – 1996م، (1/ 145، 146)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، ت: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ - 1992 م، (15/ 421)، شرح الرسالة التدمرية، عبد الرحمن البراك، ص60.

58) التفسير القيم، ابن القيم، ت:مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بإشراف إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال– بيروت، ط:الأولى–410 هـ، ص594.

59) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط: الثانية، 1418 هـ، (15/ 864).

60) الأساس في التفسير، (11/ 6748).

61) ينظر: التحرير والتنوير، (30/ 612)، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبد الله الغماري، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م، ص 158–159، بلاغة البديع في جزء عم، عمر المحمود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1433هـ - 2012م، ص267.

62) روح المعاني، شهاب الدين الآلوسي، ت: علي عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ، (30/ 266).

63) التفسير القرآني للقرآن، (16/ 1710–1711).

64) البحر المحيط، (10/ 570).

65) ينظر: البرهان في علوم القرآن، (1/ 260)، معترك الأقران، السيوطي، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1408 هـ - 1988م، (1/ 53)، أسرار ترتيب القرآن، السيوطي، ص45.

66) ينظر: التحرير والتنوير، (30/ 612)، جواهر القرآن، أبو حامد الغزالي، ت: محمد رشيد رضا، دار إحياء العلوم، بيروت–لبنان، ط: الثالثة، 1411هـ/ 1990م، ص78، البيان في تناسب سور القرآن، د. عاطف المليحي، مكتبة المجد العربي، القاهرة، مصر، ط: الأولى، 2005م، ص138.

67) تتمة أضواء البيان، (9/ 151).

68) ينظر: البيان في تناسب سور القرآن، ص138، تفسير جزء عم، ابن عثيمين، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الرياض، ط: الثانية، 1423 هـ – 2002م، ص354.

69) التحرير والتنوير، (30/ 625).

70) غرائب القرآن، مرجع سابق، (6/ 598).

71) ينظر: البحر المحيط، (10/ 575)، التفسير الوسيط، مرجع سابق، (9/ 2053).

72) ينظر: القول الشافي في تفسير المعوذتين، محمد الخضري، مطبعة التوكل، مصر، ط: الأولى، 1367هـ/ 1948م، ص16، 17.

73) أسرار ترتيب القرآن، ص161، 162.

74) المرجع السابق، الحاشية: ص162.

75) ينظر: لمسات بيانية ، د. فاضل السامرائي، محاضرات مفرغة، المكتبة الشاملة،ص444.

76) بدائع الفوائد، مرجع سابق، (2/ 250).

77) التحرير والتنوير، (30/ 632).

78) تتمة أضواء البيان، (9/ 183).

79) ينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن، ص385، 386، جواهر البيان، ص161، البيان في تناسب آيات القرآن، ص138.

80) نظم الدرر، (22/ 424).

81) في مجالس التذكير، ص380.

82) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى – 1418 هـ، (5/ 350).

83) مجموع الفتاوى، (15/ 536).

84) البرهان في تناسب سور القرآن، ص385.

85) نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، د. عبد الرحمن بو درع، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد 154، ط: الأولى، 1434هـ، ص45.

86) دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، المطبعة الحميدية، ط: الأولى، 1388ه، ص75.

87) مناهل العرفان، الزرقاني، (2/ 316).

88) المرجع السابق، (2/ 316).

89) البرهان في نظام القرآن، ص85.

90) المرجع السابق، ص86.

91) نظم الدرر، (22/ 440).

92) البيت للمضرس الأسدي، كما في البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ، ص410.

93) نظم الدرر، (22/ 406-408).

94) ينظر: البيان في تناسب آيات وسور القرآن، ص53، 54.

95) نظم الدرر، (22/ 394).

96) المرجع السابق، (22/ 423).

97) أضواء البيان، (9/ 177).

98) مجموع الفتاوى، (16/ 479).

99) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر، برقم (1928)، (2/ 200).

100) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم، (8682)، (14/ 311)، والترمذي في سننه، برقم، (2875)، (5/ 155)، والبيهقي في السنن الكبرى، برقم، (4124)، (2/ 375)، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم، (2408)، (2/ 1191).

101) التسهيل لعلوم التنزيل، ت: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط: الأولى – 1416 هـ، (2/ 503).

102) في مجالس التذكير، ص370.

# دراسة موضوعية لبعض القيم الاجتماعية

# في الأمثال الشائعة باليمن

د. عبدالجبار مسعد التام*

**المقدمة**

إن دراسة الأمثال عنصر مهم في الدراسات الأدبية والدراسات الإنسانية؛ فالأمثال تعد، بصفة عامة، جزءاً من حياة الأمم والشعوب. وقد جاءت الأمثال الشعبية في عصور الشفاهية ممثلة لصوت المجتمع، تعكس أحواله وتفكيره وثقافته.وقد كان لها شأن عظيم في الدراسات التي تتناول أحوال المجتمعات وثقافتها، كما أن لها شأنا في الدراسات الاجتماعية والتاريخية واللغوية.

والاهتمام اليوم بالدرس اللغوي، يسهم في تقدم البحث في مختلف مجالات العلوم الإنسانية؛ فكل تقدم في تخصص معين يؤثر بشكل أو بآخر على البحث في مجال الأمثال. فالمثل يعتبر "عنصر تقاطع الدراسة التي تتعهد التخصصات الرئيسية للعلوم الإنسانية"(1). وهو يشكل نقطة التقاء اللغة بالثقافة، ويعكس لنا الممارسات الخطابية والقيم الثقافية. كما انه موضع اهتمام العديد من المقالات والبحوث والدراسات التي تهدف إلى طرحه ك "وحدة لغوية ". فهو خلاصة تجارب الشعوب، تم صياغتها في جمل صغيرة ذات معاني متعددة. وهكذا تمثل الأمثال الفلسفة الشعبية في الحياة واتصال العنصر البشري بمختلف نواحي الحياة ومكوناتها. فما هي قيمة الأمثال الشعبية؟ وما هي وظائفها؟ وهل هناك تراجع في الأمثال وحركتها؟ وهل

* أستاذ مساعد كلية الآداب –جامعة ذمار.

هناك محو لمضمونها من خلال الابتعاد عن ذكرها، ومن خلال تفشي قيم مغايرة يمكن لها أن تؤدي إلى تشويه للمثل، وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على بعض القضايا التي يتناولها أصحاب البيئة التي قيلت فيها الأمثال وذاعت.

## المثل: خصائصه وأغراضه

المثل عبارة عن جملة مفيدة موجزة ومحكمة البناء وبليغة العبارة وشائعة الاستعمال عند الطبقات كافة، فهو يلخّص قصة وخبرة غابرة، وقد حظي عند الناس بثقة تامة؛ لأنه يسهم في حلِّ مشكلة قائمة بخبرة مكتسبة من مشكلة قديمة انتهت إلى عبرة لا تُنسى، وقيلت هذه العبرة في جملة موجزة، وارتضاها العامة والخاصة في لفظها ومعناها.

ولقد وجد المثل سبيله إلى البلاغة العربية فيما عرف باسم التشبيه التمثيلي، (عند الميداني، والنظام، وابن المقفع، وابن السكيت)، إذ يوحي بإجراء تشبيه بين حالتين: الحالة الراهنة التي يستعير فيها القول المتمثل به، والحالة التي صدر عنها ذلك القول. وقد مرّ قبل اعتماده وشيوعه في غربال معايير المجتمع، ونمّ، صراحةً أو ضمناً، عن هذه المعايير على كل صعيد وفي كل حال يتعاقب عليها الإنسان في حياته.

إن المثل بفصيحه ودارجه وبتعبيراته فنٌّ من الفنون الشعبية التي تندرج تحت لواء التراث، وهو بوصفه علماً من العلوم الإنسانية، بالغ التأثير في الحضارة والثقافة العامة. ومن المعروف أن لكل شعب من الشعوب ولكل أمة من الأمم أمثالها الخاصة التي تعبر عن نمط الحياة الفكرية والروحية والاجتماعية والاقتصادية، التي كان ومازال يحياها ذلك الشعب وتلك الأمة.

لقد خضعت المأثورات الشعبية، ومنها المثل الذي توارثه الخلف من السلف شفاهة، وعبر رحلته الطويلة اندثر منه ما اندثر وطوى النسيان ما طوى، شأنه شأن سائر المأثورات الشعبية، للدراسة العلمية في القرن التاسع عشر، واستحوذ المثل على اهتمام بعض علماء اللغة والتاريخ والاجتماع في الشرق والغرب وذلك؛ لأن دراسته استقصاء وتحليلا ومقارنة، تهدي الباحث إلى وضع صورة صادقة للمجتمع والتعرف

على أفكاره وتقاليده، فهو يشكل المرآة التي تتجلى من خلالها الحياة اليومية ويُعد حصيلة للتجارب الواقعية التي عاشها المجتمع وصاغها مثالا وأرسلها حكمة وتعليما.

يعد المثل من أكثر أنواع التراث الشعبي انتشاراً وتداولاً، فاستعماله لا يتطلب أي مواصفات أو مهارات معينة من قبل المستعمل، ولا توجد أي ظروف نفسية ومناسبات اجتماعية تمنع من استعماله، كما ساعدت كثرة انتشار المثل، وتداوله على سهولة الحصول على عينات كثيرة منه؛ مما أدى إلى تنوع الدراسات الفلكلورية التي تهتم بالمثل، ويرجع سبب انتشار المثل وتداوله بين طبقات المجتمع وأفراده بشكل يفوق غيره من الألوان الأدبية إلى خصائص المثل نفسه، ففكرته واقعية ولفظه موجز وتركيبه بسيط ومعبر ونطقه سهل؛ مما يجعله عالقاً في الأذهان منساباً على كل لسان.

إن ثقافات الأفراد والجماعات تختلف باختلاف مرجعياتهم الفكرية، وكذا باختلاف مواقعهم الجغرافية والبيئية، وتعد التجربة الإنسانية أساس العديد من الإبداعات والإنتاجات الثقافية المختلفة ذات الصلة بالطبيعة الإنسانية الحيوية والمتجددة، فكل عمل إبداعي يعبر عن هوية منتجة، واهتمامنا بدراسة المثل الشعبي بصفته أحد الأجزاء الرئيسية في بناء الإبداع الشفهي، يأتي من كونه يمكننا من إدراك أفكار المجتمع وتصوراته وآرائه ومعتقداته ودرجة ارتقائه أو تخلفه.

لقد شهدت الثقافة العربية اهتماماً كبيراً بالمثل، إذ عملت شريحة من المثقفين في المشرق والمغرب ومن الولوعين بالثقافة الشعبية على جمع أعداد هائلة من الأمثال المتداولة التي تعبر عن الغنى والتنوع الثقافي لأنماط الحياة المختلفة. وقد اختلف الباحثون لاسيما اليمنيين في طريقة تدوين الأمثال، فمنهم من اتبع التسلسل الهجائي مثل إسماعيل الأكوع (الأمثال اليمنية) 2004، ومنهم من قسمها حسب الموضوعات مثل عبدالله البردوني (فنون الأدب الشعبي في اليمن) 1995، والبعض الآخر اكتفى بالتصنيف حسب المكان.

## وظيفة المثل

المثل، بصفته عصارة لتجارب الحياة الإنسانية تجاه مواقف معينة، يسهم في تهذيب الأجيال، وتقويم الأخلاق، وتأديب الأشخاص، واستعماله في معظم الأحيان يتم في ظروف خاصة ولهدف معين من شأنه

تخفيف الألم في حالة التشاؤم والفشل أو التوجيه والتنبه إلى الصواب، وقد يفعل المثل في النفس ما تعجز عنه المحاضرات. كما أنه يلعب عدة وظائف من أبرزها:

- الوظيفة الأخلاقية: تعتبر عبارة المثل بمثابة نصيحة وقاعدة سلوكية، تتجلى فيها خبرة القدماء. ولهذه العبارة وظيفة في علم الأخلاق وتهذيب المجتمع، كما أنها تعبر بصفة عامة عن سلوك إنساني. فهي تذم في كل مجتمع وتنوه بالأساليب نفسها، فغالباً ما نجده يرشدنا إلى التشبث بالقيم الأخلاقية الإيجابية كالصدق والكرم والصبر والقناعة والابتعاد عن القيم السلبية كالطمع والحسد والنفاق والأنانية والبخل، ومن بين الأمثال الشعبية التي تعبر عن ذلك نجد مثلا "قليل دائم ولا كثير منقطع" "ما بعد الشدة إلا الرخا" "بشر البخيل بحادث أو بوريث".
- الوظيفة الدينية: نجد العديد من الأمثال الشعبية التي لها أثرً ديني في حياتنا اليومية، فغالباً ما نجد بعضها يدعو إلى احترام مبادئ الدين، ويوصي بالصبر والرضا وقضاء دّين الميت، ومن بين تلك الأمثال المعبرة عن ذلك: "الصبر مفتاح الفرج" "الدّين قبل الوراثة".
- الوظيفة العلمية: من الأمثال ما يرشد ويلقن معرفة عملية مستوحاة من تجربة القدماء، ولاسيما في مجال الفلاحة لما يزخر به من معلومات ونصائح علمية حول الفصول والطقس والتغيرات الجوية ومواقيت الزراعة والحصاد " أيام الزراعة معدودة وأيام الحصاد ممدودة".
- الوظيفة التعليمية: مما لا شك فيه أن الطابع التعليمي التهذيبي، يظهر واضحاً في الأمثال أكثر من ظهوره في أي نوع آخر من الآداب الشعبية، والمثل في إطاره التعليمي يوجه السلوك بأسلوب مباشر أحياناً كما يوجهه بأسلوب غير مباشر أحياناً أخرى، وذلك بتقديم نماذج بشرية شاذة أو إبراز سلوك اجتماعي قبيح، وهو في هذه الحالة يريد أن ينفرنا من هذه النماذج، أو هذا السلوك، وكأنه يريد أن يقول: لا تفعلوا هذا السلوك، أو لا تكون مثل هذه النماذج الشاذة السيئة. ومن هذه الأمثال "من زرع الحيلة حصد الفقر"، وتتم هذه الوظيفة وغيرها من خلال تلقين التراث الشفهي الذي يعود بفوائد متعددة، وذلك من الجانب المعرفي واللغوي والثقافي والتربوي، ومن الممكن،

على مستوى المضمون والتربية، بلورة القيم البشرية كالإحسان والكرم والصبر، وتلقين قواعد سلوكية ونصائح تعامليه، والتوعية بمكونات الثقافة في المجتمع "من صبر نال ومن نال فاز" "ربي ابنك وهو صغير، تلاقيه وهو كبير"، أما على مستوى اللغة يمكن للأمثال المساعدة في إثراء معجم المتعلم.

## القيم الاجتماعية

للأمثال أثرٌ كبير في حياة أي مجتمع، ففي المجتمع اليمني تسهم في معالجة القضايا المختلفة، ولاسيما في المناطق القبلية، إذ الفرد أكثر ارتباطاً بأسرته، ولا يستطيع التحرك "إلا وفق قانون القبيلة، وفي حدود عرفها وتقاليدها"[2]. وهي توضح علاقة الفرد بمجتمعه، وتنظم سلوكه، حتى أصبحت تمتلك أحيانا قوة القانون وتأثيره.

وتختلف الأمثال من منطقة إلى أخرى، فأمثال المدن تمتاز بالاستعارة والتورية، من حيث الأسلوب وبتعدد نواحي استعمالها من حيث المعنى بتعدد المهن، وتتميز أيضا بوجود بعض المفردات الدخيلة كالحبشية أو التركية المقترنة بشؤون الحياة العامة ولاسيما في مجال الإدارة. في حين تمتاز أمثال القبيلة بجزالة الألفاظ، ووضوح أغراضها كالحرية والشجاعة والقتال والوفاء والشر والغدر والصبر والعمل والزراعة.

إذ تعد الأمثال رصيداً عاماً وملكاً مشتركاً لجميع أفراد المجتمع وفئاته، ولا تنحصر صياغتها، أو استخدامها على النخبة، أو المتعلمين، أو المثقفين، بل هي ملك للجميع ومستعملة من قبل أفراد المجتمع سواء كان الفرد منهم ذكراً أم أنثى أو كان حكيماً أم جاهلاً أم متعلماً أم مهندساً أم مزارعاً، وغالبا ما يكثر استعمالها من قبل أفراد أُميين. كما أن معظم الأمم يعبر عن الشعور نفسه بواسطة أمثالها؛ ومن الملاحظ أن هناك علاقة وطيدة بين الأمثال في دول مختلفة، رغم تباينها، وذلك من حيث المضمون، أو حتى من حيث الشكل أحياناً.

إن علاقة الحكمة بالسلوك جعلتنا نصنف الأمثال تصنيفاً سلوكياً، وهي التي تجعل المثل معبراً عن روح المجتمع ومعتقداته ومعاييره وسلوكه، فهو يعبر عن معنى عميق من خلال بساطة الصور ومقاربته للحياة

اليومية، ومعرفة المثل تعكس المستوى اللغوي والخبرة للفرد؛ فكل فرد يكتسب عديد من الأمثال وفي الوقت نفسه زيادة تجاربه في الحياة، وعلى الرغم من أن الأمثال تتميز دائما بأشكالها البسيطة، لكنها تشكل انعكاسا لمجموعة متنوعة من الأحكام والمواقف. فهي مجرد تعبيرات عامة يجب معرفة اللحظة المواتية لاستعمالها.

والمثل لا يقال دون سبب، ولا يمكن استعماله عشوائياً، أي بعيداً عن سياقه في الكلام، فهو يأتي من تلقاء نفسه، دون صعوبة وتقريبا دون أن يلاحظ، في حالة معينة، ومن الصعب، حتى بالنسبة إلى المتحدث المحلي، توضيح الأمثال خارج السياق. ويشير بعض الحالات إلى أن استعمال المثل يمكن أن يحتوي على عديد من المواقف والمعاني، فعبارة المثل محايدة، ولكنها تأخذ معناها داخل الخطاب حسب نية المتحدث، ويمكن استعمال العبارة نفسها في ظروف مختلفة تماماً، فنحن نبحث أحياناً عن قول شيء ما عن موقف معين، ونقوم بفعل ذلك بواسطة عبارة ليس لها علاقة واضحة مع هذا الموقف، ويرتبط المثل بمواقف معينة ويُعرف من خلال استعماله، والغرض منه إحاطة الحقائق الملموسة وتوضيحها، وللمثل استعمال محدد: فهناك سياق ورسالة تُرسل ودرس يُفهم.

وتهدف الأمثال، بصفة عامة، إلى الحفاظ على النظام الاجتماعي، فكل له مكانه في المجتمع ويؤدي الدور المنوط به. ومن ثم سيعيش في تناغم مع الآخرين ويستحق تقديرهم واحترامهم. وبالمقابل فالمجتمع ليس كلية ثابتة؛ بل هو منظومة متحركة عرضة للتغيير وتمتلك آليات تضمن للأفراد وللجماعات بعض الحركة الاجتماعية.

تتجلى قيمة الأمثال في فلسفة العادات والأعراف، فمن الممكن أن نتعلم من الكتب والمدارس مئات من القضايا المعقدة، في حين الأمثال الشعبية تعلمنا الحياة مباشرة، وتستطيع تلخيص مراحل من الفلسفة في عبارة مستوحاة من تجربة، فهي "*تترجم تصور الفاعل الاجتماعي للموقف، وتساعد على توضيحه، فمن خلال الحدث الاجتماعي يتم استحضار بعض الأمثال فجأة من خانة النسيان إلى الذاكرة*"[3].

لذلك يمكننا، بشكل أو بآخر، محاولة فهم الحياة من خلال عديد من الرسائل التي تتضمنها الأمثال التي تناقش جميع الموضوعات المتعلقة بالحياة: العلاقات الإنسانية، والعلاقات الاجتماعية، والعلاقات

الاقتصادية والسياسية والدين والطب... الخ، وسنحاول في هذا البحث مناقشة بعض الموضوعات في الأمثال الشائعة باليمن.

### 1. القدر

عبارة عن سلسلة من الأحداث، التي تؤثر على الفرد، في حياته الشخصية، أو ألاجتماعية، إذ إن نشأة هذه الأحداث وأسبابها خارجة عن سيطرة العقل، وعن سيطرة الإرادة. فالقدر الصفة مفهوماً متناقضاً، يمكن أن يحمل دلالات إيجابية أو سلبية اعتمادا على سياقات مختلفة، ولكنه في معظم الأحيان ذو دلالات سلبية، ولاسيما في الممات وسوء الحظ.

يجمع القدر بين عدة مصطلحات مثل، المصير والحظ والمجهول، الخ. فهو ليس قيمة اجتماعية فقط، ولكنه يتضمن قيماً أساساً في التقليد الشفوي اليمني: الحياة والصحة والسعادة والخصوبة، والنجاح. ويمكننا الاستشهاد بأمثلة منها: " الزوجة مرجام الغيب"، "بنت الشرق للغرب وبنت الغرب للشرق".

إن هذه الأمثال وغيرها تفسر سمة من سمات القدر، وهي عدم القدرة على التنبؤ، فالقدر يتحاشى التوقعات الإنسانية، ولا يدخل في نطاق المعرفة البشرية، وإذا كان الإنسان يستطيع أن يعرف مسبقاً المصير المخصص له، فإنه على الأقل سيحاول عمل شيء ما للسيطرة على هذا المصير الذي يتعذر تغييره في دلالاته السلبية كما هو الحال بالنسبة إلى سوء الحظ، فهو أمر لا مفر منه وعلى الفرد أن يخضع لقدره؛ "لا نزل القدر عمي البصر" و "المكتوب ما منه هروب".

### 2. دورة الحياة

الإنسان هو محور كل القيم المعبر عنها في الأمثال وأساس محتواها، وعادة ما يكون مصطلح "دورة الحياة" في الدراسات الأنثروبولوجية مخصصاً لمراحل الحياة المتميزة ب "طقوس العبور"، مثل الولادة، والتلقين والزواج والوفاة، وسنحاول توسيع معنى هذا المصطلح للدلالة على مختلف الأعمار، وهذا التوسع

سيوضح أن للأمثال وظيفة أساساً، تكمن في تنظيم العمل الإنساني، ليس فقط في اللحظات الحرجة من الحياة، ولكن في أكثر الروتين اليومي، فلكل مرحلة عمرية سلوكها وقيمها الخاصة بها.

تعد الأمثال إحدى الوسائل الشفهية التي تساعد على النقل الثقافي، فالناس يميلون إلى نقل الثقافة التي تلقوها هم أنفسهم عن أسلافهم إلى أبنائهم، وكما أنهم يخضعون لتأثير البيئة وتحولاتها، فهم يؤثرون على أولادهم خلال سنواتهم الأولى، فعملية التكيف مع المجتمع تبدأ منذ الولادة.

إن كل شيء يعتمد على التعليم والخبرة؛ "التعليم في الصغر كالنقش في الحجر"، فليست الولادة النبيلة هي التي تضمن السعادة ولا اسماً كبيراً للعائلة يمنع من أن يكون الفرد غير سعيد. حتى الحكم على الفرد في حالة الجهل بأصوله يمكن أن يكون من خلال أفعاله "إذا غرتك الأصول دلتك الأفاعيل". فكل شخص يمكن الحكم عليه من خلال أفعاله التي تظهر أصله ونشأته. "إسأل عن الأصول قبل الوصول"، "إسأل عن الأم قبلما تلم"، وهذه الأمثال تدعونا إلى السؤال عن عائلة الفتاة وخاصة الأم؛ لأنه في نهاية الأمر الفتاة هي نسخة من والدتها "اقلب الجرة على فمها تطلع البنت مثل أمها".

الطفولة: هي المرحلة الأولى من العمر، وهي التي ترسم ملامح شخصية الفرد. ولهذا السبب يجب تكريس كل الاهتمام لتعليم الطفل، مع العلم أن التعليم الأولي يساعد في تحديد وضع الفرد في المجتمع؛ ف "من شب على شيء شاب عليه" والعادة، تعد طبيعة ثانية وصعبة التغيير، وتكون متأصلة، وكل ما تتركه الطفولة للشخص يلقاه في الشيخوخة.

مع ذلك، يجب الأخذ في الحسبان في هذه المرحلة بمبدأ الوسطية في التعامل معه، فيجب الابتهاج تارة والعتاب تارة أخرى والقسوة واللين لأن "عيب الولد من أهله". إن عدداً من الأمثال، ومنها " كثرة الضرب تدي البلادة" و "ربي ابنك وهو صغير تلاقيه وهو كبير" هي بمثابة نصائح للتعامل الحسن مع الأطفال من أجل الحصول في وقت لاحق على نتائج جيدة، فمن الممكن السماح لهم ببعض الطيش الذي لا يمكن غفرانه للبالغين؛ لأنه عندما تظهر اللحية تختفي الطفولة، والآباء يوجهون أطفالهم عندما يكونون

صغاراً وستتم معاقبتهم إذا عصوا، ولكن عندما يصبحون كباراً فإنهم يخرجون بسهولة أكبر من السيطرة الأبوية، ويكون الآباء أقل سلطة عليهم.

الصبا: المرحلة العمرية غير الواضحة، التي تكون بين الطفولة والنضج، توضح بشكل قوي شخصية الفرد، ففي هذه المرحلة يبقى الصبي مرحاً وطائشاً، وأكثر جرأة من الطفل، وهو عاطفي وغالباً ما يوضع تحت المراقبة؛ لأن المستقبل يبدأ من هذه المرحلة؛ " لا كبر ابنك خاويته".

البلوغ: المرحلة العمرية التي يكون فيها الشخص ناضجاً وجدياً، إن الخبرة والحكمة تأتيان مع التقدم في السن، وليس القوة ولا الشجاعة، ومع ذلك، لا الخبرة ولا الحكمة تكون بعدد السنين، لأن الحياة ستنتج شباباً ناضجين وأصحاب حكمة من دون انتظار التقدم في السن.

الشيخوخة، معها يوجد العجز والبؤس "التلم العوج من الثور الكبير"، "كبر السبع وشاب وسار مسخره للكلاب". أنه في كثير من الأحيان يتم تجاهل العجوز، ومع ذلك فطول العمر هو مصدر الحكمة والخبرة، ومن يعش طويلا يرى كثيرا؛ "لا تغزي إلا بقوم قد غزت وإلا بشيبه قد أعياه الزمان"، وكل شخص مدعو للشيخوخة ولعيوبها.

هذا هو قانون الطبيعة الذي لا يمكننا عمل شيء تجاهه، ولكل مرحلة عمرية خصائصها وقيمها: فللطفولة المرح والسذاجة، وللمراهقة القوة والحماس، وللبلوغ الخبرة والجدية، وللشيخوخة الضعف والحكمة.

**3. القرابة**

تقوم على مبدأ النسب المؤسس على البيت، الذي يتكون من جميع أولئك الذين يمكن تحديد نسبهم الفعلي إلى سلف مشترك، ويترأس سيد البيت النشاطات الجماعية للمجموعة، ويدير النزاعات بين الأعضاء ويفرض عقوبات على أولئك الذين يرتكبون أخطاء في المبادئ الأخلاقية للمجموعة.

إن القرابة لا تتقيد بالعائلة الصغيرة، فالزواج هو اتحاد بين رجل وامرأة، بحيث يتم الاعتراف بالأطفال الذين يولدون من هذا الاتحاد، من قبل المجتمع، بصفته نسلاً مشروعاً لكلا الشريكين. ومن أجل بناء أسرة

جيدة، تحث الأمثال على البحث عن الشريك الأفضل "خذ بنات الأصول واترك المحصول"، "خذ الأصيلة ولو كانت على الحصيرة". فمن يختار المرأة لمالها لا يفوز "يا أخذ القرد على ماله بيروح المال ويبقى القرد على حاله ". حتى من الجانب الجسدي "لا تأخذ العورا ولا بنت بنتها بيجو عيالهن عور ". فالمرأة في المجتمع اليمني هي البيت "البيت المرة والحبة الذرة" وهذا البيت هو الدور الذي تقوم به المرأة داخل الأسرة من تربية الأولاد والطهي وما إلى ذلك. كما أنه من الممكن قول الشيء نفسه عن الفتاة، وحث الأب على اختيار الشريك الأفضل لها " اخطب لبنتك ولا تخطب لابنك ".

تتكون الأسرة من الأب والأم وأطفالهم، ويمكن التمييز بين نوعين من العلاقات: العلاقة بين الأزواج والعلاقة بين الآباء وأبنائهم، فالزوج غالباً ما يكون متقلباً ولا مبالياً، وقد ينفصل عن زوجته إذا لم يقتنع بها، وإذا لم تعطه أولاداً ولاسيما ذكوراً. وعلى الزوج في الثقافة اليمنية أن يكون السيد في البيت، فلا يمكن أن يخضع لسيطرة زوجته، لأنه "من عمل بمشورة مراته ندم"، ومن الشائع أن "النساء ناقصات عقل ودين وميراث".

تشكل المرأة في الثقافة الشعبية، ولاسيما في الأمثال موضع تناقض بشكل عام، فهناك انتقادات لبعض أوجه القصور فيها وهناك تمجيد لبعض صفاتها. فالمرأة بطبيعتها فضولية وناكرة للجميل ومتقلبة وماكرة "كيد النسا غلب كيد الشيطان" و "إذا صاحت المره غرت على الرجال"، ويجب أن تكون المرأة متواضعة وخاضعة لزوجها، "ثلاث يشتين ثلاث؛ الدار الوسيعة تكون منيعة، والمرة البديعة تكون خضوعه، والفرس السريعة تكون مطيعة"، لأن المرأة الغنجاء والغبية واللامبالية والمشاكسة تقود منزلها إلى الخراب والبؤس.

يتزوج الفرد من اجل إنجاب أطفال عدة، فهم سيسهمون في وقت مبكر في سوق العمل الأسري. والجميع يحب الأطفال لأنفسهم وكونهم أيضا وسيلة، لتحقيق بعض الأهداف الاجتماعية مثل الثروة، "يا مالاه قال يا رجالاه"، والسلطة والهيبة والأمن. وتمجد الأمثال حب الآباء لأبنائهم، فالأب يريد ابنه أن يكون أفضل منه، ولكل دوره الخاص به في المنزل، فالأب يدير الأسرة في حين أن الأم توفر المودة للأطفال،

والابن خاصة الأكبر سناً والبالغ يحمي أهله، ويحل محل والده، وكما يقول المثل الفرنسي "الطفل الذي يكبر يحلب أبقار أبيه".

كما أن الأم رحيمة وراعية لأطفالها وحبها لهم بغير حساب، "قلبي على ولدي وقلب ولدي علي حجر" و"عقل الوالد مع الولد وعقل الولد في الخلد". والمنزل الذي فيه تعدد زوجات تظهر غيرتهن تجاه الأولاد وتجاه الزوج، فالزوجة الأخرى تشمئز من ابن منافستها، ويكون اهتمامها به قليلاً وتتمنى له السوء، وبدوره فالولد لا يظهر أي ثقة ولا احترام لزوجة والده، فالشعور بينهم متبادل "الخالة مرة الأب لا بتحب ولا تنحب"،"مثل الوليد مع خالته".

أما ما يتعلق بجنس الطفل فغالبا ما يحبب أن يكون الطفل الأول ذكراً، وإنجاب طفل عند الولادة الأولى يعد الرغبة الأساس في المجتمع اليمني والثقافة العربية بشكل عام، ففي الثقافة المغربية؛ تقول ليلى المسعودي في بحثها بعنوان (*صورة المرأة من خلال الأمثال المغربية للشمال الغربي*) أن: "*الوظيفة الإنجابية للمرأة مشاد بها على نطاق واسع في الأمثال؛ سواء من خلال الحاجة (وجوبا) للحمل وبالأخص إنجاب طفل ذكر*"[4]، وكذلك في المجتمع اليمني يهتم الآباء في الحصول على مزيد من الفتيان أكثر من الفتيات، وذلك لأسباب عدة: على سبيل المثال، أن الفتيات يجلبن المتاعب والعار في العائلة، والأولاد قادرون على إعالة الأسرة أكثر منهن، فالآباء يعتمدون أساساً على الأولاد للمساعدة في دعم الأسرة، وهم الذين يحملون اسم الأسرة.في حين الفتيات يتزوجن ويحمل أطفالهن اسم أسرة الزوج"ولد ولدك لك وولد بنتك له".وما أن تتزوج الفتاة لا يمكن للوالدين الاعتماد عليها؛ لأنها أصبحت تنتمي إلى نسب مختلف هو نسب الزوج.

**4. الصداقة**

من حيث الحياة العاطفية تعرف الأمثال قيماً هامة: الحب والصداقة والأمل والفرح، وتشكل الصداقة قيمة اجتماعية هامة، ليس فقط شعور بالمودة المتبادلة، ولكن أيضاً بعملية حسابية دقيقة الفائدة، فهي المنفعة التي يمكن استخلاصها من أي علاقة، وهذا لا يعني أنها أنانية صرفه، فالصديق الحقيقي الذي

يقبل أن يتمتع صديقه بخدماته، لكنه في الوقت نفسه يتوقع المعاملة بالمثل "حك لي واحك لك" ولأنه "من حب نفسه فارق أصحابه"، يجب أن تكون الصداقة الحقيقية دائما مفيدة وصادقة وعفوية ومتبادلة.

وليس هناك من أحد بلا أصدقاء حتى الشخص الشرير لديه أصدقاء "حافظ على الصديق ولو في الحريق" و "اعمر لك في كل وادي دار وفي كل قرية بيت". يجب بذل كل جهد ممكن لتكوين صداقات والاحتفاظ بها؛ لأن الصداقة هشة، ورب كلمة مسيئة أو كذبة تفرق بين الأصدقاء. وبما أن الصداقة قد تكون بين أشخاص من المستوى الاجتماعي نفسه، إذا تمكن أحدهم من تحسين وضعه من خلال مهنته أو فرصة عمل، فإنه يميل إلى نسيان الأخر أو كراهيته "صاحبك عدوك " و "لا تدعي لصاحبك بالسعادة تخسره" و "ما خبازه تحب خبازه". هكذا يتعدد الأصدقاء لكن الشخص الذي يمكن أن تكون أمامه عاريا يكون نادراً "عند الضيق لا أخ ولا صديق".

### 5. الأخلاق

كل إنسان مقيد من قبل مجموعة من العادات والصفات والعيوب، التي تجعل منه ما يستحق تقدير أقرانه، أو يكون موضع ازدرائهم، فالميزات تشكل القيم الأخلاقية، في حين العيوب هي وصفات سلبية لهذه القيم، وغالبا في الأمثال، تتواجد الصفات والعيوب في شكل ازدواجية اعتراضية، ولا بد من أن نلاحظ أن كثيرا من الأمثال لا تتفق، بل تتناقض، ولو وُضعت جنبا إلى جنب، كمثل قولهم: "الجار للجار ولو جار" وقولهم: "يا جاري انت في حالك وأنا في حالي"، فالأول يدعو إلى التضامن مع الجار في كل حال والثاني يدعو إلى الانصراف عنه.

إن العادة، جيدة كانت أم سيئة، تكون وراثية أم فطرية وفي بعض الأحيان مكتسبة من الطفولة؛ فهي متأصلة دائما "كل شي عاده حتى العبادة" و "من تعود على السم أكله"و "من شب على شي شاب عليه"، وكل العناصر البشرية لديها عادات جيدة متوارثة منذ الولادة أو نتيجة للتربية الأساسية "زوجك على ما تعوديه وابنك على ما تربيه". وإذا كان للكل ميزات، فلا أحد خال من العيوب، والكمال ليس في هذا العالم،

والجميع يحاول أن يخفي عيوبه، ولكن من الصعب إخفاؤها من أقاربه أو تركها "رجعت حليمة لعادتها القديمة" وغالبا ما نكون ضحايا لعيوبنا.

والفرد قد يكون المسؤول عن عاداته الجيدة أو السيئة، ويجب على الجميع الخضوع للمصير "المكتوب ما منه هروب"، فالمبدأ الأساس في قيم المجتمع اليمني هو أن الجميع مسؤول عن أفعاله "من عمله بيده الله بيزيده" و "كل شاة معلقه من عرقوبها"، ولكل طريقته الخاصة في التفكير والعمل: فما هو شر للبعض قد يكون خيراً للآخرين "مصايب قوم عند قوم فوايد". وعيون الناس تشاهد بطرق مختلفة"كلا يناظر الناس بعين طبعه" و "كل عين ولها حلاها". فكل شيء يعتمد على الظروف.

### 6. السعادة

بغض النظر عن الوضع الاجتماعي، أو العرق، أو الدين، أو الثقافة، فالجميع يبحث عن السعادة، بصفتها قيمة أساساً في الحياة، تلك المشار إليها في الأمثال تارة من خلال مصطلحها الإيجابي "السعادة" (نعمة، خير، راحة) وأخرى عبر المصطلح السلبي "التعاسة" (شر، مصيبة، نقمة). إن السعادة لا علاقة لها بنبل الميلاد أو المهنة التي يقوم بها الفرد، فمكوناتها تختلف من ثقافة إلى أخرى، وكل شخص له نصيبه من السعادة ويمكن أن يكون سعيداً وغير سعيد؛ "الدنيا دواره ساعة مع الكبار وساعة مع الصغار".

فالسعادة بالنسبة إلى الإنسان اليمني ولاسيما في الأمثال، هي في المقام الأول جسدية، "اذي مابش معه عيد، يقول العيد عيد العافية"، وأحيانا تكون السعادة في المعدة الممتلئة "غدا من بيت سيدي، عشا من بيت سيدي، أيش يفعلو بالمطر يا قبايل".

### 7. الاحترام

واحد من أهم اللوازم في المجتمع هو الاحترام، أو الاحتقار الذي يظهره لأعضائه وفقا لسلوكهم، بالامتثال للقواعد الأخلاقية أو عدمة، فسمعة الفرد، هي تلك التي يمنحها للمجتمع، والحكم لا يتم من خلال المظاهر؛ لأنها في الغالب خداعة، بل يجب أن يكون على الأفعال " المظاهر خداعة" و "إذا غرتك الأصول دلتك الأفاعيل".

إن كل فرد يبحث عن الاعتبار بين أعضاء مجموعته، ويميل إلى تقدير أكثر من الآخرين.والتقدير والاحترام اللذين نتمتع بهما بين أقراننا ليسا سوى لازمة من لوازم قيمنا الإنسانية، وهذه القيم في حد ذاتها مرغوب فيها.

ومع ذلك، يوجه الاحترام للشخص وليس لملكه، ولكن قد يكون العكس، كما هو مبين في هذا المثل "اذي مابش معه قرش ما بيسوا قرش" و "كلب الكبير كبير وكلب الأمير أمير"، ويحق لأي شخص مهما كان وضعه الاجتماعي الاحترام، ومن لا يحترم الآخرين لا يستحق أي اعتبار؛ لان قانون المعاملة بالمثل موجود في هذا المجال، كما هو الحال في المجالات الأخرى للحياة الاجتماعية.

**8. السببية**

تعد السببية إحدى القوانين الطبيعية الأكثر استعمالاً في الأمثال، فلا يوجد أي حدث من دون سبب "مابش دخان بدون نار". فضلاً عن ذلك، كل حدث يتناسب مع سببه "من زرع قليل حصد قليل"؛ فللحدث الحسن سبب حسن "اذي يشتي آليه يقدم تسعه وتسعين"، وكذلك السبب السيئ، لا يعطي نتائج طيبة "من زرع الحيلة حصد الفقر"، وأحيانا يمكن أن يسبب حدث بسيط نتائج مهمة "يضع سره في أضعف خلقه"، والعكس أيضا صحيح، فالسبب قد يكون أكبر من الناتج، الذي لا يتناسب معه "تمخض الجبل وادى فار".

إن قوانين السببية تشكل المبادئ الأساسية لفن القيادة بين الناس؛ ولذلك يجب على كل فرد تحمل النتائج السلبية لأخطائه وعيوبه، وكما أن مبدأ السببية موجود في الأمثال، فإن الأمثال تتضمن أيضا مبدأ الغائية، وكل شيء يكون مخصصاً لغاية في الطبيعة، فمن يرد الغاية يبحث عن الوسيلة "الغاية تبرر الوسيلة" وكل فرد يتصرف وفقا لوسائله المناسبة.

**الخاتمة:**

لقد قمنا بدراسة وصفية لأحد أنواع التعبير الخاص من خلال التحليل الموضوعي لبعض الأمثال الشائعة في اليمن، وحاولنا مناقشة بعض القضايا المتعلقة بالحياة، مثل المصير والشخص والعلاقة والأخلاق والاحترام، وما إلى ذلك. وتم جمع الأمثال من عدة مصادر، مثل (فنون الأدب الشعبي في اليمن) عبدالله البردوني 1995، (الأمثال اليمنية) إسماعيل الأكوع 2004، وكذلك من خلال الجمع الشخصي الذي أجري مع عدد من الرواة (العائلة والأصدقاء والطلاب).

الثقافة هي مجموعة من السمات المميزة: الروحية والمادية، والفكرية والعاطفية، التي تميز ملامح مجتمع أو مجموعة اجتماعية، وللوسط الشعبي شواغله وآدابه وفنونه التي يأخذها الخلف عن السلف مشافهة، وبطريقة عفوية خالية من التكلف، خلال المعاملات اليومية وداخل المساكن، وفي الشوارع وفي الأسواق، وعلى أبواب المتاجر وغيرها من مظاهر الحياة اليومية. يعد المثل، شكلاً من أشكال التعبير العالمي في المجتمعات ذات التقليد الشفهي، أحد الخطابات المنتشرة في كل مكان، والحاملة لرسالة شعبية، تسمح برسم أنموذج للمجتمعات التي خرج منها.

ويرتبط المثل بحياتنا اليومية، وهو جزء أساس من معيشتنا، وعبره نلخص تجربتنا، ومن خلاله تصل إلينا تجارب أسلافنا، والتواصل ضروري لبقائه سارياً بين الناس وفي أفواههم؛ ليمكن لهويتنا الحضارية أن تبقى حية وفاعلة ويمكن من ثم أن ننقلها إلى أجيالنا اللاحقة، والحفاظ على صيغة المثل وألفاظه من التغيير، لأن المساس به يخل بمدلوله، ويفقده كثيراً من قيمته الأدبية واللغوية والتاريخية، فالأمثال تؤثر في سلوك الناس، ومنها ما يكون حافزاً للتحسين والإصلاح، ومنه ما يكون فيه حجة وذريعة لتأييد سلوك أو موقف، وفيها ما يدعو لسلوكيات خاطئة مثل الكذب.

فضلاً عن ذلك، يلعب "المثل" دورا مهماً في المجتمع. وتأثيره واضح على سلوك الناس. فهو يلبي متطلبات المبادئ التقليدية، ويعكس عموما وجهة نظر بسيطة، لهذا فالناس تتقبل المثل وتتبناه بسهولة، كما إن المثل يُعنى دائما بالإنسان في أعماق شخصيته، وفي أخلاقه، وفي علاقاته مع زملائه، وانسجامه مع العالم.

ويعرف المجتمع اليمني قيماً أساساً خاصة بالفرد والأسرة والثروة والسلطة والاحترام...الخ، لكن القيمة الأساس هي العيش في وئام مع الطبيعة ومع أقرانه مستسلما لما تمليه عليه السببية والحدث والممكن والزمان والمكان.

مع ذلك، نستطيع القول بأن منظومة القيم الاجتماعية للمجتمع اليمني التي يمكن استخلاصها من خلال تحليل محتوى مجموعة من الأمثال ليست في اتزان مثالي أو ثبات تام، فكل نظام قابل للتغيير بواسطة ديناميته الداخلية، وكذا التأثيرات الخارجية، ووتيرة هذا التغيير تخضع لكل من مرونة النظام نفسه، وتأثير التاريخ، وينطبق الشيء نفسه على منظومة القيم الاجتماعية.

وفي الأخير يمكن القول إن المثل بتحولاته المختلفة في الزمان والمكان ليس أكثر من نتاج ثقافي مرتبط بموقف تاريخي معين وبظروفه ومقوماته الخاصة، ومن المثير للاهتمام إعادة قراءة التراث اليمني؛ لتصحيح بعض الصور الخاطئة، كصورة المرأة في الأمثال والحكايات، من أجل ألا تنتقل مثل هذه القيم السلبية بين الأجيال وتصاغ بطرق مختلفة.

## الهوامش والإحالات:

1) F. SUAR, et C. BURIDANT, « *richesse du proverbe* » 1984, 2 Vol, Université de Lille Ⅲ. "Communications présentées à Lille, du 6 au 8 mars 1981, dans le cadre du Colloque de .Parémiologie"تمت الترجمة بواسطة الباحث
2) إسماعيل الاكوع "الأمثال اليمنية" مجلد 1، إصدار وزارة الثقافة والسياحة 2004. صنعاء. ص 10.
3) L. MESSAOUDI, «*Image de la femme à travers des proverbes marocains du nord ouest* »,*Culture orale et variation linguistique au Maroc*, éd. OKAD, Pub. Laboratoire
Langage et Société. 2009. Pp 42- 59.تمت الترجمة بواسطة الباحث
4) L. MESSAOUDI مرجع سابق 2009. Pp.42-59.

# البناء العشوائي وعلاقته بالتخطيط الحضر ي في المدن اليمنية

د . عبدالله أحمد ناصر الجرفى•

**الملخص:**

تعاني المدن اليمنية شأنها شأن معظم المدن العربية من إشكاليات عديدة لا يشعر بها السكان مباشرة في الوقت الحاضر، غير أنها قد تصبح خارج التحكم والسيطرة في المستقبل، الأمر الذي يترتب عليه أعباء على سكان المدن اليمنية، نظراً إلى نتائجها السلبية على حياتهم حاضراً ومستقبلاً، ولعل أبرزها انتشار البناء العشوائي، بصفته من أبرز مظاهر التدهور التي تخل بالتوازن البيئي الذي يجب أن يكون سائداً، وقد ضاعف من حدتها واستمراريتها تواضع التخطيط الحضري. بحكم العلاقة بين الجغرافيا والبيئة، وكون البناء العشوائي ظاهرة مكانية لها أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والتخطيطية، وانطلاقا من هذه الحقائق، وبسبب نقص الدراسات الأكاديمية لهذا الجانب الحضري الهام. تنبع أهمية الدراسة من كونها تسعى إلى تتبع انتشار البناء العشوائي في المدن اليمنية، وما ينتج عنه من اختلال للتوازن البيئي بغية الحفاظ عليه ضمن الحيز الحضري، ومن خلال دراسة تحليلية عن طبيعة العلاقة بين التخطيط الحضري، والتوسع العمراني ولضمان توازنها، وتهدف الدراسة إلى الإسهام في الكشف عن حجم انتشار البناء العشوائي في المدن اليمنية، وتوزيعها المكاني من خلال الكشف عن عوامل نشأتها وتطورها، بأمل الإسهام في تقديم مقترحات للهيئات القائمة على التخطيط الحضري للحد من انتشارها مستقبلا، ولتحقيق أهداف الدراسة، والإجابة عن

• أستاذ جغرافية المدن المساعد – رئيس قسم الجغرافيا.

تساؤلاتها، فقد تم اعتماد عدد من المناهج البحثية حسب الظاهرة المدروسة، منها المنهج الوصفي للحصول على أوصاف دقيقة للظاهرة، والمنهج الاستقرائي التحليلي من خلال التحليل للبيانات وفق عدد من المعايير الحضرية، واعتمادا على دراسات ميدانية سابقة قام بها الباحث، فضلاً عن الملاحظة العلمية للظاهرة والاستعانة بالصور الفضائية والجوية والخرائط المتوفرة في برامج الحاسوب.

**المقدمة:**

أضحى البناء العشوائي من أكثر الموضوعات جذبا لاهتمام الباحثين والمهتمين بالشأن الحضري ومخططي المدن، وقد واجهت المدن اليمنية إشكاليات متعددة ومعقدة، وما تزال تواجهها، أدت إلى تدهور البيئة الحضرية والطبيعية كقريناتها من المدن العربية والعالمية، ومصادر تلك الإشكاليات طبيعية وبشرية، وتنمو بشكل متواز ومتزامن مع نمو المدينة، وتتطور من حيث النوع تبعاً لتنوع أنشطتها وتعدد وظائفها، وتكمن وراء ذلك عدد من الأسباب، لعل أبرزها ارتفاع معدلات الهجرة الوافدة التي بدورها ضاعفت من أعداد السكان، ونتج عنه الضغط على البيئة الحضرية والطبيعية للمدن اليمنية بدرجة أخلت بالتوازن بين أعدادهم وموارد هذه البيئة المتاحة، رغم كل الجهود التي بذلت وما تزال تبذل لمعالجة هذه الإشكاليات غير أن الحلول لا زالت متواضعة ولا ترقى إلى مستوى أهمية مدننا وحجمها، الأمر الذي دفع الباحث لإجراء هذه الدراسة بهدف التوصل إلى تقديم مقترحات تساعد الهيئات القائمة على التخطيط الحضري في وضع معالجات لأبرز الإشكاليات التي تعاني منها مدننا بشكل عام والمناطق العشوائية على وجه الخصوص، من خلال الكشف عن حجم المخاطر الناجمة عن انتشار البناء العشوائي ونوعها، بغية التوصل إلى تقديم مقترحات تحد من هذه الظاهر، وصولاً إلى القضاء عليها كلية كون ذلك هدفاً من أهداف البحث العلمي .

**مشكلة الدراسة:**

ستحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

س1 ما طبيعة العلاقة بين التخطيط الحضري والبناء العشوائي في المدن اليمنية؟

س2 ما الخصائص التي تميز المناطق العشوائية؟ وتوزيعها المكاني؟

س3 ما أفضل البرامج التي يمكن من خلالها التحكم والسيطرة على انتشار البناء العشوائي مستقبلاً؟

**هدف الدراسة:**

تهدف الدراسة إلى الإسهام في الكشف عن حجم البناء العشوائي في المدن اليمنية، والتعرف على خصائصها وتوزيعها المكاني، من خلال الكشف عن عوامل نشأتها وتطورها، بأمل الإسهام في تقديم مقترحات تؤدي إلى الحد من انتشارها مستقبلاً.

**حدود الدراسة:**

ستقتصر الدراسة على خمس مدن رئيسة هي: أمانة العاصمة صنعاء، ومدينة عدن، ومدينة تعز، ومدينة ذمار، ومدينة إب.

للإجابة عن أسئلة الدراسة وتحقيق أهدافها ستتناول المحاور الآتية:

أولاً: التوزيع الجغرافي للمناطق العشوائية والعوامل المؤثرة في توزيعها وتطورها.

ثانياً: التخطيط الحضري وعلاقته بانتشار البناء العشوائي في المدن اليمنية.

ثالثاً: العلاقة بين التوسع العمراني العشوائي والخدمات في المدن اليمنية.

رابعاً: مستقبل المناطق العشوائية وبرامج التجديد الحضري.

## أولاً: التوزيع الجغرافي للأحياء العشوائية والعوامل المؤثرة في توزيعها وتطورها:

**مفهوم البناء العشوائي:**

المناطق العشوائية لا تعنى بالضرورة المناطق التي تتميز بتدهور المظهر الخارجي، بل هي نوع من العمران الذي لا يلبي المتطلبات الأساسية لسكانها، بل يرمز البناء العشوائي إلى المساكن المخالفة للتخطيط العمراني، وبشكل لا يتناسب مع ضوابط المباني واستخدامات الأرض، وعادة ما تكون ملكية الأرض غير مسجلة بصورة قانونية، فضلاً عن عدم توفر الحد الأدنى من الخدمات[1]، بمعنى يمكن وصف البناء العشوائي بأنه بناء غير شرعي، بناء غير قانوني غير نظامي، بناء غير مرخص له، بناء تلقائي، إلى غير ذلك من الأسماء التي تدل على أن بناء السكن لم يتم حسب معايير البناء التي تخضع لقوانين التعمير.[2]

**تعريف المناطق العشوائية:**

تعرف المناطق العشوائية: بالمناطق السكنية غير الصالحة أو الملائمة لسكن الإنسان بظروفه القائمة[3]، أو تجمعات سكنية نشأت في غياب التخطيط العام، بنيت بشكل عشوائي، وبمواد غير صالحة للبناء ومحرومة من الخدمات[4].

**العوامل المؤثرة في نشأتها وتطورها:**

ارتفع سكان المدن في العالم من 15٪ عام1900م، إلى 30٪ عام 1950م إلى 50٪ عام 2007م من سكان العالم،ولا يوجد مؤشر حتى اللحظة يقود إلى توقف أو تراجع ظاهرة النزوح من الريف إلى المدن، فضلاً عن أن تقديرات الأمم المتحد–منظمة اليونسف تشير إلى أن ما يفوق 30٪ من سكان البلدان النامية يسكنون المناطق العشوائية، إذ بلغت نسبة سكان الحضر الذين يسكنون العشوائيات 55٪ من جملة سكان قارة أسيا ومن 40–50٪ من سكان قارة أمريكا اللاتينية، ومن 60–90٪ من سكان قارة أفريقيا، وفي الوطن العربي قدرت النسبة بين 50–70٪، واليمن إحداها. الأمر الذي يستدعي من الهيئات القائمة على تخطيط المدن عالمياً وإقليمياً ومحلياً للاستعداد لمواجهة انتشار وتطوره أساليب التخطيط الحضري، وطرقه ووسائله، ووضع استراتيجيات تخطيطية مزمنة نابعة من رؤى علمية تترجم إلى خطط مستمرة ودائمة، أما اذا استمر الحال على ما هو عليه في الوقت الحاضر، فإن البديل هو مزيد من انتشار البناء العشوائي، وفي الوطن العربي تشير أدبيات المدن إلى أن نسبة سكان المناطق العشوائية في مدن المغرب العربي بلغت 50٪، وبلغت نسبة 47٪ من سكان المناطق العشوائية في مدينة حلب السورية من المهاجرين الوافدين، وبلغ عدد سكان المناطق العشوائية في مدينة عنابة الجزائر 13380نسمة،[5] ونسبة 39.7٪ من سكان مصر يعيشون في مناطق عشوائية[6]. وفي اليمن بدأ البناء العشوائي في المدن ينتشر بشكل خجول في الأربعينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وفي 1978م أوصت دراسة لويس برجر[7] بتحديث(master plan)، والحد من انتشار البناء العشوائي، وهو ما لم يتحقق، وعلى العكس من ذلك برزت ظاهرة البناء العشوائي في التسعينيات، وازدادت حدتها بعد إعلان قيام الوحدة اليمنية لاسيما في كبريات المدن اليمنية، وفي طليعتها مدينة صنعاء

العاصمة السياسة لليمن الموحد، إذ ارتفعت نسبة سكان المدن من 5٪ عام 1990م إلى 28٪ عام 2004م ويقدر سكان الحضر حاليا 33٪[8]، ونظراً إلى تواضع التخطيط الحضري حيناً،وغيابه أحياناً كثيرة فقد شهدت المدن توسعاً عمرانياً سريعاً، وكان هذا التوسع عشوائيا أكثر منه مخططاً، بلغ عدد المناطق العشوائية في مدينة إب اليمن 23٪ من إجمالي عدد المناطق السكنية في المدينة[9]، وأضحت المدن اليمنية تئن نتيجة التوسع في البناء العشوائي بما يترتب عنه من إشكاليات قانونية وتخطيطية واجتماعية واقتصادية وأمنية، فضلاً عن تدهور في عناصر البيئة، الهواء والماء والتربة، وأضحت ظاهرة تتطلب الاهتمام والمعالجة السريعة.

**أبرز العوامل المؤثرة في نشأة البناء العشوائي وتطوره:**

- ارتفاع معدل النمو السكاني على مستوى القطر اليمني بشكل عام والمدن الرئيسة بصفة خاصة.

-الصراعات والحروب وما يترتب عنها من ارتفاع معدلات البطالة والفقر، إذ يعد البناء العشوائي من أبرز نتائجه.

-إهمال التنمية الريفية مما يجعلها بيئة طاردة للسكان.

-تواضع أو غياب السياسات السكانية في احتواء الإشكاليات السكنية التي يعاني منها سكان الحضر.

-تواضع أداء إدارات الهيئات القائم على التخطيط الحضري وقصور في وضع المعالجات أثناء توسع المدن.

**أسباب انتشار البناء العشوائي:**

-الهجرة الداخلية (والعائدون من الخارج) وأثرها:

بات زحف المناطق العشوائية وانتشارها ظاهرة تهدد نوعية الحياة في أكثر مدن العالم، وأفضت إلى تفاقم مشكلة السكن في المدن العالمية والإقليمية والمحلية، إذ تعد الهجرة من الريف إلى المدينة أحد أهم الأسباب، ولا سبيل إلى إيقافها إلا عن طريق تحسين الأحوال المعيشية في الريف، إذ يشير كثير من الدراسات الميدانية إلى أن غالبية سكان العشوائيات من المهاجرين.

-ضعف الاستثمارات للقطاع الحكومي العام والخاص والمختلط في مجال الإسكان، منخفض التكاليف.

-التهاون مع منتهكي القانون ومغتصبي الأرض، نظراً إلى توفر بدائل أخرى.

-ضعف الرقابة من قبل الهيئات القائمة على التخطيط الحضري.

-ضعف مساهمات القطاع العام والخاص والمختلط عن إيجاد مدن سكنية لذوي الدخل المحدود، وتأمين خدمات البنى التحتية قبل البدء بالبناء.

-القصور في السياسات الإسكانية وارتفاع أسعار الأراضي المخططة.

**ثانياً: التخطيط الحضري وعلاقته بانتشار المناطق العشوائية في المدن اليمنية:**

التخطيط الحضري: هو تخطيط المدن الذي تسهم بتنظيم استعمالات الأرض فيها وتوزيع الأنشطة المختلفة ويوجه نمو المدينة.[10] بمعنى أن التخطيط أداة للوصول إلى الهدف.

**خصائص البناء العشوائي:**

تشير أدبيات المدن والعمران الحضري إلى أن المناطق العشوائية لم تخضع لقوانين التخطيط الحضري، ويعد الوقوف على الخصائص العمرانية للمناطق العشوائية أحد المقاييس الهامة لمعرفة الشكل العام للبناء بتلك المناطق، ويساعد في إيضاح الصورة للكتلة العمرانية، التي من خلالها يمكن تلمس الإشكاليات، وذلك من خلال معرفة الأسباب والعوامل التي أدت إلى ظهور تلك الإشكاليات[11].

أبرز خصائص المناطق العشوائي يمكن تلخيصها في الاتي:

-المناطق العشوائية لا تخضع للمعايير العمرانية الحديثة، وتنشأ بغير تخطيط، وتبنى بصورة غير قانونية، فتكون عاجزة عن تقديم الخدمات الاساسية.

-لا تواكب الازدياد في الطلب على السكن الملائم، ولا تتوافر فيها أبسط الشروط الصحية، وهي مناطق فقيرة ومزدحمة.

-تنشأ بشكل عفوي على أراض زراعية غير مرخصة، وتستعمل تقنية بناء غير لائقة، ودون الموصلات القياسية، ولا تواكب الازدياد في الطلب كماً وكيفاً[12].

-من أبرز خصائص المناطق العشوائية ارتفاع الكثافة السكانية والإسكانية، والتدهور العمراني المعماري، بصفته إسكاناً غير رسمي، وينتشر غالباً على أراضي الدولة في أطراف المدن.

**اولاً: المناطق العشوائية في أمانة العاصمة صنعاء:**

تتمتع أمانة العاصمة صنعاء بشكل عام ومدينة صنعاء العتيقة على وجه التحديد بتقليد معماري فريد، ويظهر ذلك جلياً في المساكن ذات الأبراج العالية، غير أنها بدأت تعاني من ظاهرة البناء العشوائي في الستينيات والسبعينيات، نظراً إلى النمو السكاني، فضلاً عن الهجرة من الريف إلى المدينة، وبرزت ظاهرة البناء العشوائي متزامنة مع عملية التحضر نظراً إلى للاختناقات الإسكانية المتزايدة في الارتفاع، وازداد الوضع سوءاً بعد عودة نحو مليون مهاجر يمني من دول النفط المجاورة أثناء حرب الخليج عام 1990م[13]، وتأصلت المشكلة أكثر بسبب عدم مواجهتها منذ البداية، ولربما أصبحت مستعصية الحل في المستقبل، إذ تركزت بشكل رئيس في المنطقة الشمالية الغربية والجنوبية الغربية، وعلى مواقع محظور البناء فيها، بسبب وقوعها على مجاري السيل، لتكون عرضة لمخاطر السيل في مواسم الأمطار ولم تسلم من انتشار البناء العشوائي مدينة صنعاء العتيقة التي تزخر بنمط معماري فريد، ويمكن تقسيم المناطق العشوائية في أمانة العاصمة صنعاء على النحو الآتي : مساكن تنتشر في أماكن خطرة طبيعياً، وذلك يجعلها عرضة للانهيارات الأرضية-الصخرية لوقوعها على سفوح تزيد درجة انحدارها عن 20٪.(حي مذبح أنموذجاً)، ومساكن واقعة على مجاري السيول .(حي سعوان أنموذجاً)[14]، خريطة (1-الملحق).

**ثانياً: المناطق العشوائية في مدينة عدن:**

عرفت مدينة عدن البناء العشوائي منذ أربعينيات القرن العشرين، فضلا عن أن ظاهرة التحول الاقتصادي والاجتماعي بجوانبها المعقدة والمتشابكة التي أعقبت قيام الوحدة، وإعلان عدن منطقه حرة إلى حدوث متغيرات في النمو السكاني والعمراني في مدينة عدن، مما أدى إلى انتشار ظاهرة النمو العشوائي[15]،إذ بلغت نسبة المساكن العشوائية في مدينة عدن عام 1946م 8٪، و ارتفعت النسبة إلى 14٪ عام1988م ثم إلى 20٪ 2002م، و إلى 25٪عام 2005م، و تتوزع هذه المناطق في جبل العيدروس، الخاسفة، الروضة،

المعلا، جبل هيل، التواهي، منطقة العريش، خور مكسر، والبساتين، ودار سعد، والشيخ عثمان، وحاشد، والقاهرة، والقطيع، والممدارة، وقد بلغ سكان حي الممدارة 2010م 52045نسمة، ويقدر بـ 698130 نسمة عام 2020م، بمعدل نمو سكني بلغ 6.05٪ إذ يفوق هذا المعدل معدل نمو مدينة عدن البالغ 3.66٪[16]، خريطة (2-الملحق).

**ثالثاً: المناطق العشوائية في مدينة ذمار:**

وفق نتائج الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث عام 2012م، وحسب معيار تاريخ بناء المسكن أظهرت النتائج أن 7.40٪ من مساكن المناطق العشوائية بنيت قبل عام 1962م، ونسبة 33.33٪ بنيت في المدة 1994-2004م، ونسبة 48.16٪ بنيت بعد عام2004م، والملاحظ أن غالبية مساكن المناطق العشوائية حديثة النشأة، وفي نفسه السياق تشير نتائج الدراسة الميدانية إلى أن نسبة المساكن التي بنيت في تلك المناطق في نفسها المدة وفق ترخيص رسمي لم تتجاوز 25.93٪ فقط مما يشير إلى أن نوع الممارسات التخطيطية وحجمها في أدنى درجاتها، مقارنة مع بقية مناطق المدينة الأخرى، الأمر الذي يجعل من سكان المناطق العشوائية يعيشون في مساكن تتميز بحجم غير كاف، ونوعية غير ملائمة، فضلا عن إلى أن المناطق العشوائية تشكل خطراً مباشراً على السكان في انتقال الأمراض بشكل سريع، نظراً إلى انعدام التهوية المناسبة والنظافة، فضلاً عن أنها تنذر بكارثة بيئية محققة في حال نشوب حريق أو أمطار غزيرة أو انهيارات أرضية أو زلازل، علماً أن مدينة ذمار تقع ضمن حزام النشاط الزلزالي[17]، كما أظهرت نتائج الدراسة الميدانية نفسها وفق معيار نمط البناء أن 81.48٪ من مساكن المناطق العشوائية في مدينة ذمار عام 2012م، تقليدية، ونسبة14.82٪ من مساكن المناطق العشوائية حديثة البناء، وهو الأمر الذي يمكن تفسيره بالتشابه والتقارب من حيث سيادة الأنماط السكنية في تلك المناطق العشوائية، نظراً إلى التشابه في الخصائص الطبيعية والبشرية، وكذا التقارب في المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ووفق معيار مادة البناء بلغت نسبة

المساكن المبنية من مادة البلك 88.88٪ من إجمالي مساكن المناطق العشوائية، إذ تتخذ المساكن المبنية من مادة البلك طابعاً مميزاً في الغالب، ويرجع ذلك إلى انخفاض أسعارها مقارنة بغيرها من مواد البناء، فضلاً عن سرعة بنائها، وهو عنصر مهم كون غالبية المساكن العشوائية تبنى بصورة سريعة لا يتم فيها مراعاة اعتبارات المسكن، من حيث الموقع والمكونات، وغالباً ما يتوزع البناء العشوائي في أطراف المدينة. خارطة (3-الملحق).

الأمر الذي يتطابق مع الدراسات التي أجراها المعهد العربي للإنماء والتي أشارت إلى أن نسبة 60٪ من البناء العشوائي تنتشر في أطراف المدن، و30٪ خارج نطاق المعمور، وهي مناطق توسع المدن، و8٪ فقط تنتشر وسط معمور المدينة العربية مدينة عنابة –الجزائر أنموذجاً. خريطة(4-الملحق).

وأيضاً أشارت نتائج المعهد العربي للإنماء إلى أن انتشار البناء العشوائي وما يترتب عنه من تدهور في التربة والماء والهواء في الحيز الحضري ومناطق توسع المدينة العربية سيستمر خلال السنوات القادمة، وأن هذه الظاهرة ستنعكس آثارها في مزيد من البناء العشوائي.

**آثار البناء العشوائي:**

تتلخص الآثار السلبية للبناء العشوائي على النحو الآتي:

**أولاً: النواحي الاقتصادية:**

تعمل على انتشار البطالة، إذ تشير التقارير الصادرة من وزارة التخطيط والتعاون الدولي للمدة 2012-2014م إلى أن البطالة تتركز بدرجة عالية في أوساط سكان المناطق العشوائية.

**ثانيا: النواحي الاجتماعية:**

وتتمثل في انتشار الأمية، وانخفاض المستوى الصحي، وظاهرة الزواج المبكر، وعمالة الأطفال، ومظاهر العنف والأمراض الاجتماعية، مثل الجرائم والسرقات، وانتشار ظاهرة التسول وتفاقم مشكلة التفكك الاجتماعي.

**ثالثا: التدهور البيئي:**

يؤدي الضغط الكبير على الموارد الطبيعية إلى سرعة تدهور الأنظمة البيئية و تدميرها، وترييف المدن، وخدش مظهرها الجمالي، كما أن ضيق الشوارع والطرقات يؤدي إلى تعذر دخول سيارات النظافة، الأمر الذي يضيف آثاراً بيئية خطيرة، منها انتشار المخلفات والنفايات بجميع أنواعها، مما يجعلها بيئة حاضنة لانتشار الفيروسات، وما يترتب منها من مضاعفات على صحة السكان.

فضلاً عن جملة من الإشكاليات تترتب عن البناء العشوائي، يمكن تلخيصها في الآتي:

1-إشكاليات قانونية :- تعدي على ملكية الدولة، والمؤسسات والأفراد.

2-إشكاليات تخطيطية :- إرباك عملية التخطيط.

3-إشكاليات إدارية وأمنية.

4-التعدي على الأراضي الزراعي.

**ثالثاً: العلاقة بين التوسع العمراني العشوائي والخدمات (مياه الشرب أنموذجاً) في المدن اليمنية.**

تعد الخدمات أهم متطلبات السكان، وكون المدن هي المهيمنة بما تمتلكه أو بما يفترض أن تمتلكه من حجم الخدمات ونوعها، غير أن النمو السريع وغير المتوازن الذي شهدته المدن اليمنية في العقود الأربعة الماضية نظراً إلى الاستقرار السياسي النسبي والتحولات الاقتصادية والاجتماعية، وما رافقه من تواضع في أداء إدارات الهيئات والمؤسسات ذات العلاقة بالتخطيط والإشراف والتنفيذ للخدمات بشكل عام، وفي المناطق

العشوائية على وجه التحديد، "كون المناطق العشوائية مشكلة لا لأنها مشكلة، في حد ذاتها فحسب، ولكن لأنها مصدر للمشكلات للمناطق الأخرى في الوقت نفسه"[18]، وحيث يفترض أن الأراضي المحيطة بالمدينة تخصص بصفتها حزاماً أخضر وهو الأمر الذي لم يتحقق، بل وتم التعدي بالبناء العشوائي عليه في جهات كثيرة. ونتج عن كل ما سبق قصور كبير، وفي الغالب غياب الخدمات العامة وخدمات البنى التحتية في المناطق العشوائية.

**-خدمات مياه الشرب:**

تعد قضية المياه اليوم هماً عالمياً على الرغم من تباين أزمتها من منطقة إلى أخرى، وما تفرضه من تبعات بيئية واقتصادية واجتماعية وسياسية، وفي اليمن تتمثل المشكلة في المواءمة بين الطلب المتزايد على المياه، والمخزون المائي المتناقص بفعل الاستنزاف الجائر، وقلة التغذية، فضلاً عن ما تعانيه اليمن من تدهور كمي ونوعي لمياه الشرب النقية نظراً إلى المتغيرات المناخية. إذ قدر معدل نصيب الفرد في اليمن عام 2005م 205/ لتراً مكعباً/ سنة، وانخفض المعدل عام 2010م إلى 177 / لتراً مكعباً/ سنة، وإلى 154 /لتراً مكعباً / سنة، 2015م، ويتوقع انخفاضه إلى 135-120 / لتراً مكعب /سنة، في الأعوام 2020-م و2025م، غير أن حدة التدهور تبرز بشكل واضح في المدن، إذ يلاحظ أن إمدادات المياه عبر الشبكة العامة للدولة في المدن اليمنية بلغت حوالي 67.5٪ من جملة المساكن في المدن اليمنية عام 1994م،وانخفضت النسبة إلى 64.9٪ عام 2004٪م[19]، وفي المدن أيضاً انخفض نصيب الفرد في مدينة عدن عام 1990م إلى 181 / لتراً / في اليوم[20]، وفي مدينة تعز انخفض نصيب الفرد إلى 36 / لتراً / اليوم[21]

**خدمات المياه والصرف الصحي في أمانة العاصمة صنعاء:**

يعد حوض صنعاء من أكبر الأحواض المهددة بالجفاف، نظراً إلى الاستنزاف الجائر للمياه الجوفية، إذ تشير العديد من الدراسات والتقارير الرسمية وغير الرسمية إلى انخفاض منسوب المياه سنوياً بمعدل يتراوح بين 6-8 أمتار، نظراً إلى تزايد عدد السكان بعاملي الزيادة الطبيعية والهجرة الوافدة إلى أمانة العاصمة صنعاء فضلاً عن تواضع كفاءة الشبكة العامة للمياه، يدل على ذلك حجم الفاقد بين ما يستخرج من مياه وبين ما

يستهلك، إذ قدر الفاقد بأكثر من 45٪ من المياه المنتجة، وهو رقم كبير بكل المقاييس، وبلغ متوسط نصيب الفرد من استهلاك المياه بين 30-40 لتراً/ يوماً، وهو أقل من المتوسط في إقليم الشرق الأوسط، وأمانة العاصمة مهددة بشكل واضح بنضوب الحوض[22]، فضلاً عن أن الشبكة العامة للمياه لا تغطي سوى 57.47٪ من مساكن أمانة العاصمة صنعاء، وشبكة الصرف الصحي لا تغطي سوى 55.83٪ منها.

**خدمات المياه والصرف الصحي في مدينة ذمار:**

تنقسم شبكة مياه مدينة ذمار، من حيث النشأة، إلى قسمين: شبكة قديمة تم إنشاؤها في عام 1967م، وشبكة حديثة تم الانتهاء من إنشائها عام 1992م، إذ بلغ عدد مشتركي الشبكة العامة 16255 مشتركاً[23]، وتغطي حوالي 76٪ من مساكن مدينة ذمار وفق البعد الكمي، غير أن الأمر يختلف إذا ما تم القياس وفق البعد النوعي، فضلاً عن أن كمية المياه المفقودة بالمدينة بلغت حولي 40٪، وهو رقم مرتفع بكل المقاييس[24]، وخدمات مياه الشرب في مدينة ذمار، إذا ما قيست بغيرها من المدن اليمنية جيدة في غالبية مناطق المدينة وقطاعاتها، باستثناء المناطق العشوائية، غير أن المؤشرات تؤكد وجود تدهور كبير في كمية المياه المنتجة والمخزون الجوفي على حد سواء، أما خدمات الصرف الصحي في مناطق وقطاعات مدينة ذمار فهي دون المستوى كماً ونوعاً،وتختفي بالكلية في المناطق العشوائية.

خدمات المياه وشبكة الصرف الصحي في مدينة تعز:

تعاني مدينة تعز أزمة خانقة في مياه الشرب وفق البعد الكمي والنوعي، بل إنها دخلت بالفعل طور فقر المياه في ضوء حصة الفرد المتدنية، والذي قدر بحوالي 36 لتر/ للفرد/ في اليوم[25]، وأصبح نصيب الفرد أقل من حد الفقر المائي، اذ يبلغ الحد الأدنى للفقر المائي وفق المعيار العالمي 100 لتر/ للفرد/ في اليوم[26]، ووفقاً لما سبق فإن العلاقة عكسية بين التوسع العمراني العشوائي وبين خدمات المياه بعضها لبقية الخدمات، الأمر الذي يؤثر بشكل مباشر على مستويات التنمية العمرانية والحضرية للمدن، ومن ثم فإن للبيئة تأثيرات سلبية وإيجابية على الإنسان سواء في مواقع عمله أم سكنه .

**رابعاً: مستقبل المناطق العشوائية وبرامج التجديد الحضري:**

بهدف تفادي الأخطار المحتملة التي تواجه عمران المدن اليمنية نتيجة التطور الحضاري.

دواعي التجديد الحضري للمدن اليمنية ومبرراته :

المدن اليمنية غنية بوحداتها التاريخية، وبالأثر الجمالي النادر لفن البناء، غير أن هذه المدن خضعت على اختلاف مراحل تطورها لعوامل أثرت فيها، وغيرت بعض معالمها، واستعمالات الأرض فيها وخصائص مبانيها، وكان لأسلافنا ابتكارات في فنون العمارة يلزم ابتكار حلول للتطوير الحضري بما يْمكن الأنماط السكنية من تلبية متطلباتنا المعاصرة، إذ أننا نعيش في عصر أصبح فيه التغيير هو الثابت الوحيد، فإن الأنماط السكنية للمدن اليمنية لا يمكن أن تكون في معزل عما يجري من تحولات، بل إنها في طليعة المصابين بهذا التغيير، وإيقاف التدهور العمراني والمعماري يتطلب عملية واسعة النطاق، تهدف إلى خلق بيئة حضرية، تتفاعل فيها الهياكل العمرانية مع الوسط الاجتماعي والاقتصادي، محققه بذلك بيئة تتلاءم مع العيش الإنساني[27]،غير أن ارتفاع الطلب على قطاع الإسكان في المدن اليمنية في العقدين الأخيرين نتج عنه ضغطٌ على مساكنها، الأمر الذي أسهم في انتشار البناء العشوائي بشكل غير مسبوق.

**أفضل برامج الحفاظ التي يمكن ممارستها:**

واستشرافاً لمستقبل المدن اليمنية، وبناء رؤية أفضل لرفع كفاءة وظائف المدن وفي طليعتها قطاع الإسكان، وسعياً من الدراسة إلى تحديد ملامح الوظيفة السكنية في المدينة اليمنية، وفق البعدين الكمي والنوعي على حد سواء واستنادا على ما تم معالجته واستشرافا لمستقبل الوظيفة السكنية، وحيث تتميز المدن اليمنية بثروة عمرانية ومعمارية حضارية، تشير أدبيات المدن إلى أن تعدد برامج الحفاظ وإعادة التأهيل والترميم، والارتقاء، والتطوير، تنشط في منطقتين رئيستين في العادة، هما: منطقة المركز (C. B. D)، والمناطق العشوائية، والراجح لدى الدراسة أنه ليس بالضرورة أن تُطبق تلك البرامج في كل المدن، وذلك لوجود تباينات في خصائص الموقع والمناخ، فضلاً عن أن ما يمكن تطبيقه من برامج في بعض أحياء المدينة الواحدة، قد لا يناسب تطبيقه في أحياء أخرى، بحكم تباين خصائص المساكن، من حيث الارتفاع ونمط البناء، ومادة البناء بغرض الحفاظ على الأنماط السكنية للمدن اليمنية، فمن الأهمية بمكان قبل الشروع في عمليات إعادة التأهيل، – يجب النظر من عدة زوايا – إلى مداخل مختلفة اجتماعية واقتصادية وتشريعية وقانونية

وهندسية مرتبطة بالتخطيط الحضري، إذ أظهرت نتائج الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث لمدينتي صنعاء وذمار أن المناطق العشوائية غير ملائمة لسكن الإنسان بظروفها الراهنة، وعليه يمكن تطبيق برامج التطوير الحضري والارتقاء، وأسلوب الإزالة وفق التوصيف السابق على مرحلتين:

**المرحلة الأولى**: قصيرة المدى من (2-5) سنوات، إعادة تأهيل يشمل التنمية البشرية والعمرانية، بشكل متواز ومتزامن ومتكافئ.

**المرحلة الثانية**: (أكثر من 10) سنوات، إعادة التأهيل بشكل رئيس، وتقتصر برامج الإزالة والإحلال في أضيق الحدود، أما برامج التطوير الحضري، فيلزم أن تخضع لتشريعات لاسيما بعد إجراء دراسات علمية متعمقة من قبل الأكاديميين والباحثين، والاستفادة من تجارب البلدان العربية في هذا الجانب أينما كان ذلك مناسبا.

## النتائج

-المناطق العشوائية هي أبرز الإشكاليات التي تنجم عن النمو السريع وغير المتوازن للعمران الحضري، نظراً إلى نتيجة جملة من العوامل، لعل أبرزها الهجرة الوافدة من الريف إلى المدينة مقابل تواضع النمو العمراني المخطط.

-تتلخص أهم الإشكاليات المترتبة بسبب البناء العشوائي عن الإشكاليات القانونية والاقتصادية والاجتماعية، وكلها تنذر بتدهور بيئي للحيز الحضري للمدن اليمنية، وما يترتب عليها من آثار سلبية على الصحة العامة للسكان، وسلامة البيئة الحضرية،ومواردها الطبيعية.

-رغم سن التشريعات وإصدار القوانين للحد من انتشار البناء العشوائي إلا أن واقع الحال يشير إلى استمرار البناء العشوائي، ويبرر توسعه، وبقوة ذريعة الحاجة إلى السكن خاصة لشريحة ذوي الدخل المحدود في جميع المدن اليمنية دون استثناء، الأمر الذي يترتب عنه تشويه للنسيج العمراني ويعرقل مسيرة التنمية الحضرية.

-أكدت تحذيرات منظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) للحكومة اليمنية تردي حال المدن التاريخية مثل: مدينة صنعاء العتيقة ومدينة زبيد، بفعل تزايد البناء العشوائي ضمن الحيز الحضري لتلك المدن.

-لا يمكن معالجة مشكلة البناء العشوائي والحد منها مالم تنفذ القوانين والقرارات الخاصة بتنظيم البناء العشوائي إلى جانب ضبط إيقاع الهجرة من الريف إلى الحضر من خلال إحداث تنمية ريفية شاملة.

-مسألة الاحتياجات السكنية وفق مؤشرات النمو الحضري سوف تتعاظم بالنظر إلى معدلات التحضر.

- انتشار العشوائيات خلَّف مجموعة من المشاكل التخطيطية المختلفة والتي أدت بدورها إلى تدهور البيئة الحضرية في المدن اليمنية، وستنعكس آثارها على تدني مستوى الخدمات والصحة العامة وسط تلك المناطق.

-لم تعد العشوائيات مشكلة عمرانية، بل هي مدخل لمشاكل اجتماعية واقتصادية وبيئية وأمنية وتربوية، ويلزم التوجه نحو تخطيط شامل للنظام الحضري، إذ تشير أدبيات المدن ومؤشرات النمو الحضري إلى أن انتشار العشوائيات وما يترتب عنه من تدهور سيستمر خلال الأعوام القادمة. نظراً إلى استمرار ارتفاع معدلات الهجرة الوافدة من الريف بعضها السبب الرئيسة في زيادة المناطق العشوائية.

- في إطار الاهتمام العالمي بالتوازن البيئي والتنمية المستدامة فإن مشكلة البناء العشوائي تعد من أبرز التحديات التي تواجه مدن العالم النامي، وتهدد البيئة الطبيعية، سواء التربة أو الماء أو الهواء، وينعكس ذلك على صحة الإنسان في بيئته العمرانية.

-النمو السكاني المتسارع، والهجرة من الريف إلى المدينة، وشحه الموارد وارتفاع معدلات الفقر، نتيجة الدخل المنخفض لمتوسط نصيب الفرد من الناتج الإجمالي، والارتفاع المستمر في أسعار الأراضي وغياب قانون ينظم العلاقة بين المؤجر والمستأجر ،والارتفاع المستمر في أسعار البناء نظراً إلى ارتفاع أسعار المواد، واستبدال المساكن لعدد من الأسباب –تدهورها وتحويلها لاستخدام تجاري مما أدى إلى تزايد ارتفاع الإيجارات، وميل الأسر إلى السكن المستقل، والتحول من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النواه وقصور السياسات الحكومية وتواضع دور القطاع الحكومي و القطاع الخاص والمختلط.

**مقترحات توصيات:**

-تؤكد الدراسة على ضرورة وضع أسس وسن تشريعات وإصدار قوانين وتفعيلها للتعامل مع المناطق العشوائية القائمة بعضها لم تعد ظاهرة استثنائية في بعدها المكاني، وأضحى التعامل معها ومعالجتها ضرورة ملحة، الأمر الذي يتطلب توجيه السياسات الحضرية من خلال تطبيق عدد من البرامج، مثل: إعادة التأهيل والتجديد الحضري، وبرامج الإحلال، وينبغي عدم الاهتمام بإعادة تأهيل الهيكل العمراني للمناطق العشوائية أو تجديده أو إصلاحه، بل أصبح من الضروري الاهتمام بالتنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية، جنباً إلى جنب مع التنمية العمرانية.

-الاهتمام بالبعد البيئي من خلال إيجاد صيغة من التوازن بين متطلبات البيئة العمرانية المستدامة ومتطلبات التنمية الحضرية، ويلزم اتخاذ إجراءات سريعة وفاعله لمنع التلوث، والحد منه في الوقت الراهن، نظراً إلى لصعوبة المعالجة، وارتفاع التكلفة مستقبلاً.

-ضرورة توفير إطار تشريعي يعنى بالارتقاء الحضري للمناطق العشوائية والتقييم المستمر للحالة العمرانية لتلك المناطق، وإعداد الدراسات المستمرة والدورية، والاهتمام برفع معدلات التنمية الريفية للحد من الهجرة الوافدة بصفتها أبرز أسباب نشأة المناطق العشوائية في المدن وتطورها.

-قيام إدارات الهيئات القائمة على التخطيط الحضري في المدن اليمنية بدورها في تطبيق قانون التخطيط الحضري. وقيام وزارة الأوقاف وأملاك الدولة بالحفاظ على المساحات الحضرية وتحسين مستوى التخطيط الحضري، وذلك من خال تطبيق قانون التخطيط الحضري وتحديث القوانين أينما كان ذلك مناسباً لتواكب التطور الحضري.

-في ظل التوسع الأفقي لفئات الدخل المحدود فإن الاحتياجات السكنية في تعاظم، وذلك نظراً على ارتفاع معدلات التحضر، ولمواجهة مشكلة الإسكان يلزم وضع استراتيجية تهدف إلى معالجة اتجاهات النمو الحضري من خلال تنمية استثمارية كون معالجة مشاكل الإسكان وتوفيره جزءً رئيساً يخدم الاقتصاد والتنمية.

**خريطة (1) التوزيع الجغرافي للبناء العشوائي في مدينة صنعاء.**

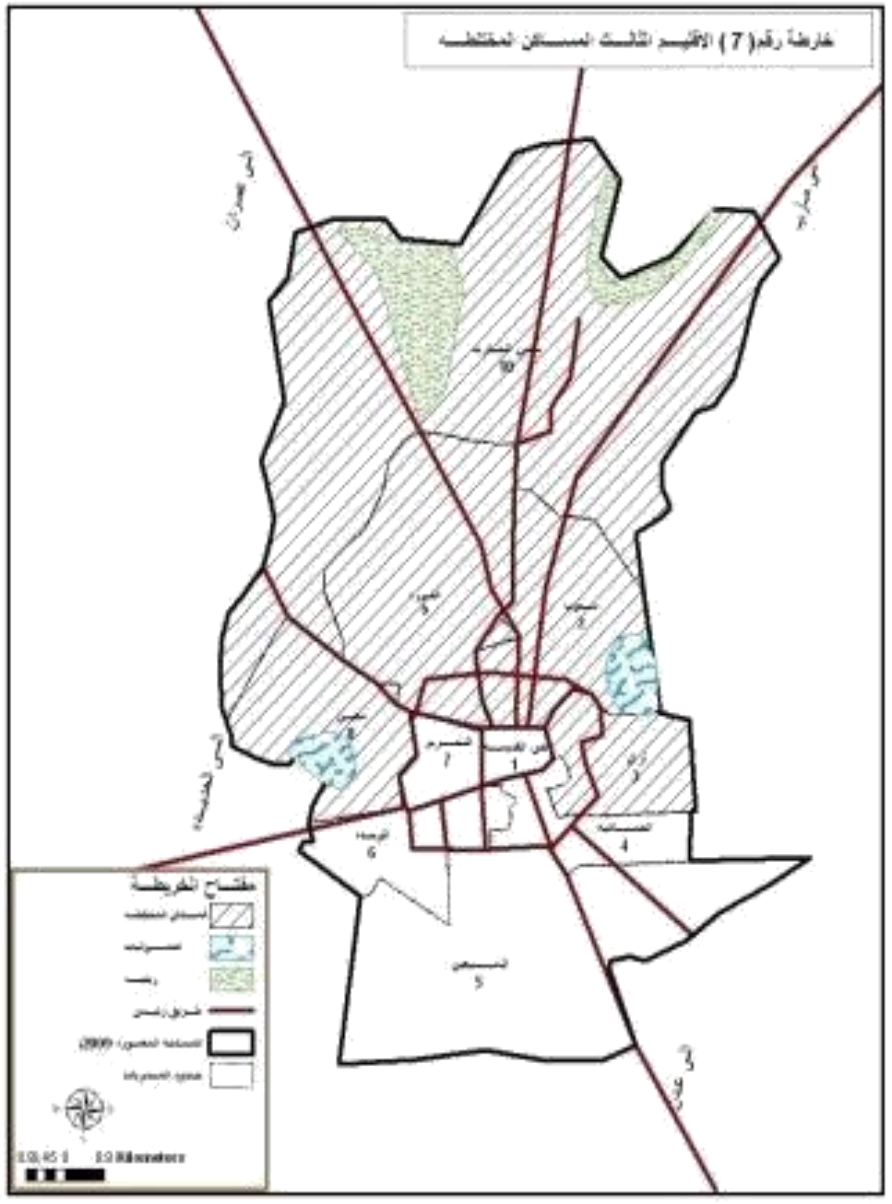


المصدر من عمل الباحث اعتماداً على:

عبدالله أحمد ناصر الجرفي: استعمالات الأرض السكنية في أمانة العاصمة صنعاء: دراسة للأنماط وكفاءة وكفاية الوظيفة السكنية واتجاهات النمو المستقبلي، دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء،2010م، ص108.

**خريطة (2) التوزيع الجغرافي للبناء العشوائي في مدينة عدن.**

المصدر من عمل الباحث، اعتماداً على:

هيثم، نور أحمد: الآثار البيئية الناتجة عن السكن العشوائي دراسة حالة حي الممدارة الشيخ عثمان-عدن، بحوث المؤتمر الرابع للجغرافيين اليمنيين، (المجلد الثالث)، صنعاء،2010م، ص202.

**خريطة (3) التوزيع الجغرافي للبناء العشوائي في مدينة في مدينة ذمار**

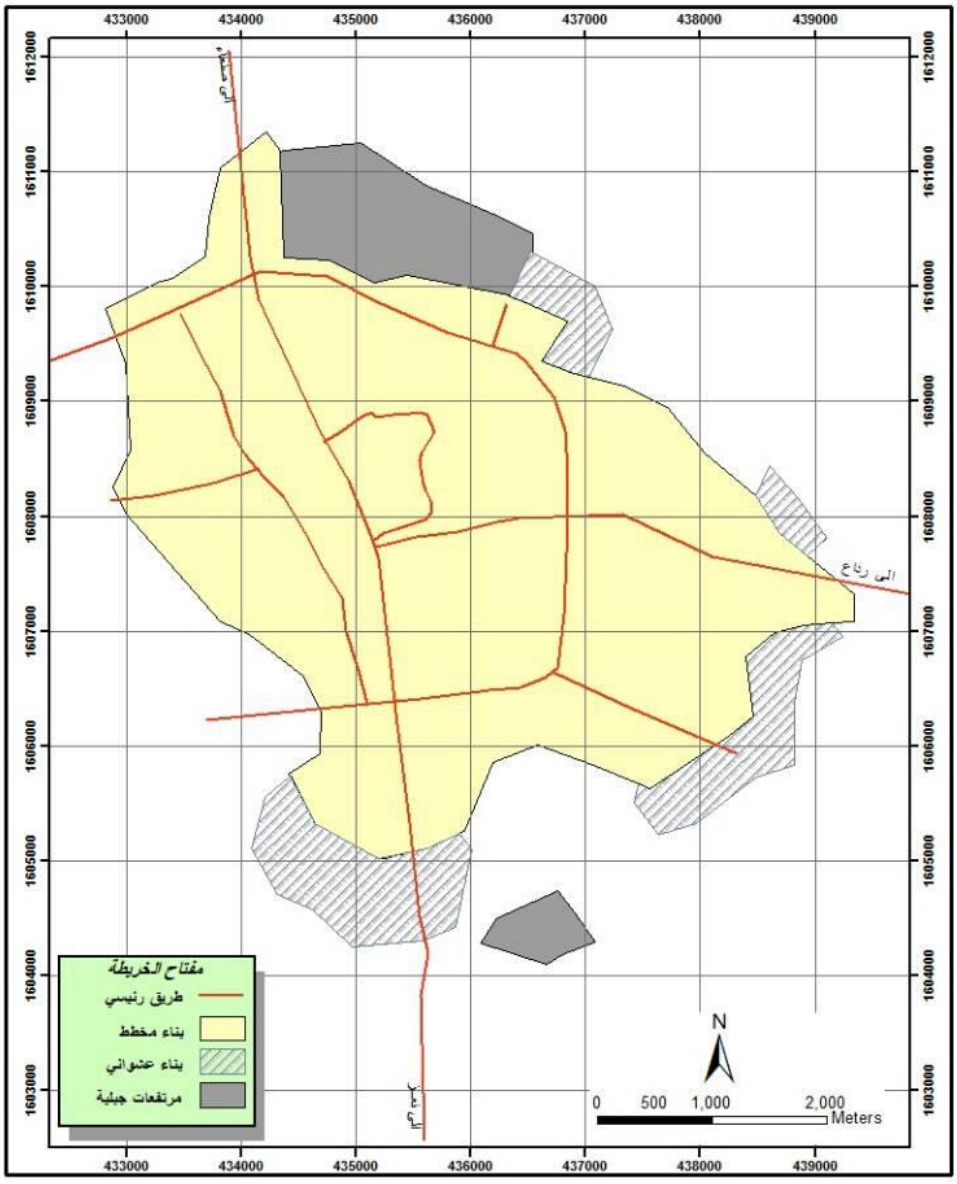


المصدر من عمل الباحث اعتماداً على:

-عبدالله أحمد ناصر الجرفي: مدينة ذمار توسعها العمراني، وأنماطها السكنية، مطابع الأمجاد، ذمار،2015م، ص86.

**خريطة(4) التوزيع الجغرافي للبناء العشوائي في مدينة عنابة –الجزائر.**

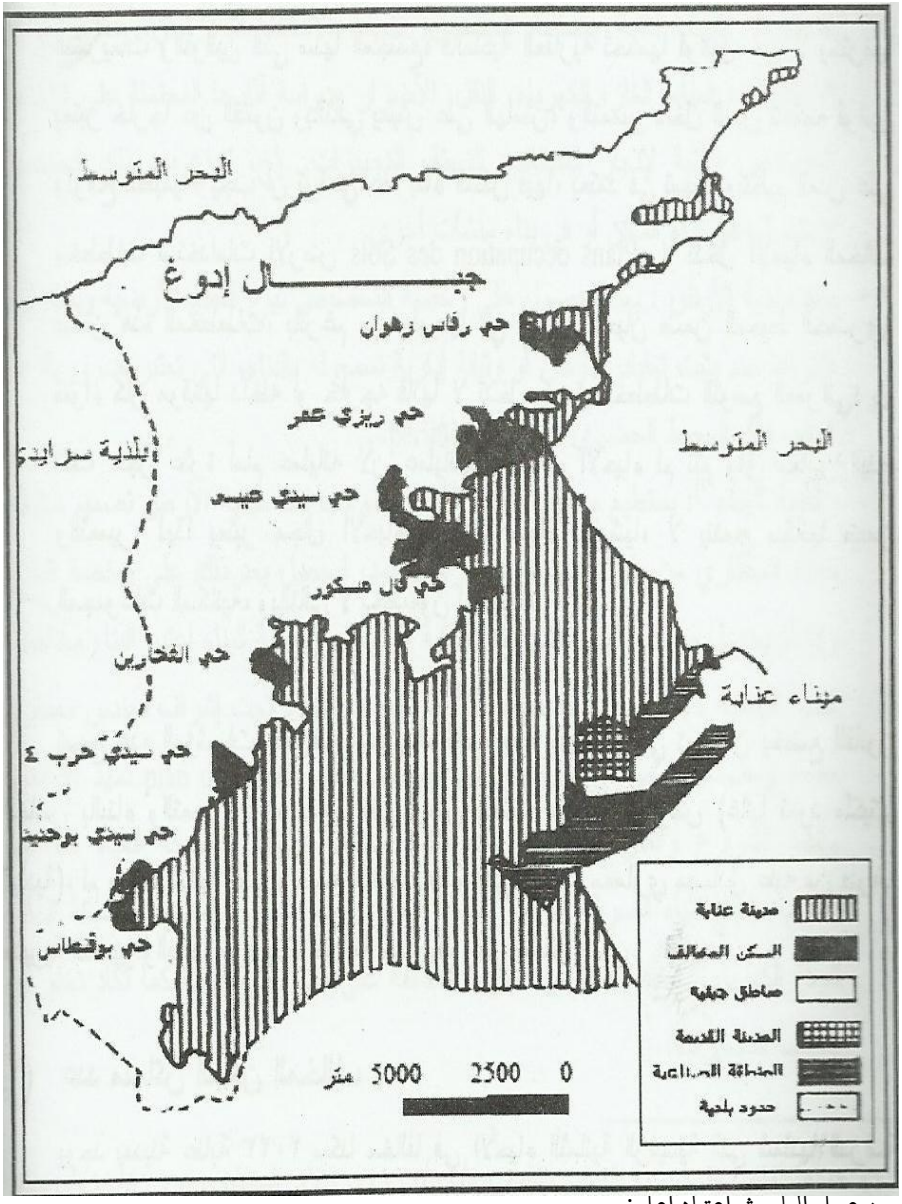


المصدر من عمل الباحث اعتماد اعلى:

– قسوم، جمال الدين والصادق قرقيفة: ظاهرة السكن المخالف في مدينة عنابة الجزائر، المجلة الجغرافية العربية، الجزء الأول، العدد(63)،2014م، ص352.

## الهوامش والإحالات:

1) –مطاوع، أشرف حسن أحمد: المناطق المتدهورة في مدينة الزقازيق. دراسة في جغرافية العمران، ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة،2004م، ص1.

2) –قسوم، جمال الدين والصادق قرقيفة: ظاهرة السكن المخالف في مدينة عنابة الجزائر، المجلة الجغرافية العربية، الجزء الأول، العدد(63)،2014م، ص349.

3) –كامل، شريف عبد المنعم: التجمعات المتدهورة داخل المناطق الحضرية المخططة في مدينة القاهرة، ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة،2004م، ص3.

4) –إبراهيم، أميمة فهمي مهدي: الإسكان العشوائي في محافظة القاهرة، دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة،1999م، ص9.

5) – قسوم جمال الدين والصادق قرقيفة: مصدر سابق، ص352.

6) –إبراهيم، أميمة فهمي مهدي: مصدر سابق ص17–18.

7) –أنظر:

-Berger and knaps master plan Sana, a comments of draft final report may 1976. .6
-Berger Kamp sax urban Planning study Sana, a ,Alhudaydah, taiz, Ibb, and Dhamar.Vol,I May 1978.

8) –غزوان، علي أحمد محمد: ضواحي أمانة العاصمة صنعاء بين التنمية الحضرية وتكاثر العشوائيات، محاضرات الموسم الثقافي الرمضاني السادس والعشرون للجمعية الجغرافية اليمنية، صنعاء،2017م، ص4.

9) –إسحاق، هاشم علي عبدالرحمن: كفاءة المساكن وتشكيلها المعماري والعمراني الملائم للبيئة السكنية المستدامة باليمن، الباحث الجامعي، جامعة إب، العدد(10)،2006م، ص319.

10) –الدليمي: مالك إبراهيم ومحمد العبيدي: التخطيط الحضري والمشكلات الإنسانية، وزارة التعليم العام والبحث العلمي، بغداد،1990م، ص13.

11) –علي، أشرف علي عبده: المناطق المتدهورة في مدينة الجيزة–دراسة في جغرافية العمران دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة،2001م، ص205.

12) –الجمهورية اليمنية، وزارة الأشغال العامة والتطوير الحضري: تحديث المخطط لمدينة صنعاء، لعام1999–2000م، حتى عام 2020م، ص16.

13) – وزارة الأشغال العامة والتطوير الحضري: المصدر نفسه، ص16–55.

14) -الجرافي، عبدالله أحمد ناصر: استعمالات الأرض السكنية في أمانة العاصمة صنعاء: دراسة للأنماط وكفاءة وكفاية الوظيفة السكنية واتجاهات النمو المستقبلي، دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء،2010م، ص161.

15) -هيثم، نور أحمد: الآثار البيئية الناتجة عن السكن العشوائي دراسة حالة حي الممدارة الشيخ عثمان-عدن، بحوث المؤتمر الرابع للجغرافيين اليمنيين، (المجلد الثالث)، صنعاء،2010م، ص204.

16) -هيثم، نور أحمد: المصدر نفسه، ص202.

17) -الجرفي، عبدالله أحمد ناصر: مدينة ذمار توسعها العمراني وأنماطها السكنية، مطابع الأمجاد، ذمار،2015م، ص123.

18) الجنابي، هاشم خضير: تخطيط المدنوسياسة الإسكان وصلاتها بالحد من الجريمة،مجلة آداب المستنصرية، العدد(1)، 1986، ص535.

19) -شكري، حازم: التوسع الحضري وإمدادات المياه في الجمهورية اليمنية: دراسة حالة أمانة العاصمة، بحوث المؤتمر الرابع للجغرافيين اليمنيين، (المجلد الثالث)، صنعاء،2010م، ص123-124.

20) -أحمد، قادري عبد الباقي: مسألة تموينات المياه لمدينة عدن في اليمن واقعها وآفاقها المستقبلية، مجلة الجمعية الجغرافية اليمنية العدد(3)، ص223.

21) -عثمان، جلال عبده إبراهيم: مدينة تعز-دراسة حالة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، مجلة الجمعية الجغرافية اليمنية العدد(5)، ص139.

22) -عثمان، جلال عبده إبراهيم: المصدر نفسه، ص137.

23) -الجهاز المركزي للإحصاء، فرع محافظة ذمار: كتاب الإحصاء السنوي، العام 2008م، ص22.

24) -منشورات المؤسسة المحلية للمياه والصرف الصحي، مدينة ذمار، 2008م، ص2-3.

25) -عثمان، جلال عبده إبراهيم: مصدر سابق، ص149.

26)-حسن، أحمد سلطان عبده: تحديات الإدارة المتكاملة لمياه المدن دراسة حالة "مدينة تعز"-الجمهورية اليمنية، مجلة الجمعية الجغرافية اليمنية، العدد(5) 2014م، ص61.

27)-الحداد، عبدالرحمن: المظاهر التاريخية للتطور الحضري لمدينة صنعاء القديمة، مجلة دراسات يمنية، العدد(45)، 1992م، ص165.

# التنبؤ بالرضا عن الحياة من خلال العوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى طلبة الجامعة

أ.د. عبده فرحان محمد خالد الحميرى*

د. عبدالرحمن على راشد زوير **

**الملخص:**

هدف البحث الكشف عن إمكانية التنبؤ بالرضا عن الحياة من خلال العوامل الخمسة الكبرى للشخصية، ولتحقيق ذلك اختار الباحثون عينة عشوائية بسيطة قوامها ( 708) من طلبة جامعة ذمار، منهم (406) من الذكور و(302) من الإناث، في العام الجامعي 2012-2013، استجابوا لقائمة العوامل الخمسة الكبرى للشخصية التي أعدها كوستا وماكر Costa & McCrae ، بصيغتها الثانية، و ترجمها إلى العربية بدر الأنصاري في الكويت، فضلاً عن إلى مقياس الرضا عن الحياة، إعداد مجدي الدسوقي، و أظهرت النتائج أن الوزن النسبي للرضا عن الحياة لدى افراد العينة بلغ (74.15٪) و أن أكثر العوامل الخمسة الكبرى للشخصية شيوعاً لديهم ؛ الهدفية بوزن نسبي ( 76.04)، يليه الانبساط، وحسن المعشر، والعصابية، بأوزان نسبية بلغت ( 70.09، 67.75 ٪، 57.83٪، 56.56٪ ) على التوالي، و أن مجموع ما تفسره العوامل الخمسة الكبرى للشخصية من تباين الرضا عن الحياة كان (0.302). وأن الرضا عن الحياة

* أستاذ علم النفس – كلية الآداب- جامعة ذمار

* أستاذ علم النفس المساعد – كلية الآداب -جامعة ذمار

يتأثر سلبيا بعامل العصابية و إيجابيا بعوامل الانبساط والهدفية(الجدية)، بقيم تأثير ( -0.27)، (0.28)،(0.22) على التوالي، وكانت الفروق دالة إحصائيا، ولكنها ضئيلة بين الذكور والإناث في الرضا عن الحياة لصالح الذكور، فيما كانت لصالح الإناث في العصابية، الانبساط، الانفتاح على الخبرة، وحسن المعشر.

**مقدمة:**

لقد مضى على علم النفس بوصفه علما مستقلا عن الفلسفة قرن ونصف القرن، اهتم فيه المختصون بالجوانب المرضية غير السوية، مثل: الأعراض والاضطرابات والانحرافات على حساب الجوانب الإيجابية في الشخصية مثل : التفاؤل والأمل والسعادة والرضا والسرور، فضلا عن الجوانب الإنسانية الراقية مثل : معنى الحياة، ونوعية الحياة، وجودة الحياة، فضلاً عن الجوانب الإيجابية في علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وبالبيئة التي يعيش فيها مثل: التكيف والتوافق، وحل الصراعات، والدعم الاجتماعي، وغير ذلك (عبد الخالق وآخرون،2003: 582).

وقد ذكر فريدريكسون Fredrickson في أواخر تسعينيات القرن الماضي أن هناك ثلاثة أسباب أدت إلى تهميش المشاعر الإيجابية هي: أولا: إن المشاعر الإيجابية تكون أقل عددا من المشاعر السلبية، وتميل إلى الحدوث معا.ثانياً: إن البحوث النفسية تميل إلى الاهتمام بحل المشكلات وكيفية حلها، ولا يوجد مشكلة صحية تعاني من المشاعر الإيجابية . ثالثا: إن النظريات النفسية بنيت بالاعتماد على المشاعر السلبية مثل الغضب والخوف، وهو ما جعلها تنال أكبر قدر من الاهتمام في الإجراءات والتوجهات (Damien, 2009: 4 ).

وللإشارة إلى الجوانب الإيجابية التي ذكرت أخيرا في كل من الشخصية الإنسانية والعلاقات الاجتماعية، فقد وضع "سيليجمان" seligman في ثمانينيات القرن الماضي مصطلح علم النفس الإيجابي positive psychology، ومنذ ذلك التاريخ ارتفع عدد البحوث المنشورة في إطاره، وأسست مجلات خاصة به. الوضع على المستوى العربي يحاكي ما حدث في علم النفس على المستوى العالمي، إذ تم الاهتمام

بما يمكن أن نسميه "علم النفس السلبي " على حساب "علم النفس الإيجابي" في مراحل سابقه لهذا التخصص، ثم تزايد الاهتمام بموضوعات علم النفس الإيجابي في الآونة الأخيرة(عبد الخالق وآخرون،2003 : 582 ).

ويشير مصطلح علم النفس الإيجابي إلى الأبعاد النفسية التي يمكن أن تعد إيجابية، هذه الأبعاد متداخلة، و تشمل : الرفاهية، وجودة الحياة، الرضا عن الحياة، التأثير الإيجابي، السعادة، وقد اهتم علماء النفس في الآونة الأخيرة بدراسة مدى إسهام كل هذه الأبعاد في الحياة النفسية الشاملة، ومعرفة ارتباطها بعوامل أخرى مثل: الصحة، العمر، الشخصية (Damien, ،2009 :4).

إن موضوع الرضا عن الحياة بوصفه موضوعا أساساً من موضوعات علم النفس الايجابي، Positive Psychology يرتبط بدرجة متوسطة بالحالة المزاجية، وطمأنينة النفس، وتحقيق الذات، والشعور بالسعادة، فضلاً عن تشابه مكوناته الأساسية عبر مختلف الثقافات، وتفاوت ما يدركه الأفراد منه في ضوء ما يقرره كل منهم مصدراً لرضاه (عبد الكريم، 2007: 377).

تاريخيا، اقتصر معظم بحوث الرضا عن الحياة على البالغين خلال العقد الماضي، ومع ذلك، ازداد الاهتمام بمحددات الفروق الفردية في الرضا عن الحياة لدى المراهقين والأطفال وارتباطها ونتائجها، كما أن تقارير الرضا عن الحياة لدى المراهقين على المستوى العالمي تبين أنه مرتبط بمتغيرات مختلفة تشمل المتغيرات البيئية، السكانية مثل: المكانة الاجتماعية الاقتصادية، والمتغيرات الشخصية والمزاجية، فضلا عن ذلك أظهرت البحوث أن مقاييس الرضا عن الحياة مرتبطة مع بعضها بدرجة كبيرة، لكنها في المقابل منفصلة عن المقاييس التقليدية للصحة النفسية، كما أن الجهود التي بذلت لقياس الرضا عن الحياة تتسق مع التوجه الإيجابي في مجال الصحة النفسية بتعريفها على أنها تعني الرفاهية الذاتية النفسية، أكثر من كونها غياباً للأعراض النفسية المرضية.

وقد حاول عدد من الدراسات والبحوث الكشف عن العوامل المحددة للرضا عن الحياة لدى فئات معينة، كتلك التي تعاني من مشكلات نفسية، آو جسمية أو اجتماعية، في حين أن دراسته لدى العاديين يعد من المطالب الأكثر أهمية بسبب أنها تمكننا من مقارنة النتائج التي تم التوصل إليها في حالة غير العاديين بالعاديين، كما أن الكشف عن مشكلات عدم الرضا عند الشباب يتيح الفرصة للتغلب على عديد من المشكلات في مراحل العمر اللاحقة، إلا أن الإحساس بالرضا عن الحياة عملية تراكمية، ومن هنا يكون من الضروري التعرف عليه وبناء المقاييس المناسبة لقياسه لدى غير العاديين، كما تؤكد على ذلك منظمة الصحة العالمية، لاسيما وأن النتائج التي تم التوصل إليها في حالة من يعانون من مشكلات نفسية أو جسمية تختلف عنها في حالة العاديين وذلك بسبب اختلاف الأهمية النسبية لمجالات الرضا عن الحياة لدى كل من المجموعتين، والإحساس بعدم الرضا عن الحياة له تأثير على شخصية الفرد، وتكيفه، وعلاقاته داخل المجال الاجتماعي الذي يعيش فيه، وهو تأثير لا ينبغي إغفاله أو تجاهله إذا أريد للفرد أن يعيش حياة مستقرة ( عيسى، ونشون، 2006 : 13 ).

وهناك عديد من العوامل تتنبأ بالرضا عن الحياة لدى طلبة الجامعة، فقد أظهر عديد من الدراسات السابقة أن الصحة النفسية لها تأثير في الرضا عن الحياة، فالطلبة الذين لديهم صحة نفسية أفضل يكون معدل رضاهم عن حياتهم أكثر، والعكس يكون رضا من يعانون من الاكتئاب والعزلة واليأس عن حياتهم ضعيفا ( Bahman , et al : 2009 ). كما أن الحمية الغذائية الصحية مرتبطة بالرضا الايجابي عن الحياة، فيما انخفاض مستوى الرضا عن الحياة يتنبأ بزيادة الوزن ( Robert , et al ،2003) وتوصلت دراسة ( علوان ،2007) إلى وجود علاقة سالبة دالة بين الرضا عن الحياة، والوحدة النفسية.

وأشارت دراسة كل من اوجين وآخرين (Eugene, et al 2006) على (234) مراهقا من تايوان إلى أن ( 66.2٪) من أفراد العينة راضون عن حياتهم، وكانت العوامل الاقتصادية وإحساس الفرد بأنه من السكان الأصليين من أقوى متنبئات الرضا عن الحياة، وفي دراسة ريبلونو، كما وردت في (سليمان،2003 :38 ) على (132) طالباً وطالبة في جامعة كينت في الولايات المتحدة، تزيد أعمارهم عن (25) سنة،

أظهرت نتائجها أن هناك زيادة كبيرة في الرضا عن الحياة بعد الانضمام إلى الجامعة، وأن تطور الرضا عن الحياة لدى الطلاب غير الاعتياديين يفيد كل من الطلبة والكلية والجامعة على حد سواء، وتبين من دراسة براين على (152) طالباً جامعياً في ولاية أوهايو في الولايات المتحدة أن هناك علاقة وثيقة بين الرضا عن الحياة، والتحكم، والقدرة التخيلية، وأن الأشخاص ذوي التحكم العالي يتمتعون برضا أعلى عن الحياة .

واشارت دراسة (العمرات، واخرون،2014 ) إلى أن درجة رضا الطالبات عن الحياة الجامعية جاء بتقدير متوسط. فيما كان مستوى الرضا عن الحياة فوق المتوسط في دراسة ( شقورة ، 2012) إذ بلغ الوزن النسبي للرضا عن الحياة ( 73.64 ٪) ولم تكن الفروق دالة بين الذكور والاناث في الرضا عن الحياة.

وفي دراسة (مصطفى، واخرون، 2014) كان مستوى الرضا عن الحياة لدى طلبة جامعة اليرموك منخفضاً، ولم تكن الفروق دالة في الرضا عن الحياة بين الذكور والإناث، واظهرت دراسة( المجدلاوي، 2012) أن 55٪ من موظفي الأجهزة الأمنية غير راضين عن حياتهم .

وتؤدي سمات الشخصية، على وجه التحديد العوامل الخمسة دورا مهماً في السلوك الإيجابي، فقد تبين من نتائج غالبية الدراسات التي أجريت على عينات من طلبة الجامعة ومن المراهقين و الراشدين أن سمات الشخصية تسهم بنسبة تأثير أو تباين في الرفاهة الذاتية تصل إلى 39٪ او 63٪ (DeNeve & Cooper, 1998) وبان ثلاثة عوامل للشخصية هي: العصابية، والانبساط، والهدفية ( الجدية ) تفسر 65٪ من التباين في الرضا عن الحياة، وكانت العلاقة عكسية سلبية بين العصابية والرضا عن الحياة، فيما هي موجبة طردية بين عامل الانبساط (Nicolas ، et al 2011: 335) ؛ ( Jose،et al ، 2005 )؛ والانفتاح وحسن المعشر والهدفية من ناحية، والرضا عن الحياة من ناحية اخرى(تيف، امل احمد، 2014)، وبأن الهدفية ( الجدية) هي أكثر المتغيرات المستقلة قدرة على تفسير التباين في الضغوط النفسية بقيمة (33٪)، يليه الانفتاح على الخبرة ، حسن المعشر(الأحمد، وملحم،2009 ).

وفي دراسة (بقيعي، 2015)، هدفت إلى معرفة العلاقة بين العوامل الخمسة الكبرى للشخصية، والرضا الوظيفي لدى معلمي وكالة الغوث الدولية في منطقة إربد التعليمية، كما هدفت إلى معرفة أكثر العوامل الخمسة الكبرى للشخصية شيوعاً ومستوى الرضا الوظيفي لديهم، و أظهرت، النتائج أن أكثر عوامل الشخصية شيوعاً هو المقبولية وأقلها شيوعاً العصابية، كما توصلت الدراسة إلى وجود فروق في عوامل الانبساطية والهدفية تبعاً إلى المتغير الجنس ولصالح الإناث.

وبينت دراسة ( البيالي، 2009 ) ان عامل الهدفية هو أكثر إسهاما من العوامل الأخرى في الأداء الوظيفي لدى ضباط الشرطة بنسبة ٪11، كذلك دراسة (الصفيان، 2015) أوضحت أن عامل الجدية يتنبأ بالتوافق النفسي لدى السجينات، بنسبة (..٪58) وحسن المعشر (٪20).

كما أظهرت نتائج دراسة (الشوارة، 2006) وجود علاقة سلبية، دالة إحصائيا بين بعد العصابية والذكاء الانفعالي، وعلاقة إيجابية دالة إحصائيًا بين الذكاء الانفعالي والانبساطية والانفتاح على الخبرة وحسن المعشر و الهدفية.

وفي دراسة (جودة ، وجراة حمدي، 2013) تبين أن نسبة ما فسرته عوامل الشخصية الكبرى من النرجسية بلغت(26٪ أسهما فيها عاملا حسن المعشر والانبساطية .

وفي الاتجاه ذاته أشارت دراسة (عبد الكريم،2007) إلى وجود أربعة عوامل للرضا عن الحياة لدى المسنين الذكور المصريين هي: الشعور بالرضا، والشعور بالأمن، والقناعة، والانسجام، وكشف تحليل الانحدار المتعدد عن أول منبئ بالرضا عن الحياة،وهو تقدير المسن لحالته الصحية، حيث تنبأ بتباين قدره (24٪)في الرضا عن الحياة، ثم كان لمتغير الانبساط الإسهام الثاني في الرضا عن الحياة (13٪)، وأخيرا جاء إسهام متغير درجة التدين (7٪)، في حين أن متغيرات العمر، والمستوى التعليمي، وسمة العصابية كان تأثيرها على التباين في الرضا عن الحياة ضئيلا.

وقد وجد ت غالبية الدراسات التي أجريت في مرحلة العمر المتوسط والرشد أن الرضا عن الحياة يرتبط سلبيا بالعصابية، فيما يرتبط ايجابيا بالمستويات العليا من الا نبساط والانفتاح على الخبرة وحسن المعشر- والهدفية (الجدية) ( Carmel , et al ، 2009)؛ ( McCrae & Costa, Jr , 1991)؛ ( Ramanaiah, et al , 1997) ؛ ( Yannick , S، 2009 ) .

وطبقا لما ذكرته دراسة يولريش وآخرين ( Ulrich, et al ,2009 )،فان هذه التنبؤات حول سمات الشخصية المؤثرة في الرضا عن الحياة، قد استمدت من نموذج في الشخصية، وافترضت بأن الانبساط والعصابية بوصفهما مكونين أساسين لنموذج العوامل الخمسة لهما تأثير قوي على المكون الوجداني للرفاهية الذاتية مقارنة بعوامل الانفتاح على الخبرة وحسن المعشر- و الهدفية (الجدية)، فالأشخاص الانبساطيون يكون لديهم توازن إيجابي في المتعة واستقرار انفعالي افضل مقارنة بالانطوائيين، والعصابيين الذين لديهم توازن متعة سلبية، هذه التنبؤات تعتمد على افتراض أن محاولات الانتحار هو مؤشر على انخفاض الرضا عن الحياة.

فضلا عن ذلك فإن الناس الذين لديهم درجة عالية من الانبساط يكون لديهم مزاج مرح وخبرات عاطفية أكثر إيجابية، وهي تقود في حد ذاتها إلى مستوى عال من الرضا عن الحياة، و نحن كذلك نتنبأ بأن الحماس؛ أي الإثارة بهدف البحث عن الانبساط قد لا يتنبأ بالرضا عن الحياة؛ لأن طالبي الإثارة يكون لديهم مستوى عال من الرضا عن الحياة عند امتلاء حياتهم بالإثارة، فيما يكون لديهم مستوى منخفض من الرضا عن الحياة عندما لا يحدث شيء من الإثارة.

وأشارت دراسة( العنزي، 2007) إلى أن وجود ارتباط إيجابي بين الرضا عن الحياة والثقة بالنفس والتفاؤل، وأن التفاؤل والوجدان الإيجابي متغيرين منبئين بالرضا عن الحياة.

وقدمت الدراسات السابقة دليلا على أن الرضا عن الحياة لا ينخفض مع التقدم في العمر، على سبيل المثال؛ اجريت دراسة عبر ثقافية على (40) ثقافة مختلفة، شملت ما يقارب (6000) فرد، وذكرت نتائجها

بأن الرضا عن الحياة يظل مستقرا بصفة عامة طول مدة الحياة، مع وجود تزايد طفيف للذين تتراوح أعمارهم بين (20 –80) عاما ( Lorie & Sonja , 2001 :20-21).

وفي الاتجاه نفسه أجرى كيندال وآخرون (Kendall , et al , 2009 ) دراسة مستعرضة على (153) مراهقا، (237) شابا، (416) راشدا، وأوضحت نتائجها بأن تحديد الهدف من الحياة كان مرتبطا بدرجة كبيرة مع الرضا عن الحياة في كل المراحل العمرية الثلاث، ومع ذلك فان البحث عن هدف ارتبط فقط بالرضا عن الحياة خلال مدة المراهقة والشباب،فضلاً عن إلى ذلك فإن الأمل يتوسط العلاقة بين الرضا عن الحياة والهدف من الحياة في كل المراحل العمرية الثلاث.

وفي دراسة كل من جيساس وآخرين (Jesús, & et al , 2010) حول تقييم ثلاثة توجهات نحو السعادة هي: المتعة، والمعنى، والمشاركة، فضلا عن علاقتها بالسعادة والرضا عن الحياة، لدى عينة مكونة من (320) طالبا جامعيا، وقد تبين بان المتعة أو السرور هو التوجه الأكثر ارتباطا بالسعادة، في حين أن المشاركة أو الانخراط في علاقات مع الآخرين أكثر ارتباطا بالرضا عن الحياة.

مما يجعلنا نستنتج أن العوامل الخمسة الكبرى للشخصية، باستثناء العصابية ترتبط بأشكال مهمة من السلوك الإنساني الإيجابي مثل الرضا عن الحياة، والنجاح في العلاقات الاجتماعية، وفي أداء عديد من الوظائف، ففي إحدى الدراسات التي أجراها على نطاق واسع Barrick & Mount في ثمانينيات القرن الماضي تم فحص نتائج أكثر من (200) دراسة منفصلة، وتبين أن الهدفية (أوالجدية) متنبأ جيد بالأداء على جميع أنواع الوظائف، وأن الناس الذين يعملون في مواقع الإدارة والبيع كان الانبساط لديهم مرتبطاً بشكل قوي بالنجاح في وظائفهم، وهذا يتسق مع الصورة الشعبية عن الشخص الناجح في البيع والشراء من أنه يتميز بقبول اجتماعي ويستأنس الآخرون بالحديث معه، وأخيرا فإن نتائج بحوث أخرى أشارت إلى أن عامل " حسن المعشر، والاستقرار الانفعالي منبئان جيدان بالنجاح في وظائف خدمة العملاء ( Robert & Michael 2008 :585).

ويمكن للأفراد أن يكونوا في حالة مزاجية معينة بصورة متسقة، لأنهم يفسرون أو يواجهون المواقف بأسلوب مميز، أو لأنهم يختارون أو يتجنبون أنواعاً معينة من' المواقف، فالناس يبحثون عن المواقف التي ترتبط بسمات شخصيتهم، ودوافعهم، مثال ذلك أن الانبساطيين يقضون أوقاتاً أطول في المواقف الاجتماعية، وفي الأنشطة الجسمية، ولاسيما إذا كان اختيار تلك الأنشطة يتم بحرية (ارجايل,1993: 146 ).

وتظهر نتائج الدراسات تناقضا في الفروق بين الجنسين في الرضا عن الحياة، حيث تبين أن غالبية الدراسات لم تجد فروقا داله بين الجنسين في الرضا عن الحياة، كدراسات؛ (كتلو (2015)؛ ( العنزي، 2007)، و بعض الدراسات أظهرت نتائجها فروقًا ضئيلة، كدراستي؛ انجلهارت وآخرون (Inglehart , 1990) لعينة كبيرة بلغ حجمها (170000 ) مشارك من (16) دولة ، و دراسة ميكهالوس( Michalos , 1991 ) على (18000) طالب جامعي من الجنسين تم اختيارهم من (30) دولة، واتفقت هذه النتيجة مع نتيجة دراسة تيف ( 2014).

وفيما يتعلق بالعوامل الخمسة بيَّن بعض الدراسات أن متوسط طالبات الجامعة أعلى بدلالة معنوية على عامل حسن المعشر، فيما كان متوسطهن أقل على العصابية مقارنة بالذكور، ولم تكن الفروق دالة على العوامل الأخرى. كدراسات؛ سيرجي ( Sergey , 1999 ) ؛ وبالنسبة إلى العصابية وحدها، فقد سجلت دراسه لين ومارتن Lynn & Martin حصول الإناث على درجات أعلى جوهريا على عامل العصابية في (37) دولة مختلفة باستعمال مقياس ايزنك للشخصية، أما في عامل الانبساط، فالصورة تختلف إلى حد كبير، فقد وجد: لين ومارتن Lynn & Mrten أن الذكور يسجلون درجات أعلى جوهريا في (30) دولة من الدول السبع والثلاثين التي درسوها، بينما تسجل الإناث درجات أعلى جوهريا في خمس دول، هي أستراليا وفرنسا واليابان والمكسيك والولايات المتحدة. ( انظر : يونس، خليل، 2007 : 568).

أما دراسة (يونس، خليل أ 2007)، فقد أوضحت وجود فروق جوهرية في عوامل العصابية والانبساط وحسن المعشر، لصالح الإناث، وعدم وجود فروق جوهرية في حالتي الانفتاح على الخبرة، والهدفية .

وفي دراسة (ملحم،2010) تبين وجود فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في الانفتاح على الخبرة لصالح الإناث وفي حسن المعشر لصالح الذكور، فيما لم يكن الفرق دالاً بين الذكور والإناث في الهدفية.

كما أوضحت دراسة ( بقيعي، 2012) أن هناك فرقاً جوهرياً دال بين الذكور والإناث في عامل العصابية، ولصالح الذكور، فيما لم تكن هناك فروق في عوامل الانبساط والانفتاح على الخبرة، وحسن المعشر، والهدفية ( الجدية).

## مشكلة البحث

استناداً إلى ما سبق يسعى البحث الحالي إلى الإجابة على الأسئلة الآتية:

1-هل يمكن التنبؤ بالرضا عن الحياة لدى طلبة جامعة ذمار من خلال درجاتهم على العوامل الخمسة الكبرى للشخصية ( العصابية، الانبساط، الانفتاح على الخبرة، حسن المعشر، والجدية).

3-هل توجد فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في الرضا عن الحياة .

4-هل توجد فروق دالة احصائياً بين الذكور والإناث في العوامل الخمسة الكبرى للشخصية ( العصابية، الانبساط، الانفتاح على الخبرة، حسن المعشر، والهدفية) .

**فروض البحث**: في ضوء الدراسات السابقة يفترض الباحثون ما يأتي:

1. يمكن التنبؤ بدرجة الرضا عن الحياة لدى طلبة جامعة ذمار من خلال استجابتهم للعوامل الخمسة الكبرى للشخصية ( العصابية، والانبساط، والانفتاح على الخبرة، وحسن المعشر، والهدفيه).
2. توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في الرضا عن الحياة.
3. " توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في العوامل الخمسة الكبرى ( العصابية، والانبساط، والانفتاح على الخبرة، وحسن المعشر، والهدفيه).

**أهداف البحث:** يهدف البحث إلى الكشف عن :

1. إمكانية التنبؤ بدرجة الرضا عن الحياة لدى أفراد العينة من خلال درجاتهم على العوامل الخمسة الكبرى للشخصية.
2. طبيعة الفروق بين الذكور والإناث في درجة الرضا عن الحياة.
3. طبيعة الفروق بين الذكور والإناث في درجة العوامل الخمسة الكبرى للشخصية.

**حدود البحث:**

أجري هذا البحث على طلبة جامعة ذمار ( ذكوراً، إناثاً)، خلال العام الجامعي 2012-2013م. واقتصر موضوعه على معرفة إمكانية التنبؤ بالرضا عن الحياة من خلال العوامل الخمسة الكبرى للشخصية.

**مصطلحات البحث:**

**أولا : مفهوم الرضا عن الحياة: life satisfaction**

يعتقد بعض الباحثين أن السعادة والرضا عن الحياة مترادفان، ويتحدثون عنهما أحيانا بمعنى الرفاهية الذاتية، الذي يشير إلى تقييمات الناس لحياتهم التي تشمل تقييمات معرفية، مثل الرضا عن الحياة، وتقييمات وجدانية؛ التي تشمل المزاج والعواطف، مثل المشاعر الانفعالية الإيجابية والسلبية، فالناس يقولون بأن لديهم رفاهية ذاتية عندما يكونون راضين عن حياتهم، ومصطلح الرفاهية الذاتية يشار إليه بأنه يعني مصطلح السعادة . ويؤكد بعض الباحثين أن للرفاهية الذاتية مكونين، الأول: انفعالي وجداني والثاني معرفي، وبحسب نتائج دراسة يولريش واوانجر (Ulrich & Wagner , 2008) فإن المكون الوجداني متنبئ قوي بالعصابية في العوامل الخمسة الكبرى للشخصية على العكس من المكونات الأخرى التي كانت قوتها التنبؤية ضعيفة.

ويعرف (الدسوقي 2003 :6 ) الرضا عن الحياة بأنه: تقييم الفرد لنوعية الحياة التي يعيشها طبقا لنسقه القيمي، ويعتمد هذا التقييم على مقارنة الفرد لظروفه الحياتية بالمستوى الأمثل الذي يعتقد أنه مناسب لحياته.

ويذكر سكيفنجتون وآخرون (Skevington1, et all , 2004 :299 ) أن منظمة الصحة العالمية تصف الرضا عن الحياة بأنه" إدراك الفرد لموقعة في الحياة ضمن السياق الثقافي، وأنظمة القيم السائدة في حياته، وعلاقة ذلك بأهدافه، وتوقعاته، ومعاييره، واهتماماته في المجتمع الذي يعيش فيه" وهو مفهوم واسع يتأثر بالصحة الجسمية للفرد، وبحالته النفسية، وباستقلاليته وعلاقاته، على أساس هذا المفهوم أعدت المنظمة مقياسا للرضا عن الحياة عبر ثقافات متعددة.

والرضا عن الحياة في تعريف سكوت وآخرون (Scott, et all ,2003: 3 ) هو تقييم الشخص، الايجابي لحياته بصفتها، أو ضمن بعد معين في حياته العائلية، والمدرسية.

وبحسب ميلر و سافنبيرج Miller & Svanberg،يعد الرضا عن الحياة دالة للمقارنة بين ما حققه الفرد، وما يأمل في تحقيقه ، وما حققه الآخرون، والدراسات المبكرة في هذا المجال تناولت الشعور بالسعادة بصفتها بديلاً للرضا عن الحياة ، ولكن الدراسات الحديثة تهتم بمصطلح الرضا عن الحياة، لأنه يتضمن المكون المعرفي بجانب المكون الوجداني الذي يتضمنه مفهوم السعادة،وينظر بعضهم إلى المفهومين على أنهما مترادفان وهو ما أدى إلى تداخل في تفسير كثير من النتائج التي توصلت إليها الدراسات والبحوث السابقة ( عيسى، ونشوان، 14:2006). ويرى(عبد الخالق وآخرون، 2003: 584)أن العلاقة بين السعادة والرضا عن الحياة ما زالت نقطة جدلية، وأنه يمكن أن يفترض وجود تداخل كبير بينهما في العينات غير المرضية.

ويمكن التمييز بين نموذجين للرضا عن الحياة :النموذج الأول يفترض بأن الناس لديهم نزعة محددة مسبقا لتفسير خبرات الحياة، إما بطريقة إيجابية أو سلبية، وهذه نزعة عامة تؤثر على تقييم مختلف الأحداث

في مختلف مجالات الحياة، أما النموذج الثاني، يفترض أن المشاعر العالمية للرفاهية تكون نتيجة للحياة التي تحتوي على ظروف عديدة من السعادة في مجموعة متنوعة من المجالات ؛ الأسرة، الزوجان، الدخل أو العمل.(Nicolas. et al , 2011: 334 ).

**ثانيا: نموذج العوامل الخمسة الكبرى للشخصية.**

اهتم علماء النفس في وصف البناء الأساس للشخصية، ويعود الفضل في ذلك أساسا لألبورت، وريموند كاتل، حيث طلب كاتل من الناس تقييم أنفسهم والآخرين في عدد من السمات والمصطلحات الوصفية التي كانت قد حددت من قبل البورت، ثم أنه استعمل التحليل العاملي لدراسة ارتباط هذه السمات بعضها ببعض، فعلى سبيل المثال؛ إذا كان الشخص متقلب المزاج فمن المرجح أيضا أن يكون قلقا، حريصا ومنطويا على نفسه، ويعتقد كاتل أن تجمع الصفات في مجموعات كنتيجة للتحليل العاملي يعكس مجموعة من عوامل أو أبعاد الشخصية، وفي نهاية المطاف فإن تحليله للشخصية قد نتج عنه تحديد (16) عاملا للشخصية مثل: الخجل مقابل الجرأة، والثقة مقابل الشك، والاسترخاء مقابل التوتر، إعتقد كاتل أن هذه العوامل موجودة لدى كل شخص، وقاس توافرها باستعمال اختبار " العوامل الستة عشر للشخصية the Sixteen Personality Factor Questionnaire.

أما التحليل العاملي الأكثر حداثة لسمات الشخصية، فقد تم بواسطة باحثين آخرين مثل باول وكوستا وماكراي Paul Costa & Robert McCrae، الذي نتج عنه الإعتقاد بأن الشخصية تنتظم فقط حول خمسة عوامل كبرى هي: العصابية، ولانبساط، ولانفتاح على الخبرة، وحسن المعشر، والهدفية أو الجدية، وقد أطلق على هذه المكونات اسم نموذج العوامل الخمسة الكبرى. إن أهمية هذه العوامل تنبع من كونها حصيلة لتحليل عاملي لبيانات حصل عليها الباحثون بواسطة تطبيق قوائم الشخصية، وتقديرات الأقران لسمات الشخصية وقوائم المراجعة الوصفية، والعديد من المصادر الأخرى.

ويشير كوستا وماكراي **Costa & MCcrae** إلى أن أنموذج العوامل الخمسة الكبرى للشخصية يقوم على أساس هرمي لبنية أو تركيبة سمات الشخصية، إذ تعرف سمات الشخصية بأنها" أبعاد للفروق الفردية من حيث نزعاتها لأن تظهر في أنماط متسقة أو متناغمة "، وقد خلصا إلى أن نموذج العوامل الخمسة هو التصنيف الأكثر ملاءمة وشمولية لوصف الشخصية، وفهم المشكلات المرتبطة بشخصيات الأفراد، ويتكون من العوامل الآتية:

**العامل الأول: العصابية Neuoticism** يشير إلى مستوى مزمن من عدم التوافق الانفعالي والاستقرار النفسي، ويمكن تحديد المستوى العالي لها بأولئك الأفراد الذين يغمرهم الكرب النفسي، ويتصفون بأفكار غير واقعية، رغبات ملحة مفرطة أو صعوبة في تحمل الاحباطات الناتجة من عدم قيامهم بتنفيذ الحاحاتهم عليهم، وأساليب تعامل غير متكيفة مع الواقع، وتقاس العصابية بمقاييس القلق، والعداء المتسم بالغضب، الكآبة القسرية، و الانجراح النفسي.

**العامل الثاني: الانبساطية Extraversion** : يشير إلى نوع التفاعل المفضل في العلاقات الشخصية ودرجته، ومستوى النشاط، والحاجة إلى الاستثارة، والقدرة على المرح، ويميل الأفراد الذين يسجلون درجات عالية في الانبساط إلى أن يكونوا اجتماعيين، نشيطين، متحدثين بالمعنى العام للثرثرة (**Talkative**)، متفائلين وحميمين، فيما من يسجلون درجات منخفضة يميلون إلى أن يكونوا:محافظين قولا، وهذا يعني بالضرورة أنهم غير صادقين، رزينين، مقتصدين،( **Sober**)، منعزلين، آو غير مبدين اهتماما أو عطفا، مستقلين وهادئين. ولا يعني ذلك بأن الانطوائيين غير سعداء أو متشائمين، ولكنهم لا يتصفون بالروح العالية التي يتصف بها الانبساطيون.

**العامل الثالث الانفتاح على الخبرة Openness tp Experience** : يتضمن البحث النشط والفعال والحصول على الخبرة لذاتها، ويتصف الأفراد الذين يسجلون درجات عاليه على هذا البعد بالفضول المعرفي وحب الاستطلاع، والتفكير التخيلي (**Imaginative**)، والرغبة في الحصول على أفكار جديدة، وقيم غير تقليدية، وهم يستمتعون بعواطفهم بشكل أكثر فاعلية بالمقارنة مع الأفراد المنغلقين الذين يسجلون درجات

منخفضة على هذا البعد، الذين غالبا ما يميلون إلى أن يكونوا تقليديين في معتقداتهم واتجاهاتهم، ومحافظين في أذواقهم، ومتصلبين في معتقداتهم، ويبقون تصرفاتهم على طرائقها المعتادة، وغير مستجيبين انفعاليا.

**العامل الرابع: حسن المعشر Agreeableness** :هذا البعد يشبه بعد الانبساط في كونه بعدا في العلاقات الشخصية، وهو يشير إلى أنواع التفاعل التي يفضلها الشخص على متصل يمتد من العلاقات الحسية إلى الخصومة أو التنافر. ويميل الأفراد الذين يسجلون درجات عالية على هذا البعد إلى أن يكونوا أصحاب قلوب طيبة، وطبيعة جيدة، ومسامحين، إيثاريين، مساعدين، ويثقون بالآخرين، وهم في حماسهم لمساعدة الآخرين يميلون إلى أن يكونوا مستجيبين، ومتعاطفين، ومعتقدين بأن الآخرين يرغبون في أن يتصرفوا بالطريقة نفسها .

أما الأفراد الذين يسجلون درجات منخفضة على هذا البعد ( ويمكن تسميتهم بالعدائيين أو المخاصمين ) فإنهم يميلون إلى أن يكونوا شاكين في طبيعة الدوافع البشرية، تعوزهم البراعة، غير متعاونين، سريعي الانفعال أو الغضب، يتعاملون بأساليب غير قويمة، حقودين أو انتقاميين، ومثيرين للأسى أو الشفقة.

**العامل الخامس: الهدفية ( الجدية) Conscientiousness** : يقيس هذا البعد درجة التنظيم، والمثابرة، والسيطرة والدافعية نحو سلوك محدد الهدف، ويميل الأفراد الذين يسجلون درجات عالية على هذا البعد إلى أن يكونوا منظمين، واثقين يعول عليهم، مجدين في عملهم، يوجهون أنفسهم بأنفسهم دقيقين واضحين، مدققين، طموحين ودؤوبين، فيما يميل الأفراد الذين يسجلون درجات منخفضة على هذا البعد إلى أن يكونوا بلا هدف غير واثقين من أنفسهم، كسولين، مهملين، متسمين بالانحلال والتهاون وباحثين عن المتعة بالراحة ( صالح، والطارق، 1998: 495- 497).

ويعتقد العديد من المنظرين أن أنموذج العوامل الخمسة الكبرى للشخصية يمثل إنجازا علميا مهماً في دراسة شخصيات الأفراد المنحدرين من خلفيات ثقافية مختلفة، والمختلفين في العمر، ويعيشون في أمكنة مختلفة من العالم، ومن خلاله تمكن علماء النفس من تقديم وصف شامل لأوجه الشبه والاختلاف في شخصيات الأفراد، وكيف أن هذه السمات ترتبط بمتغيرات أخرى اجتماعية وشخصية سوية وغير سوية **(Doglas , et al ،2008 , :560- 561)**.

وإذا كان أنموذج العوامل الخمسة الكبرى للشخصية يعد أحد النماذج المهمة في علم النفس المعاصر، فإن غالبية البحوث التي أجريت عليه كانت في المجتمعات الغربية الصناعية، ولم يؤخذ في الاعتبار مدى انطباقه على الثقافات الأخرى غير الغربية، التي تتسم بالنزعة الجماعية مقابل النزعة الفردية التي تتسم بها الثقافات الغربية، وضمن هذا التوجه أجري بعض الدراسات – على قلتها أو ندرتها- للتحقق من إمكانية تعميمه على المجتمعات ذات النزعة الجماعية، فقد تبين من نتائج دراسة **( Liesl , T.Vogt 2007 )** على (176) طالبا جامعيا في جنوب إفريقيا عدم وجود علاقة دالة إحصائيا بين العوامل الخمسة الكبرى للشخصية والنزعة الفردية / الجماعية، ولم تكن الفروق دالة إحصائيا بين الطلبة وفق العرق، والعوامل الخمسة، والنزعة الفردية/ الجماعية. والبحث الحالي يصنف ضمن هذا النوع من البحوث، لكونه يجرى في اليمن التي تعد من البلدان ذات النزعة الجماعية.

**منهجية البحث وإجراءاته.**

تم استعمال المنهج الوصفي، وذلك لمناسبته أغراض البحث الحالي، إذ تم جمع بياناته بتطبيق مقياس الرضا عن الحياة، وقائمة أنموذج العوامل الخمسة الكبرى للشخصية على عينة من مجتمع البحث، ثم تحليل البيانات إحصائيا باستعمال الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية ( SPSS)،ومناقشة النتائج وفق الإطار النظري والدراسات السابقة.

**أولاً: مجتمع البحث وعينته:**

مجتمع البحث يشمل جميع طلبة جامعة ذمار البالغ عددهم ((11314) طالبا وطالبة )، بواقع ( 9185 ) ذكرا، ( 2129 ) أنثى، وتكونت عينة البحث من (708) أفراد، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة، بواقع (406) من الذكور، ( 302) من الإناث، المسجلين في العام الدراسي 2012-2013.

**ثانياً: أداتا البحث:**

1 – **مقياس الرضا عن الحياة:** إعداد (الدسوقي، 2003 ) ، ويتكون المقياس من(29) فقرة بأسلوب التقرير الذاتي، يتم الاستجابة لكل فقرة بالاختيار بين خمس بدائل بوضع علامة (√) تحت الاختيار المناسب (تنطبق عليَّ تماما، تنطبق عليَ، بين بين، لا تنطبق عليَ،لا تنطبق عليَ إطلاقاً).

وللمقياس مؤشرات صدق تمييزي وتكويني وتجريبي وعاملي مرتفعة، كما أن له مؤشرات ثبات مرتفعة بطرائق ثلاث : إعادة الاختبار، والتجزئة النصفية، وطريقة كرونباخ (الفا) على العينة المصرية.

وفي البحث الحالي تم الحصول على الصدق التمييزي لفقرات المقياس بطريقة المجموعتين المتطرفتين، إذ تم ترتيب درجات أفراد عينة البحث تنازلياَ (من أعلى إلى أدنى) واختيار مجموعتين محكيتين بنسبة (27٪) لكل مجموعة، تمثل المجموعة الأولى الأفراد الحاصلين على أعلى الدرجات، وتمثل المجموعة الثانية الأفراد الحاصلين على أقل الدرجات، بحيث بلغ عدد أفراد كل مجموعة وفقاَ لذلك ( 191) فرداَ، وتم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأفراد المجموعتين، كل مجموعة على حدة بالنسبة لكل فقرة بصورة مستقلة، ثم المقارنة بين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأفراد المجموعتين بالنسبة لكل فقرة باستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، وقد وجد أن جميع القيم المحسوبة للفروق ولجميع الفقرات كانت دالة إحصائياَ عند مستوى 0.05 فأقل وبدرجة حرية ( 380 ) وتراوحت الفروق بين (18.12-8.69)؛ أي أن الفقرات تمتلك القدرة على التمييز بين طلبة الجامعة الأكثر رضا وأقرانهم الأقل رضا عن الحياة.

و تم استخراج الثبات بطريقة التجزئة النصفية، إذ تم تقسيم درجات أفراد العينة ( n= 708) إلى مجموعتين بحسب أرقام الفقرات بحيث تمثل المجموعة الأولى درجات الأفراد على الفقرات ذات الأرقام الزوجية، وتمثل المجموعة الثانية درجاتهم على الفقرات ذات الأرقام الفردية، وحسب معامل ارتباط بيرسون بين درجة الأفراد على المجموعتين (الفردية والزوجية)، وقد بلغ معامل الثبات بهذه الطريقة بعد تعديله بمعامل سبيرمان براون (0.82)، وهو معامل ثبات عال، يمكن اعتماده لتحقيق أهداف البحث الحالي.

أما تصحيح المقياس فقد كانت في الصيغة الأصلية، متدرجة من (4-0) وأصبحت في البحث الحالي متدرجة من (5-1) على النحو الآتي: تنطبق عليَّ تماماً (5)، تنطبق عليَّ (4)، بين بين (3)، لا تنطبق عليَّ(2)، لا تنطبق عليَّ إطلاقاً (1)، و يتراوح المدى النظري للمقياس بين (29-145) درجة ( ملحق 1).

**2 .قائمة العوامل الخمسة الكبرى للشخصية:**

أعدها كوستا وماكراي Costa & McCrae وهي أول أداة موضوعية تهدف إلى قياس العوامل الأساس الكبرى للشخصية بواسطة (60) بندا، تم استخراجها عن طريق التحليل العاملي، وتختلف هذه القائمة عن القوائم الأخرى التي تهدف إلى قياس العوامل الخمسة الكبرى للشخصية، إذ اعتمدت القوائم الاخرى أساسا على منهج المفردات اللغوية المشتقة من معاجم اللغة، في حين اعتمدت هذه القائمة على منهج الاستخبارات التي تعتمد على عبارات في قياسها للشخصية.

وكانت الصيغة الأولى للقائمة التي ظهرت عام (1989) تتكون من ( 180 ) بندا، أجريت عليها دراسات كبيرة على عينات سوية متنوعة تراوحت أعمارهم بين( 21 إلى 65 )عاما، ثم أدخلت عليها بعض التعديلات لاختزال عدد البنود إلى أن صدرت الصيغة الثانية للقائمة عام (1992)، وتتكون من (60) بندا وتشمل خمسة مقاييس فرعية هي: العصابية، والانبساط، والانفتاح على الخبرة، وحسن المعشر، والهدفية أو

الجدية، ويضم كل مقياس فرعي 12 عبارة، يقوم المفحوص بتقدير كل عبارة على مقياس خماسي، وفقا لدرجة موافقة العبارة له ( غير موافق على الإطلاق- غير موافق- محايد- موافق - موافق جدا).

ويبدأ المقياس بأقل تقدير(1) في حالة عدم موافقة العبارة له على الإطلاق، وينتهي بأعلى تقدير (5) في حالة موافقة العبارة له جدا وهناك فقرات معكوسة، ويستغرق تطبيقها( 10-15) دقيقه .والجدول(1) يبين ذلك.

جدول (1)

مفتاح تصحيح قائمة العوامل الخمسة الكبرى للشخصية

| العوامل | عـــــدد الفقرات | اقل تقدير إلى اعلى تقدير | المعكوسة |
|---|---|---|---|
| العصابية **N** | 12 | 6-11-21-26- 36-41-51-56 | 1-16-31-46 |
| الانبساط **E** | 12 | 2-7-17-22-32-37-47-52 | 12-27-42-52 |
| الانفتاح على الخبرة | 12 | 13-28-43-53-58 | 3-8-18-23-33-38-48 |
| حسن المعشر **A** | 12 | 4-19-34-49 | 9-14-24-29-39-44-54-59 |
| **الهدفية (الجدية) C** | 12 | 5-10- 20-25-35-40-50-60 | 15-30-45-55 |

والصيغة الثانية هذه ترجمها إلى العربية بدر الأنصاري ضمن تقنينها على عينات كويتية، إذ طبقت القائمة على ثلاث عينات مستقلة، الأولى من الشباب الجامعي قوامها (200) طالب وطالبه، بواقع (50) طالبا و( 150) طالبة ممن تتراوح أعمارهم بين( 17 – 37) عاما، بمتوسط قدره (21.85، وانحراف معياري قدره ( 2.78)عاما، والعينة الثانية من طلبة جامعة الكويت و قوامها (1005) أفراد من الجنسين بواقع (454) طالبا و(551) طالبه ممن تتراوح أعمارهم بين (17-32 )عاما بمتوسط قدره( 21ا34) وانحراف معياري قدره(2.34 ) عاما، وأخيرا العينة الثالثة من الراشدين و قوامها ( 2584) فرداً، بواقع (1133) من الذكور و(1451) من الإناث، ممن تتراوح أعمارهم بين (17-38 ) عاما، بمتوسط قدره

(22.65 ) وانحراف معياري قدره( 3ٌ82 ) من طلبة جامعة الكويت، وطلبة الهيئة العامة للتعليم التطبيقي، وبعض الموظفين في القطاع العام.

واعتمادا على بيانات هذه العينات الكويتية تم استخراج مؤشرات الصدق التكويني للقائمة بالطرق الآتية: تحليل البنود ( الارتباط بين درجة البند والدرجة الكلية للمقياس الفرعي)، ومن خلال التحليل العاملي ( الصدق العاملي) والارتباط مع مقاييس أخرى ( الصدق التقاربي والاختلافي)، بلغ معامل ثبات القائمة بطريقة الفا كرونباخ (0.70 )، وتم استخراج معايير للقائمة على طلبة جامعة الكويت (الأنصاري2002ٌ: 710– 752).

وفي البحث الحالي تم الحصول على الصدق التمييزي لعوامل القائمة بطريقة المجموعتين المتطرفتين ( الأرباعي الأعلى والأرباعي الأدنى ) لدرجات أفراد العينة، وباستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين أن الفروق دالة إحصائيا، مما يعني أن القائمة لديها القدرة على التميز بين من لديهم درجات عليا ومن لديهم درجات دنيا في العوامل الخمسة الكبرى للشخصية، والجدول ( 2 ) يبين ذلك .

جدول(2)

الصدق التمييزي للعوامل الخمسة الكبرى للشخصية

| العوامل الخمسة | الارباعي الأعلى | | | الارباعي الأدنى | | | الفروق | الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | العدد | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري | العدد | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري | | |
| العصابية | 96 | 44.270 | 3.596 | 485 | 35.010 | 2.909 | 27.34 | .000 |
| الانبساط | 149 | 49.28 | 2.27 | 453 | 41.68 | 2.68 | 31.09 | .000 |
| الانفتاح على الخبرة | 145 | 40.06 | 2.183 | 456 | 33.57 | 2.103 | 32.06 | .000 |
| حسن المعشر | 161 | 47.57 | 2.35 | 426 | 40.24 | 2.49 | 32.26 | .000 |
| الهدفية (الجدية) | 130 | 53.97 | 1.83 | 458 | 45.79 | 3.26 | 27.39 | .000 |

أما ثبات القائمة فقد تم الحصول عليه بطريقة جتمان للتجزئة النصفية لفقرات العوامل الخمسة، وتبين أن معامل ثبات عوامل؛ العصابية، والانبساط، والهدفية ( الجدية) في مستوى جيد، فيما المعاملات الأخرى في المستوى المتوسط،.والجدول(3) يبين ذلك.

جدول (3)

ثبات قائمة العوامل الخمسة بحسب المقاييس الفرعية بطريقة جتمان

| العصابية | الانبساط | الانفتاح على الخبرة | حسن المعشر | الهدفية ( الجدية) |
|---|---|---|---|---|
| 0.75 | 0.73 | 0.64 | 0.63 | 0.76 |

مع أن العديد من الدراسات السابقة للقائمة في البلدان والثقافات الغربية مثل: كندا، والصين، وجمهورية التشيك، وألمانيا، واليونان، فنلندا، والهند، واليابان، وكوريا، والفليبين، وبولندا، وتركيا، قد أظهرت معاملات ثبات مرتفعة على عينات مختلفة (Doglas , et al, 2008: 561).

## عرض النتائج

تم تحليل استجابات العينة على أداتي البحث باستعمال الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية، وأسفر ذلك عن الآتي:

**النتائج المتعلقة بالفرض الأول"** يمكن التنبؤ بدرجة الرضا عن الحياة لدى طلبة جامعة ذمار من خلال درجتهم على العوامل الخمسة الكبرى للشخصية ( العصابية، والانبساط، والانفتاح على الخبرة، وحسن المعشر، والهدفية أو الجدية). لاختبار الفرض تم استخراج الوصف الإحصائي لدرجات افراد العينة على مقياس الرضا عن الحياة وقائمة العوامل الخمسة الكبرى للشخصية. ثم استعمال معادلة الانحدار المتعدد والجداول (،4، 5، 6) توضح ذلك.

جدول(4)

الوصف الاحصائي لدرجات العينة على مقياس الرضا عن الحياة و قائمة العوامل الخمسة الكبرى للشخصية (ن= 708)

| العينة | عدد الفقرات | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري | أعلى درجة | اقل درجة | الوزن النسبي للرضا |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الرضا عن الحياة | 29 | 107.5169 | 14.63438 | 145 | 56 | 74.15٪ |
| العصابية | 12 | 34.7034 | 5.82436 | 55.00 | 17.00 | 57.83٪ |
| الانبساط | 12 | 42.0593 | 5.35389 | 58.00 | 24.00 | 70.09٪ |
| الخبرة على الانفتاح | 12 | 33.9349 | 4.38013 | 53.00 | 21.00 | 56.56٪ |
| المعشر حسن | 12 | 40.6525 | 5.23460 | 56.00 | 23.00 | 67.75٪ |
| الهدفية | 12 | 45.6243 | 6.17588 | 60.00 | 22.00 | 76.04٪ |

جدول(5)

خلاصة الانحدار المتعدد للكشف عن تأثير العوامل الخمسة الكبرى للشخصية في الرضا عن الحياة.

| المصدر | مجموع المربعات | درجة الحرية | متوسط المربعات | قيمة F المحسوبة | الدلالة الإحصائية | معامل التحديد R | مربع التحديد R2 | الخطأ المعياري |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الانحدار | 46127.556 | 5 | 9225.511 | 60.539 | .000 | 0.549 | 0.302 | 12.34466 |
| الخطأ | 106825.864 | 701 | 152.391 | | | | | |
| الكلي | 152953.420 | 706 | | | | | | |

جدول (6)

نتيجة الانحدار المتعدد لاختبار أثر العوامل الخمسة الكبرى للشخصية في الرضا عن الحياة

| النموذج | المعاملات غير المعيارية | | المعاملات المعيارية | القيمة التائية | الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| | B | Std.Error | Beta | | |
| 1 (Constant) | 78.506 | 8.153 | – | 9.630 | .000 |
| العصابية | 0.686– | 0.088 | 0.271– | 7.817– | .000 |
| الانبساط | 0.761 | 0.100 | 0.277 | 7.617– | .000 |
| الانفتاح على الخبرة | 0.063 | 0.107 | 0.019 | 0.591 | .14 |
| حسن المعشر | 0.106– | 0.101 | 0.038– | 1.041– | .93 |
| الهدفية (الجدية) | 0.501 | 0.089 | 0.216 | 5.655 | .000 |

**النتائج المتعلقة بالفرض الثاني :"** توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في الرضا عن الحياة " لاختبار الفرض تم استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين والجدول (7) يبين ذلك.

جدول (7)

طبيعة الفروق بين الذكور والإناث في الرضا عن الحياة

| العينة | العدد | المتوسط | الانحراف | درجة الحرية | الفرق المحسوب | الدلالة | حجم التأثير |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ذكور | 406 | 108.874 | 14.0893 | 706 | 2.699 | .007 | 0.20 |
| إناث | 302 | 105.864 | 15.4278 | | | | |

**النتائج المتعلقة بالفرض الثالث** : توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في العوامل الخمسة الكبرى ( العصابية، والانبساط، والانفتاح على الخبرة، وحسن المعشر، والهدفيه او الجدية). لاختبار هذا الفرض تم استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين والجدول ( 8 ) يبين ذلك.

جدول (8)

. طبيعة الفروق بين الذكور والإناث في العوامل الخمسة الكبرى للشخصية

| العينة | النوع | العدد | المتوسط | الانحراف | درجة الحرية | الفرق | الدلالة | كوهين | حجم الاثر |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| العصابية | ذكر | 406 | 33.694 | 5.6095 | 706 | 5.45 | .000 | 0.40 | 0.04 |
| | أنثى | 302 | 36.059 | 5.8414 | | | | | |
| الانبساط | ذكر | 406 | 42.076 | 5.0826 | 706 | .098 | .922 | | |
| | أنثى | 302 | 42.036 | 5.7067 | | | | | |
| الانفتاح على الخبرة | ذكر | 406 | 33.635 | 4.2814 | 706 | 2.11 | .035 | 0.13 | 0.006 |
| | أنثى | 302 | 34.338 | 4.4853 | | | | | |
| حسن المعشر | ذكر | 406 | 40.161 | 4.9558 | 706 | 1.95 | .052 | 0.19 | 0.005 |
| | أنثى | 302 | 40.985 | 5.5650 | | | | | |
| الهدفية (الجدية) | ذكر | 406 | 45.748 | 6.1000 | 706 | .622 | .534 | | |
| | أنثى | 302 | 45.457 | 6.2826 | | | | | |

## مناقشة النتائج

أشارت النتائج في جدول(4) إلى أن الوزن النسبي لشيوع الرضا عن الحياة لدى افراد العينة بلغ (74.15٪) و أن اكثر العوامل الخمسة الكبرى للشخصية شيوعاَ لدى افراد العينة ؛ الهدفية بوزن نسبي ( 76.04)، يليه الانبساط، وحسن المعشر، والعصابية، بأوزان نسبية بلغت (70.09 ، 67.75 ٪، 57.83٪، 56.56٪ ) على التوالي .

كما يشير الجدول (5) إلى صلاحية نموذج الانحدار المتعدد لاختبار التنبؤ بالرضا عن الحياة من خلال العوامل الخمسة، إذ تبين ان قيمة التباين عالية (60.539) وهي دالة عند مستوى (0.05) فأقل، كما تبين أن مجموع ما تفسره العوامل الخمسة الكبرى للشخصية من تباين متغير الرضا عن الحياة (0.302) وهذه القيمة دالة إحصائيا عند مستوى (05 .) فأقل، وتبين من قيم بيتا في جدول( 6) أن ثلاثة عوامل هي الانبساط والعصابية والهدفية لها تأثير دال في الرضا عن الحياة عند مستوى(0.05 ) فأقل ؛ وبلغت قيم التأثير على التوالي ( 0.277)؛ (0.271-) ؛ (0.216)، وكان تأثير العصابية في الرضا عن الحياة سلبي بينما تأثير عاملي الانبساط والهدفية إيجابي. ولم يكن لعاملي الانفتاح على الخبرة، وحسن المعشر تأثير دال في الرضا عن الحياة . وتتفق هذه النتيجة مع ما جاء في الدراسات السابقة.

(أ نظر: ملحم , 2009 ؛ عبد الكريم , 2007؛ Carmel , et al, 2009 ؛ DeNeve & Cooper 1998 ؛ Damien , 2009 ؛ Jose &Eva, 2005 ؛ Ulrich & Wagner, 2008؛ 687-638 ,p ,2009 , Yannick ).

وهذا يعني أنه يمكن التنبؤ بدرجة رضا طلبة الجامعة من خلال درجاتهم على عوامل الانبساط، والعصابية، والهدفية ، فيما بقية العوامل ليس لها تأثير دال، ولكون إشارة معامل العصابية سلبياً فان ذلك يعني أن الزيادة في العصابية يقابلها انخفاض في الرضا عن الحياة، والعكس فيما يتعلق بعاملي الانبساط والهدفيه، فان زيادة الدرجة عليهما يقابلها زيادة في الرضا عن الحياة، ذلك أن سمات الانبساط المتمثلة في القدرة على تكوين العلاقات الاجتماعية الدافئة والمريحة والمثيرة ذات المعنى إلى جانب سمات الهدفية المتمثلة؛ بالميل الى التنظيم والإنجاز والالتزام في أداء الواجبات، والتأني والضبط الذاتي للسلوك هي في مجملها تشكل مكونات أساساً للرضا عن الحياة . لدى طلبة جامعة ذمار.

مما يعني أن قائمة العوامل الخمسة الكبرى للشخصية بعواملها الثلاثة ( الانبساط – العصابية –الهدفية) مناسبة في تقويم شخصية الأفراد العاديين من طلبة الجامعة، ويترتب عن ذلك مناسبتها لعمليات الإرشاد النفسي التي تقدم لهم، إذ إن معظم الأفراد الذين يأتون لغرض الإرشاد هم أفراد أسوياء من وجهة نظر الطب النفسي، وهم يحتاجون إلى توجيه وإرشاد أو معلومات آو فرصة لتنمية الشخصية وتطويرها، وتستطيع نتائج القائمة إعطاء المرشد فهماً سريعاَ لاستعدادات الفرد أو ميوله لتسهل عملية الإرشاد،

وإشراك الفرد في نتائج الاختبار هو طريقة مناسبة لإيجاد فهم للذات، ويكون الأمر مختلفا نوعا ما في علم النفس السريري والطب النفسي،إذ إن التقويم النفسي هنا يهتم بتحديد الأعراض النفسية وعلى صياغة تشخيص طبي نفسي (سليم أ1999: 134).

وبينت نتائج تحليل الاختبار التائي لعينتين مستقلتين أن الفرض الثاني قد تحقق، إذ تبين من الجدول(7) أن هناك فرقاً دالاً معنوياً بين الذكور والإناث في الرضا عن الحياة لصالح الذكور، غير أن الفرق ضئيل بحسب معيار كوهين، إذ عده صغيراً عند القيمة (0.20) ومتوسطاً عند القيمة (0.50) وكبيراً عند القيمة (0.80) (نصار، 2006: 49-50 ) .

كما يلاحظ من الجدول( 8) أيضا أن الفرض الثالث قد تحقق جزئيا، إذ تبين وجود فروق دالة معنويا بين ( الذكور والإناث) في العصابية والانفتاح على الخبرة، حسن المعشر ولصالح الإناث، وهي أيضاَ فروقاً صغيرة وفق معيار كوهين المشار اليه، قد تكون ناشئة عن زيادة حجم العينة.

وهذه النتيجة في الجدولين (7، 8) تتسق جزئيا مع غالبية النتائج في التراث البحثي ( أنظر: الأحمد، وملحم , 2009 ؛ يونس، خليل, 007 2 ؛ 1999, Sergey&.Budaev ؛ 1990 .,Inglehart. )
وتشير إلى أن افراد العينة ذكوراً واناثاً أقرب إلى التماثل في الرضا عن الحياة، وفي عوامل الانبساط والعصابية والهدفية، وقد يعزى ذلك الى الظروف المحيطة في الحياة الجامعية او المجتمعية ؛ سواء كانت ذات صلة بالبيئة التعليمية والطموحات والتحديات، أو ذات صلة بالرغبة في الاستمتاع بتجارب غنية ومتنوعة وغير مألوفة وجديدة في الحياة الجامعية التي تعد المتنفس الأساسي للطلاب والطالبات .

إن التغير في القيم والاتجاهات، الذي يحدث في المجتمع العربي عموماً واليمني خصوصاً نظراً إلى للشبكة المعلوماتية ووسائل التواصل الاجتماعي، وقلة فرص العمل المتاحة امام الشباب، وحاجة الجنسين إلى التعاون لتوفير متطلبات الحياة المتزايدة باستمرار، ربما قد يؤدي إلى تقليص الفروق في جوانب شخصياتهم المختلفة، ومؤشرات ذلك أن الكثير من مجالات العمل والتعليم المختلفة التي كانت في الماضي مخصصة للرجال أصبحت في الوقت الحالي متاحة للجنسين معاً، سواء كان ذلك في السلك العسكري أم المدني.

و بوجه عام كلما ازداد التشابه في قيم الفرد ومبادئه، ومثله ومعاييره مع قيم الجماعة ومعاييرها، كلما ازداد شعوره بالرضا والسعادة، وكلما تحسنت نوعية الحياة كلما زاد شعور أبناء المجتمع بالسعادة والرضا، ويتصل الشعور بالرضا بتلقي الفرد المساعدات المادية الضرورية لتحقيق نوع من الحياة الكريمة، والتعضيد أو العون أو التدعيم النفسي، كما أن اشتراك الإنسان في الأنشطة الاجتماعية والاهتمامات يعد من العوامل التي تسهم في شعوره بالرضا .

وفي النظرية المعرفية فإن القدرة على تفسير الخبرات بطريقة منطقية تمكن الفرد من المحافظة على الأمل، واستعمال مهارات معرفية مناسبة لمواجهة الأزمات وحل المشكلات،ومن ثم فإن الشخص المتمتع بالرضا عن الحياة فرد قادر على استعمال استراتيجيات معرفية مناسبة للتخلص من الضغوط النفسية،ويحيا على فسحة من الأمل، ولا يسمح لليأس بالتسلل إلى نفسه (العناني، 2003: 15)، وهذا يعني أن الرضا عن الحياة محكوم بعوامل خارجية كالبيئة،والظروف الاجتماعية والاقتصادية والعوامل الداخلية مثل السمات الشخصية ( كالانبساطية والمرح والتفاؤل والتشاؤم وغيرها )،فضلا عن العامل المعرفي المتمثل في كيفية رؤية وتفسير الأحداث.

وقد يكون للعامل الديني الذي على أساسه يكون طلبة الجامعة في مجتمعنا قناعة بأن ما يتعرضون له من محن في حياتهم ليست إلا ابتلاء وامتحاناً من الله تعالى، وأنها مما يمحي ويخفف عنهم الذنوب، فيحققون بذلك رضاً عاماً عن الحياة وتقبلا نفسيا وانفعاليا لما قد يتعرضون له من ضغوطات حياتية،لأن الحياة ليست خيرا مطلقا ولا شرا مطلقا، (مرسي،2000 :102-103).

**التوصيات:**

بقدر تعلق الأمر بحدود البحث الحالي فان نتائجه يمكن أن تعمم على طلبة جامعة ذمار لكون عينته قد أخذت منهم. وفي ضوء نتائج البحث نوصي بما يأتي:

1. الاهتمام بطلبة الجامعة من خلال مساعدتهم على حل المشكلات التي تعترضهم من الناحية الدراسية والتعليمية والاجتماعية والوظيفية .

2. توجيه التعليم الجامعي نحو مواكبة التطور بجوانبه المختلفة، لتعزيز مستوى رضاهم عن الحياة، وبما يسهم في تعزيز العوامل الايجابية المكونة لشخصياتهم التي من شأنها مساعدتهم على التكيف الإيجابي في الحياة .
3. تعزيز دور مركز الإرشاد النفسي بالجامعة، بما يمكنه من وضع برامج إرشادية مختلفة تلبي احتياجات الطلبة في جميع كليات الجامعة.
4. تفعيل الشراكة المجتمعية بين الجامعة ومؤسسات القطاع العام والمختلط والخاص بما يخدم استيعاب الخريجين في قطاعات العمل المختلفة .

## أبحاث مقترحة

إجراء مزيد من الدراسات على طلبة الجامعات اليمنية الحكومية والخاصة الأخرى وعلى عينات كبيرة، تستهدف ما يأتي:

1-تقنيين قائمة العوامل الخمسة الكبرى للشخصية على عينات من شرائح اجتماعية مختلفة، يتم فيها استخراج معايير للقائمة تصبح من خلالها جاهزة للاستعمال في مراكز الإرشاد النفسي.

2-إعداد برنامج حاسوب خاص بقائمة العوامل الخمسة الكبرى للشخصية باللغة العربية لتسهيل تطبيق القائمة، وتصحيح درجاتها وتفسيرها، وكذلك استخراج الصور البيانية الخاصة بها.

4-الكشف عن علاقة الرضا عن الحياة بالعوامل الخمسة الكبرى لدى شرائح اجتماعية أخرى.

## الهوامش والإحالات:

1) الأحمد، أمل؛ وملحم، مازن ( 2009 ): الضغوط النفسية، علاقتها بعدد من العوامل الخمسة للشخصية- دراسة ميدانية مقارنة لدى عينة من طلبة جامعتي دمشق والفرات- بحث قدم للمؤتمر العلمي النفسي التربوي بعنوان " نحو استثمار أفضل للعلوم التربوية والنفسية في ضوء تحديات العصر" الذي عقد بجامعة دمشق للمدة من 27- 25 اكتوبر 2009.

2) الأنصاري، بدر (2002): المرجع في مقاييس الشخصية- تقنين على المجتمع الكويتي، دار الكتب الحديث.

3) البيالي، عبدالله احمد ( 2009 ): العوامل الخمسة الكبرى للشخصية، وعلاقتها بالأداء الوظيفي لضباط الشرطة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم الاجتماعية والنفسية، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف للعلوم العربية.

4) الدسوقي، مجدي (2003) مقياس الرضا عن الحياة، كر ا رسة الأسئلة والإجابة، مكتبة، النهضة المصرية، القاهرة.

5) أرجايل، مايكل (1993)::سيكولوجية السعادة. ترجمة : فيصل يونس، ومراجعة : شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: عالم المعرفة ( 175 ) الكويت.

6) الشواورة ياسين سالم(2006): علاقة الذكاء الانفعالي بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية عند طلبة جامعة مؤتة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة مؤته.

7) الصفيان، هند ناصر(2015): قدرة العوامل الخمسة الكبرى للشخصية على التنبؤ بتوافق السجينات مع بيئة السجن، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم الاجتماعية والنفسية، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف للعلوم العربية.

8) العناني، حنان عبد الحميد (2003):الصحة النفسية،الطبعة الثانية، دار الفكر،عمان.

9) العنزي، فهد بن سعيد ( 2007):الوسواس القهري وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة نائف للعلوم الأمنية، السعودية.

10) العمرات، محمد سالم، الرفوع محمد احمد (2014): مستوى الرضا عن الحياة الجامعية وعلاقته بتقدير الذات لدى طالبات جامعة الطفيلة التقنية في الأردن. المجلة الدولية التربوية المتخصصة، 3، (12) كانون الاول : 266-283

11) المجدلاوي، ماهر يوسف(2012): التفاؤل والتشاؤم وعلاقته بالرضا عن الحياة والأعراض النفسجسمية لدى موظفي الأجهزة الأمنية الذين تركوا مواقع عملهم بسبب الخلافات السياسية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، 20، (2)، يونيو: 207 – 236

12) بقيعي، نافز ( 2012) : أساليب التفكير والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى الطلبة المعلمين في الجامعات الأردنية مجلة جامعة الخليل للبحوث- مجلة جامعة الخليل للبحوث،7، (1) :107-113

13) بقيعي، نافوز احمد (2015): العوامل الخمسة الكبرى للشخصية وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى معلمي وكالة الغوث الدولية في منطقة إربد التعليمية : المجلة الأردنية في العلوم التربوية، 11، (4): 447 -427

14) تيف، امل احمد (2014): العوامل الخمسة الكبرى للشخصية وعلاقتها بالرضا عن الحياة لدى عينة من طلاب الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان.

15) جودة،آمال،أبوجراد حمدي(2013): عوامل الشخصية الخمسة الكبرى كمنبئات للنرجسية لدى عينة من طلبة جامعة القدس المفتوحة : مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية -2، ( 6): 45-70

16) سليم، أريج جميل حنا (1999) : اضطراب الشخصية الحدية على وفق انموذج العوامل الخمسة. اطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق .

17) سليمان، عادل محمود محمد (2003): الرضا عن الحياة وعلاقته بتقدير الذات لدى مد يرى المدارس الحكومية في مديريات محافظات فلسطين. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

18) شقورة،يحي عمر شعبان (2012): المرونة النفسية وعلاقتها بالرضا عن الحياة لدى طلبة الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، برنامج علم النفس، كلية التربية، جامعة الازهر.

19) صالح، قاسم حسين، والطارق، علي (1998): الاضطرابات العقلية والسلوكية، مطبعة عبادي، صنعاء.

20) عبد الكريم، عزة (2007):أبعاد الرضا العام عن الحياة ومحدداته لدى عينة من المسنين المصريين. مجلة دراسات نفسية،17،(2) : 377 -415 .

21) عبد الخالق، احمد ؛ وسليمان، تغريد؛ الذيب، سماح أحمد؛ عباس، سوسن حبيب؛ احمد، شيماء يوسف؛ الثويلي، نادية محمد ؛ السعيدي، نجاة غانم ( 2003): معدلات السعادة لدى عينات عمرية مختلفة من المجتمع الكويتي. دراسات نفسية، 13، (4) : 581-612.

22) علوان ،نعمات شعبان (2007): الرضا عن الحياة وعلاقته بالوحدة النفسية. مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، 16، (2 ): 475- 532

23) عيسى، جابر محمد عبد الله ؛ ونشوان، ربيع عبد الله (2006): الذكاء الوجداني وتأثيره على التوافق والرضا عن الحياة والإنجاز الأكاديمي لدى الأطفال : مجلة دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية، جامعة حلوان، 12، (4): 45 -130.

24) كتلو، كامل حسن (2015): السعادة وعلاقتها بكل من التدين والرضا عن الحياة والحب لدى عينة من الطلاب الجامعيين المتزوجين : دراسات، العلوم التربوية، 42، (2) : 261-279.

25) مرسي،كمال إبراهيم (2000): السعادة وتنمية الصحة النفسية، الطبعة الثانية،،دار النشر للجامعات، مصر.

26) مصطفى، منار بني، الشريفين احمد، رامي طشطوش( 2014): أحداث الحياة الضاغطة والشعور بالرضا عن الحياة والعلاقة بينهما لدى طلبة جامعة اليرموك في الأردن. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، (34)، تشرين الأول: 205-249.

27) نصار، يحي حياتي (2006): استخدام حجم الاثر لفحص الدلالة العملية للنتائج في الدراسات الكمية. مجلة العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية البحرين، 7، (2) يونيو .

28) ملحم، مازن (2010): الشعور بالوحدة النفسية وعلاقتها بالعوامل الخمسة مجلة جامعة دمشق، 26، (4): 625-668

29) يونس، فيصل عبد القادر ؛ و خليل،الهام عبد الرحمن (2007): نموذج العوامل الخمسة للشخصية – التحقق من الصدق وإعادة الإنتاج عبر الحضاري:مجلة دراسات نفسية، 17، ( 3 ): 553 -583

30) **Bahman , K. Tamini & Mohammad, A. Mohammady , F**. (2009) : Mental Health and Life Satisfaction of Irani and Indian Student . Journal of the Indian Academy of Applied Psychology, 35 (1): 137-141.

31) **Carmel , P. ؛ Alex, L. .& John, M**. (2009):Youth Life Satisfaction: A Review of the Literature. J Happiness Stud, 10:583–630.

32) **Damien , L .**(2009 ): The Relation Between Well-being, Sleep, Benevolence, and Personality . A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Bachelor of Science (Honors) , University of British Columbia (Okanagan).

33) **DeNeve, K. M. & Cooper. H. M**. (1998): The happy personality: A meta-analysis of 137 personality traits and subjective well- being. Psychological Bulletin, 124 :197-229.

34) **Doglas , A .Bernstein ؛Louis, A. Penner ؛ Alison, C. Stewart & Edward J. Roy.** (2008): Psychology. Houghton Mifflin Company Boston New York.

35) **Eugene, C. Jing ؛ Jong , S ؛ & Shu , Y. Lyu** .(2006):Correlates of Life Satisfaction among Aboriginal. Taipei City Med J, 3 (11): 1119-1129.

36) **Inglehart, R**. (1990):Culture shift in advanced industrial society .Princet N J: Princeton University Press.

37) **Jesús, S. Martín ؛ Fabiola , P. & Jesús , M. Canto**. (2010): Life Satisfaction and Perception of Happiness among University Students, The Spanish Journal of Psychology, 13 ( 2): 617-628.

38) **Jose, L. Gonza ؛ lez , G . rrez ؛ Bernardo , M. ؛ Jime , N ؛Eva, G. ؛ Herna, N. ؛ Cecilia ؛Pen, A.Puente**. (2005): Personality and subjective well-being: big five correlates and demographic variables. Personality and Individual Differences ,38 :1561–1569.

39) **Kendall, C. Bronka ؛ Patrick , H. ؛ DanielK, L.؛ Tasneem , L. Talib, & Holmes, Fi.** (2009): Purpose, hope, and life satisfaction in three age groups . The Journal of Positive Psychology , 4 (6) : 500–510.

40) **Liesl, T. Vogt** (2007):The relationship between the Five-Factor Model and Individualism/Collectivism among South African students. In partial fulfillment of the requirements for the degree Masters of Arts in Clinical Psychology, A dissertation submitted to the Faculty of , Humanities University of the Witwatersrand .

41) **Lorie, S. & Sonja , L.** (2001):Life Satisfaction . Encyclopedia of women and gender: Sex similarities and differences and the impact of society on gender. 2: 667-676. San Diego, CA: http://www.faculty.ucr.edu/~sonja/papers

42) **McCrae, R. ؛ Costa, p. Jr**.(1991) :The NEO personality Inventory - Using the five – factor Model in Counseling .Journal of Counseling and Development ,69: 367-376.

43) **Michalos, A.** (1991): Global report on student well-being. New York: Springer-Verlag.

44) **Nicolas , B. ؛ Anton, A. Jean ؛Pierre , R. & Angel, B**. (2011):The role of personality in satisfaction with life and sport، Behavioral Psychology . Psicología Conductual, 19 ( 2): 333-345

45) **Ramanaiah, F R ؛ Detwiler, A. Byravan** .((1997): Life satisfaction and the five-factor model of personality. Psychological Reports. 80, Issue: 3 Pt 2: 1208-1210

46) **Robert, A. Baron ؛ & Michaela, J . Kalsher.** ( 2008): Psychology . Allyn and Bacon . Boston . London. Toronto . Sydney . Tokyo .Singapore.

47) **Robert , F. Valois ؛ Keith, J. Zulig ؛ Scott , H. ؛ & Wanzer , D** .( 2003): Dieting Behaviors, Weight Perceptions, and Life Satisfaction Among Public High School Adolescents ، Eating Disorders, 11:271–288، Copyright © Taylor & Francis Inc.

48) **Scott , H ؛ Shannon, M. Suldo ؛ & Robert, F. Valois** .(2003): Psychometric Properties of Two Brief Measures of Children's Life Satisfaction' The Students Life Satisfaction Scale (SLSS) and the Brief Multidimensional Students' Life Satisfaction Scale (BMSLSS. Paper prepared for the Indicators of Positive Development Conference March 12-13.

49) **Sergey, V. Budaev** . (1999):Sex differences in the Big Five personality factors: Testing an evolutionary hypothesis. Personality and Individual Differences, 26:801-813

50) **Skevington, M. Lotfy2 ؛ & Connell , K.A.** (2004): The World Health Organization's WHOQOL-BREF Quality of Life Assessment: Psychometric Properties and Results of the International Field Trial A Report from the WHOQOL Group ، quality of life research ، 13 :299-310

51) **Ulrich, S. ؛ Shigehiro , O ؛ Michael, F. ؛ David, C. Funder** .(2009):Personality and Life Satisfaction: A Facet-Level Analysis. Downloaded from http://psp.sagepub.com at University of Edinburgh .

52) **Ulrich, S. &. Wagner**. ( 2008 ):The Influence of Environment and Personality on the Affective and Cognitive Component of Subjective Well-being. Social Indicators **Research** October، 89(1):41-60.

53) **Yannick , S** .(2009):Openness to experience and active older adults' life satisfaction: A trait and facet-level analysis، Personality and Individual Differences ,47:637–641

# أضواء على مسكوكات الملك المعز إسماعيل بن طغتكين

(593-598هـ/ 1197-1202م)

د. فؤاد عبد الغنى محمد الشميرى *

**ملخص:**

أدت الانقسامات الداخلية والفتن دورا رئيسا في دخول الأيوبيين الى اليمن سنة (569هـ/ 1174م)، وتأسيس دولتهم، التي استمرت قرابة سبع وخمسين عاماً حتى عام(626هـ/ 1229م )، تعاقب على الحكم خلال المدة خمسة ملوك، ويعد ثالث ملوكها المعز إسماعيل بن طغتكين (593-598هـ/ 1197-1202م ) أكثر الشخصيات غموضاَ في تاريخ الدولة الأيوبية، فقد تناول عديد من المؤرخين القدماء منهم والمحدثين الأحداث أثناء وقبل مدة حكم المعز إسماعيل بشيء من التناقض أحيانا وعدم الدقة أحيانا أخرى، لعل من أبرزها انتمائه للمذهب الإسماعيلي وتاريخ ادعائه الخلافة وانتسابه للأمويين وسياسة البطش التي اتسمت بها فترة حكمه، لذا أستوجب البحث عن مصادر أُخرى يتم من خلالها استنطاق الأحداث التاريخية، من بين تلك المصادر تأتي المسكوكات والتي تعد من أجل الوثائق التاريخية وأهمها، بما تحمله من نقوش كتابية صادرة عن جهة رسمية، تعبر بجلا عن الحالة الاقتصادية والسياسية والمذهبية للدولة، صاحبة الإصدار على الرغم من صغر حجمها وتعرضها لعاديات الدهر.

* أستاذ الآثار الإسلامية المساعد، قسم الآثار والمتاحف / كلية الآداب جامعة ذمار.

ويمكن القول بشيء من الطمأنينة ومقدار وافر من الثقة بأن المسكوكات التي ضربت في عهد المعز إسماعيل ذات دلالات تاريخية هامة؛ فقد اكدت ما يأتي:

1- وثقت المأثورات الخطية على مسكوكات الملك المعز اسماعيل منذ البدايات الأولى لحكمه تطلعه وحلمه بخلافة المسلمين.
2- كشفت بجلاء المدة الزمنية لادعاء الملك المعز اسماعيل الخلافة وانتسابه للأمويين وخلعه طاعة الخلافة العباسية.
3- لم تظهر المأثورات الخطية على مسكوكاته ميوله للمذهب الاسماعيلي.
4- يعد الملك المعز اسماعيل مؤسس دار الضرب بتعز.

## توطئة:

شهدت السنوات الاخيرة من حكم الملك الأيوبي، سيف الاسلام طغتكين بن ايوب، فترة الاستقرار الحقيقي للحكم الأيوبي في اليمن، لكن الامر لم يستمر طويلا، فما إن توفي حتى خلفه بالحكم ولده المعز إسماعيل، الذي لم يجد صعوبة او مشقة في الوصول اليه تبعا للنظام السياسي في الحكم القائم على مبدأ التوريث، الذي سار عليه الأيوبيون[1].فمن هو إسماعيل بن طغتكين؟ وماهي أبرز ملامح مدة حكمه؟

## المعز اسماعيل بن طغتكين:

هو إسماعيل بن طغتكين بن ايوب ابن شادي بن مروان، الملك المعز شمس الملوك، نصير الدنيا والدين، فارسا شجاعا شهما، كريما على أهل الشعر واللهو شاعرا فصيحا، سريع البطش شديد العقوبة[2]، إليه يعزى إنشاء اول مدرسة باليمن، وهي المدرسة السيفية نسبة إلى والده سيف الإسلام طغتكين، كما أقام مدرسته الثانية بزبيد، والمعروفة بالمعزية او مدرسة الميلين، وذلك سنة (594هـ/ 1197م)[3].

تغفل المصادر ذكر تاريخ ولادته، في حين تشير بعضها إلى أنه أكبر اخوانه، إذ بدأ والده في تهيئته للحكم مسندا إليه ولاية كوكبان، وبلاد الظاهر بعد سيطرة الأيوبيين عليها سنة 587ه[4]، ولكن سرعان ما عزله، ولم يسند إليه أي دور في إدارة الدولة حتى وفاته[5].

وهنا نجد بان اغلب المصادر لا تتطرق للأسباب والدوافع وراء ذلك في حين يشير القليل منها اما الى فساد عقيدته بانتمائه الى المذهب الاسماعيلي[6]، او لما بدر من سوء سيرته اثنا توليه كوكبان وبلاد الظاهر.

## أبرز ملامح حكمه:

وصلت السلطة إليه، وهو في حرض مغاضبا لأبيه بعد أن علم بموته[7]،وفي طريق عودته لتقلد الحكم توالت المناطق، معلنة ولاءها له بدء، بالبلاد الشامية[8] حتى زبيد التي وصلها في 19 ذي القعدة( 593هـ/ 1197م )، ثم تعز كرسي ملك بني ايوب[9]، توجه بعدها إلى ذي جبله في 24 ذي الحجة من العام نفسه وتسلم حصن التعكر ثم اتجه إلى صنعاء التي وصلها في محرم سنة( 594هـ/ 1197م )، وعين الشهاب الجزري واليا عليها بعد أن أمر بقتل الهمام الزبا والي صنعاء من قبل أبيه طغتكين[10]، اما عدن فقد أرسل إليها مكار بن محمود واليا [11]، وبهذا فقد دانت اليمن له دون معارضة تذكر في بداية الامر .

لكن الوضع السياسي المستقر لم يدم طويلا فقد ظهرت ملامح لنهج سياسي جديد في الحكم اتبعه المعز، فبعد توليه الحكم شعر بخطر وجود بعض القادة العسكريين، وبدأ بتغيير القيادات العسكرية التي تمردت وانشقت عنه لخوفهم منه لبطشه وعدم الأخذ بمشورتهم، فقد حاولوا أكثر من مرة الإغارة عليه وانتزاع بعض مناطق حكمه بمساندة الإمام عبد الله بن حمزة(593-614هـ/ 1196-1217م) الذي احتضنهم وقلدهم مناصب قيادية في قواته [12]، وذلك يعزى إلى قلة خبرة الملك المعز اسماعيل في إدارة الدولة وشؤون الحكم [13]، تلا ذلك كله ادعاؤه الخلافة وخلعه طاعة العباسيين، مما أثار عليه الخلافة في بغداد والسلطنة في مصر وكان سببا رئيساًفي تعجيل نهاية حكمه بالقتل في آخر رجب ( 598هـ/ 1202م)[14].

## مسكوكاته:

أدت المسكوكات بعامة والاسلامية منها بخاصة دوراً هاماً في الجانبين السياسي والإعلامي، لذا فقد أُوليت عناية خاصة من قبل الخلفاء والملوك والحكام، ومسكوكات المعز إسماعيل عُدت وثائق من خلالها تم تصحيح بعض الادعاءات التي وردت عند بعض المؤرخين، وإثبات بعضها، وتأكيد بعض الفترات التاريخية كما سيلاحظ في متن البحث.

ضرب المعز مسكوكاته في ودور ضرب كانت قائمة مثل عدن و زبيد وصنعاء التي وصلنا منها نماذج لمسكوكاته[15]، كما أنه عد المؤسس الحقيقي لدار الضرب في تعز منذ بداية حكمه فما لبث ان وصل تعز في22 ذي القعدة سنة 593هـ[16]، حتى اسس داراً للضرب فيها، مستكملا بذلك بناء مؤسسة اقتصادية كان من بواكير إصدارها درهم ضرب في تعز سنة 594هجرية، وعُدَت من أنشط دور الضرب في عهده[17].

## طرز مسكوكات المعز:

تسنى للباحث دراسة (19) مسكوكة من مسكوكات المعز اسماعيل منها (18) درهماً وفلس واحد، ضربت في أربع مدن، هي ( زبيد-عدن-صنعاء-تعز)[18]،كما أشارت المصادر إلى ضرب المعز للدرهم الكبير الذي يزن (13 قيراطاً )[19]، بيد أن مثل هذا الدرهم لم يصلنا.

## الدراسة الوصفية لمسكوكات المعز إسماعيل:

### 1- الشكل العام :

صممت مسكوكات المعز في طراز واحد، من حيث الشكل العام، متخذة من الأشكال الهندسية المتمثلة بالمربع أساساً في تكوين المركز، وذلك بواسطة تعامد مربعين نتج عنهما شكل نجمة ثمانية خطية تحيط بمأثورات المركز يليها إطار دائري خطي ثم مأثورات الهامش الذي يليه إطارين: الأول خطي يلي الهامش

مباشرة،والثاني من اللآلئ الساسانية (حبات المسبحة) ويعد حافة للمسكوكة[20]. وهو ما يشير إلى أن مسكوكات المعز بهذا التصميم الفني وفي جميع دور ضرب المجموعة – قيد الدراسة- ينبى على اتخاذ قرار بهذا التصميم وإن لم تسعفنا المصادر في الإشارة اليه.

## 2-المأثورات الخطية:

نقشت المأثورات الخطية على دراهم المعز اسماعيل بالخط الكوفي في آخر مراحل تطوره والمتمثل بالنهايات الأفعوانية المورقة، ولاسيما بنهايات حروف بعض الكلمات مثل { ر، م، ن، و}[21] على سبيل المثال لا الحصر.

وظهر من مسكوكاته ثلاثة طرز، أصدرت دور الضرب في كل من (تعز، زبيد، عدن، صنعاء) دراهم من الطراز الاول وانفردت تعز بإصدارها للطراز الثاني من دراهمه التي ظهرت لحد الان-على حد علم الباحث-[22]، اما الطراز الثالث فيمثله الفلس الوحيد في المجموعة -قيد الدراسة- مسح مكان الضرب فيه. ماثوراتها الخطية كما يأتي:

**الطراز الاول (لوحة 1-شكل 3)( لوحة 2 – شكل 4):**

ضرب هذا الطراز في (تعز- زبيد – عدن- صنعاء) بالسنوات (594-595-596-597) هجرية نقشت عليها المأثورات الآتية[23]:

| الوجه | الظهر |
|---|---|
| المركز: | المركز: |
| لا إله إلا الله | الإمام الناصر |
| محمد رسول | لدين الله أحمد |
| الله صلى الله عليه | أمير المؤمنين |
| الهامش: بسم الله الرحمن الرحيم ضـــرب هـذا | الهامش: الملك المعز نصير الدنيا والـــدين |
| الدرهم بتعز، سنة أربع وتسعين وخمـ(سمائة) | سلطان المسلمين اسماعيل بن طغتكـ(ين) |

**الطراز الثاني ( لوحة 3 (أ–ب) – شكل 5 (أ – ب)):**

ضرب بتعز سنة 597هجرية – الدرهم نادر– مأثورته هي[24]:

| الوجه | الظهر |
|---|---|
| المركز:<br>لا إله إلا الله<br>محمد رسول<br>الله صلى الله عليه<br>الهامش: بسم الله الرحمن الرحيم ضـــرب هـذا<br>الدرهم بتعز سنة سبع وتسعين وخمـ(سمائة) | المركز:<br>الإمـــــــــــام<br>الهـــــــــادي<br>إلـــى الحـــــــق<br>الهامش: بنور الله امير المؤمنين ابو الفـــدى<br>اسماعيل بن طغتكين الامـــــوي |

**الطراز الثالث:**

نقش عليه المأثورات التالية[25]:

| الوجه | الظهر |
|---|---|
| المركز:<br>لا إله إلا الله<br>محمد رسول<br>الله صلى الله عليه<br>الهامش: 000 سنة خمس وتسعين وخمـ(سمائه) | المركز:<br>الإمام الناصر<br>لدين الله احمد<br>أمير المؤمنين<br>الهامش : الملك المعز نصير الدنيا والدين<br>اسماعيل بن طغتكين |

**الدراسة التحليلية:**

تعد المسكوكات المضروبة في عهد المعز اسماعيل بن طغتكين (593-598هـ/ 1197-1202م) - قيد الدراسة - وعددها تسع عشرة مسكوكة[26]أنموذجا لثلاثة طروز وهي حصيلة ما وصلنا من مسكوكاته حتى الان-على حد علم الباحث-، وتبرز أهمية تعز بصفتها داراً لضرب السكة بتفردها بنموذجي الطراز الثاني. وفيما يأتي نسلط الضوء على هذه الطرز في محاولة لمعرفة واقع وحقيقة شخصية المعز إسماعيل وحقيقة مدة حكمه من خلال المسكوكات، وربطها بما قيل في بطون المصادر المتيسرة.

لقد كشفت مسكوكات المعز إسماعيل، ومنذ البواكير الأولى لإصدارها عن طموحه في خلافة المسلمين فضلاً عن لقب الملك[27] الذي نقشه سلاطين وامراء وولاة عهد البيت الأيوبي، ولقبه المعز والذي عد أكثر ألقابه شهرة[28]، نُقشت ألقاب أخرى تعبر عن طموحه يمكن تصنيفها إلى مجموعتين:

**المجموعة الاولى**: تتمثل في القابه على المسكوكات التي ضربت خلال المدة ( 594-597 هجرية)، وهي: ( الملك المعز نصير الدنيا والدين سلطان المسلمين اسماعيل بن طغتكـ)، والتي نقشت في هامش الظهر.

لعل أبرز لقبين هما: ( نصير الدنيا والدين) و( سلطان الإسلام والمسلمين )، فالأول ذكر بصفته لقباً اتخذه السلاطين الشرعيين جمع فيه صاحبه السلطتين الدينية والدنيوية [29]، أما الثاني فقد تحدد بمدلوله بصفته حاكماً اعظم منذ عهد السلاجقة وتوارثه بني زنكي من بعدهم [30] ونقش على دينار ايوبي من ضرب دمشق سنة 583هجرية[31]، كما ظهر على درهم أيوبي ضرب دمشق سنة 585هجرية [32]، كاستحقاق لصلاح الدين بعد انتصاره الذي حققه في معركة حطين وتحرير القدس ممثلا الضمير الحي في الأمة الإسلامية ، كما وردت مثل هذه الألقاب في خطبة القاضي محيى الدين [33]بالمناسبة نفسها، جاء فيها (... جامع كلمة الإيمان، وقامع عبدة الصلبان، صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين ...محيى دولة امير المؤمنين)[34]، لقد اراد المعز من خلال اتخاذه هذا اللقب محاكاة للسلطان صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية وإثبات أنه قادر على استحقاق هذا اللقب، معبرا بذلك عن طموحه الذي أشار إليه المقريزي ضمن أحداث 594هجرية أي في

بداية حكم المعز بضم مكة والحجاز إلى ملكه باليمن فقد أرسل من ابتنى له دارا في مكة، ولعله دار الحكم الذي أراد، معبرا عن رغبته التوسعية، بيد أن تلك المحاولة باءت بالفشل ووئدت في مهدها[35]،وقد اختار مكة لمكانتها لدى المسلمين، فمتى خضعت مكة لسلطانه دانت له البلاد الإسلامية كخطوة أولى نحو الخلافة الإسلامية التي تمناها، لكن سرعان ما قضي على هذا الحلم الذي ظل يراوده ووثقته وسجلته المسكوكات في سنة 597هجرية أيضا.

أكدت نقوش مركز الظهر في مسكوكات هذه المجموعة بأن المعز لايزال تحت مظلة الخلافة العباسية وموالاته لها كما هو الحال في جميع مسكوكات الأيوبيين بنقشه العبارة (الإمام الناصر لدين الله أحمد أمير المؤمنين) على جميع مسكوكات المجموعة حتى سنة 597هجرية. كما ينضوي تحت هذه المجموعة نصوص فلس، ضرب سنة 595هـ، وفيه مكان الضرب ممسوح، ويمثل هذا الفلس الطراز الثالث لمسكوكات المعز، نقشت عليه الألقاب (الملك المعز نصير الدنيا والدين اسماعيل بن طغتكين)، وهي ذات المأثورات في الطراز الأول بصورة مختصرة ؛ فقد حذفت منها العبارة (سلطان المسلمين)، ربما لصغر حجم الفلس.

**المجموعة الثانية:**

تتمثل في درهمين ضربا في تعز سنة 597هجرية[36]، جسد هذان الدرهمان مرحلة جديدة ظهر من خلالها طموح الملك المعز اسماعيل فيما نقش من مأثورات أفصحت عن طموحه في خلافة المسلمين، فقد تلقب بـ: (الإمام الهادي إلى الحق) والتي نقشت في مركز الظهر تليها وتكملها الألقاب (بنور الله أمير المؤمنين أبي الفدا اسماعيل بن طغتكين الأموي) في هامش الظهر.

لقد أشار عدد من المؤرخين إلى ادعائه الخلافة ولبس شارتها[37]، وذكر بعض المؤرخين وصفا لملابس الخلافة التي لبسها، بعد ادعائه الخلافة، فمنهم المقريزي الذي وصفها بقوله: (ولبس ثياباً خضراء وعمائم خضراء مذهبه) [38]وفي مكان آخر يقول : ( وجعل شعاره الخضرة، ولبس ثياب الخلافة وعمل طول كل كم خمس وعشرين شبرا في سعة ستة أشبار وقطع من الخطبة الدعاء لبني العباس) [39]، كما وصفها الخزرجي

بالقول : ( وكان يلبس لباس الخلفاء القمصان ذوات الأكمام الطوال الواسعة التي تسمى الثمانية والعشارية، يكون طول الكم عشرة أذرع أو ثمانية أذرع، بحيث يكون قاعداً في روشنه فيصل أحد الغلمان أو النواب ممن يريد تقبيل يده فيرسل الملك كمه من العرش إلى الأرض فيقبل الغلمان كمه نيابة عن يده)[40].

وتضاربت آراؤهم في تحديد تاريخ خروج المعز اسماعيل عن شرعية الخلافة العباسية التي يرجعها بعضهم إلى بداية توليه الحكم [41]، في حين يذهب آخرون إلى أن ذلك تم بعد مدة من توليه الحكم [42]، ويذكر ابن حاتم في رواية متسلسلة للأحدث إثبات ادعاء المعز للخلافة إلى أنها كانت في شوال سنة 596هجرية[43]، ويرى طرف رابع أن خروجه عن الخلافة العباسية وإعلان نفسه خليفة كان في نهاية حكمه و حدده الخزرجي في جماد الثاني من سنة 597هجرية[44].

هنا يأتي دور الوثائق المادية كالآثار والمسكوكات منها على وجه الخصوص في إعادة كتابة التاريخ، فقد حدد هذان الدرهمان المدة التي أعلن فيها المعز خروجه على الخلافة العباسية في أواخر النصف الأول من سنة 597 هجرية على الأرجح، فقد وصلنا من ضرب هذه السنة إصداران، الأول: ويعد امتداداً للنقوش التي تضمنتها المجموعة الاولى أما الثاني: فيمثل المجموعة الثانية والذ ي يعد اخر اصدارات المعز التي ظهرت لحد الآن _على حد علم الباحث_ ويعتقد الباحث بأن ما ذكره الخزرجي في تحديد إعلان المعز نفسه خليفة أنه هو الأقرب للصواب.

لقد أُنكر عليه ادعاءة الخلافة، وانتسابه للأمويين بدءً بعمه العادل ابي بكر[45] الذي خجل أن يكون لبني أيوب نسب متصل ببني أميه، وكتب إليه يلومه، وينهاه،وأن يترك ما يضحك الناس منه[46]. ولم يقبل بهذا الادعاء أحد، لكن طموح المعز وعدم إدراكه لعواقب ادعائه هذا جعل الكثير من المؤرخين يصفونه بالقول:( ودخلته الخيلاء) [47]حينا، و(كان في عقله ضعف)[48] حينا آخر، كما وصف ايضا بالقول: (وخولط في عقله)[49]، أو بقولهم :(ودخلت في أحواله السخافة)[50]، وكلها تجمع على أن مثل هذا الادعاء لم يكن ليصدر من إنسان سليم في تفكيره، لكن مثل هذا الادعاء يظل مشروعا من الناحية النظرية على الأقل. حتى

في حالة تسليمنا في نظرية الخلافة التي تقضي وجوبها في قريش، فقد انتسب بادعائه هذا للأمويين، وهي واحدة من أعرق بيوت قريش .

أثار هذا الادعاء حفيظة المؤرخين محاولين الصاق بعض الأفعال بالمعز على الرغم من عدم استنادها إلى اساس تاريخي يمكن الركون إليه، لعل من أبرزها ادعاؤه الألوهية والنبوة وأكله لحوم البشر، فقد ذكر ادعاءه الألوهية والنبوءة مسبوقا بفعل يقال، أو قيل وهما يفيدان عدم اليقين، كما ان البعض حدد فترة ادعائه الألوهية بنصف نهار بإصداره ( كتاب وأرخه من مقر الألوهية) [51]، ثم يضيف بعض المؤرخين بأن تراجعه عن ادعائه الألوهية كان بادعائه النبوة [52]، وكلاهما امران لا يصدقهما عاقل وأين دور العلماء في مثل هذه الادعاءات التي تنبي عن كفر، ولا يمكن الا أن يثير سخط وغضب الخاصة والعامة وعلى الرغم من ذلك لم نجد لها أي صدى في بطون ما كتب عن المدة نفسها أو في الفترات اللاحقة لها.

في حين يذكر بعض المؤرخين بأن تراجعه عن ادعائه الألوهية كان بادعائه الخلافة[53]، وهي على ما أعتقد بيت القصيد كما يقال، ناهيك عن أن مثل هذه الادعاءات لا يمكن أن تصدر من شخص يروم الخلافة والملك في ديار الإسلام.

أما وصف المعز بأكله لحوم البشر فقد اقتصر على مؤرخين محليين، يأتي في مقدمتهم الجندي بقوله: ( ثم تولع بذبح بني آدم واكلهم) [54]ويذكر الخزرجي نص الجملة التي ذكرها الجندي مستندا بذلك إلى الرواية التي بدئها بقوله: (يحكى أن الأتابك دخل عليه يوما فلم يزل قائما بين يديه حتى قال المعز ما أحسن اضلاعك هذا شواء أو كما قال فخدم له ثم قال حاشاك ياخوند، ثم لم يشك في أنه ذابحه فلما خرج من عنده هرب ولم يعد إليه بعدها)[55]، ثم يذكر ابن الحسين بقوله: ( وولع بأكل لحوم الادميين) [56]واخيرا يذكر بالمخرمة الذي اورد العبارة بعد ادعائه الخلافة ( ثم ولع بذبح بني آدم واكلهم )[57]، وكان هذا الأمر مرتبطاً بمدة ما بعد ادعاء الخلافة، وهنا يتضح جليا الهدف الإعلامي في نشر مثل هذه الادعاءات على المعز اسماعيل، وإذاَ فلقد كان لادعاء المعز الخلافة صدى واسع صعد حوله الرأي الرسمي وسجله المؤرخون بروايات لا تتسم بالدقة .

اما انتسابه للأمويين فيأتي امتداداً لادعائه الخلافة، واستعادة حق سلب من بني أميه؛ كما أن ادعاءه النسب إلى بني أمية يبعد عنه إلى حد كبير ما ذهب إليه المؤرخون في مسألة خروجه عن مذهب أهل السنة وانتمائه للمذهب الاسماعيلي فقد سجل لنا التاريخ الموقف التنافري بين الشيعة وبني أمية، يؤكد ذلك حالة عدم الوئام مع دعاة الإسماعيلية في اليمن، وهم بنو حاتم الذين قدموا الدعم للإمام عبد الله بن حمزة في فترة صراعه مع المعز[58].

وعليه فإن ما ذكره المؤرخون حول خروجه عن مذهب أهل السنة ربما لا يكون دقيقا فليس هناك من المراسيم التي تؤيد ما ذهبوا إليه، ولم تنقش على مسكوكاته التي تمت دراستها وغطت سنوات حكمه كلها تقريبا، يؤكد ذلك أمره بهدم دار العز بذي جبلة[59] أحد معالم الصليحين رعاة الدعوة الإسماعيلية باليمن، ويبدوا ذلك أيضا من خلال جوابه على دعاة الإسماعيلية الذين حاولوا انتزاع اعتراف منه بإعلان بعض مراسيم مذهبهم بخشيته من السواد الأعظم، إدراكا منه بأن اتخاذه أمراً كهذا سوف يكلفه الكثير، ولعل تعاطفه مع الاسماعيليين وحبه السكن في ذي جبلة[60]، وهي من أهم معاقلهم جعل بعضهم يعتقد بميله إلى مذهبهم [61]، فقبوله بالأخر على الرغم من الاختلاف المذهبي معه أمر يحسب له لا عليه، ودلالة على تسامح مذهبي دأبت عليه الدولة الأيوبية في رسم سياساتها، والا لكان أشار في مسكوكاته أو سمح بذكر ذلك في الخطبة حتى في درهميه اللذين صرح من خلالهما بطموحه لم يشر إلى انتمائه المذهبي، فقد غامر بنعت نفسه بخليفة المسلمين وهو أمر ولاشك أكبر من تصريحه بانتمائه إلى المذهب الاسماعيلي، وهذا يجعلنا نتحفظ كثيرا عما قيل عنه في هذا السياق .

كما لم يفته توظيف اسمه (اسماعيل) اعلاميا مسبوقا بالعبارة ( أبوالفدا) [62]، تيمننا واقتداءً بسيدنا إسماعيل عليه السلام الذي سلم أمره لله طائعا وممتثلا لرؤيا أبية إبراهيم عليه السلام . وهذه الكنية لم تذكرها اغلب

المصادر التاريخية، سجلتها المسكوكات مما يوكد أهميتها في توثيق مالم يوثقه المؤرخون على الرغم من صغر حجم المسكوكة.

لعل قلة خبرة المعز إسماعيل في إدارة شؤون الملك جعل الخزرجي يصفه بتقريب أهل اللهو من الشعراء والمتمسحرين وركونه إلى مستشاريه من النساء والعبيد[63]، ولم تناقش المصادر الاسباب والدوافع الحقيقية لقيام المعز بذلك. كما ذكر بعض المؤرخين بطشه وقسوته وتجسيد هذا الامر، بدءً بقتله الأمير القاضي الأسعد أمير حرض بعد معرفته بخبر موت والده، وهو في طريق العودة لتولي الحكم في ذي القعدة سنة 593هـ الذي لم يحسن استقباله في طريق الذهاب[64]. تلاها قتله الأمير الهمام أبي زبا _ والي صنعاء من قبل طغتكين _ في محرم سنة 594هـ بعد أن قدم إليه إلى تعز، مقدما فروض الولاء والطاعة.

انصب بطشه على العسكريين مما أدى إلى انشقاقات داخل المؤسسة العسكرية التي كان قادتها من الاكراد والتجائهم إلى عدوه التقليدي الإمام عبد الله بن حمزة (593-614هـ/ 1196-1217م) الذ ي استوعبهم، بل وقلدهم مناصب قيادية في قواته، أو إلى لجوئهم إلى غيره، ومن أبرزهم:

**حكو بن محمد الكردي**: قائد عسكري عينه المعز مع الشهاب الجزري والي صنعاء سنة 594هـ، وانشق بسبب خوفه من مكيدة الشهاب الجزري به لدى المعز بعد أن حدث بينهما خلاف [65]، وقتل أثناء قتاله للمعز في معركة دارت رحاها في كتاب [66]سنة (595هـ / 1198م )[67].

**شمس الخواص**: (صاحب بابه وبيته واليه أمر الجند كله)[68] خرج على المعز لعداوة كانت بينه وبين خادم المعز الشهاب رشيد الذي حسن للمعز قتله بالسم، هرب بعد علمه بالمكيدة مع ستمائة من جنوده[69]، ثم استطاع مجموعة من جنوده القبض عليه أثناء محاولته السيطرة على تهامة وتسليمه للمعز الذي نفاه إلى جزيرة دهلك وبقي بها حتى وفاته[70].

**هلندري** : من أتباع طغتكين نفاه إلى الشام خوفا منه لطموحه، عاد في عهد المعز، واختلف معه، ولكن سرعان ما عفا عنه واقطعه حرض والأخموس وصعدة[71].

**هشام الكردي** : الذي يرجع المؤرخون خروجه نتيجة خوفه من بطش المعز أثناء تواجده في صنعاء سنة (595هـ/ )[72]،التجأ الى الإمام ولم يقاتل في صفوف عسكره، ثم التحق بصفوف الجيش الايوبي بعد مقتل المعز[73] .

**وردسار**: رافق المعز في أغلب معاركه وحملاته العسكرية [74]، وقد انشق نتيجة خلافه مع المعز في عدن، فخاف القتل، ملتجئا إلى الإمام في نهاية حكم المعز، وعاد إلى صفوف الجيش الأيوبي بعد مقتله[75].

**سنقر المعزي**: ويعد آخر المنشقين على المعز، وقد اختلف معه لقتل الأخير رهائن أهل قدم [76]، كما كان بينهم خلاف سابق، فخاف سنقر على نفسه وأفسد عليه مجموعة من الجند كانوا يغيرون على المعز[77]، وبدأ بمراسلة الإمام عبد الله بن حمزة واثناء ذلك قتل المعز، فعاد إلى صفوف الجيش الايوبي[78].

يتضح من مجمل الروايات التاريخية بأن انشقاق عدد من قادة المعز العسكريين كان بسبب خوفهم من بطش وقسوة المعز، على الرغم من أن الاسباب التي ذكرها مؤرخونا لم تكن مقنعة لمثل هذا الانشقاق، وتفسير ذلك – بحسب اعتقادي– إما بسبب عدم معرفة المعز بأسلوب التعامل مع رجال دولته من أرباب السيف الذين أسهموا في بسط نفوذ الأيوبيين في عهد والده طغتكين و تقديرهم ووضعهم في المكانة التي تليق بهم، أو نتيجة لأطماع بعض القادة العسكريين بالسلطة، اعتقادا منهم بأنهم الأحق في حصاد النصر الذي تحقق بهم في زمن أبيه طغتكين، كما أنهم ربما كان لهم دور في حمل أبيه عليه لاتخاذه سياسة مغايرة واسلوب في القيادة ابتدأت بوادره عند ما عهد إليه ببلاد كوكبان والظاهر، كما هو الحال مع هلندري الذي نفاه والده طغتكين إلى الشام لشعوره بأطماعه وطموحه بالملك[79].

ومهما يكن من أمر وأيَّ كانت الأسباب وراء ما أقدم عليه المعز من سياسة اتسمت بالبطش والقسوة على قادته العسكرين يظل الأمر مرتهن بسوء منهجه السياسي في إدارة شؤون الدولة، لكن التفسير الذي قدمه لنا المؤرخون لا يعد مقنعا في اتخاذ تلك الإجراءات التي تمت بالفعل، ولعل اختلاف المعز مع والده يكون وراء السبب الحقيقي لردود الفعل من المعز فيما بعد والتي لم تفصح عنها المصادر والوثائق المتيسرة، أو ربما كان سبباً في اتخاذ القادة العسكريين موقفاً من المعز على ما قام به قبل توليه الحكم أو ما أقدم عليه من إجراءات اتسمت بالقسوة والبطش بعد توليه الحكم .

لكن الادعاءات التي أطلق المؤرخون لها العنان كان الهدف منها إعلامي سياسي بدرجة أساس وليس توثيقا لمواقف حدثت بالفعل،وكان سببها الرئيس ادعاء المعز اسماعيل الخلافة، كما سبق أن تبين في ثنايا البحث.

## نتائج البحث:

نظراً إلى غموض شخصية المعز إسماعيل بن طغتكين قبل توليه الملك، وما اسهب به المؤرخون من توصيف لشخصيته والتي اوصلوها إلى حد ادعائه الالوهية، كان لابد من استنطاق بعض الوثائق، علها تؤكد أو توضح أو تقرب الصورة الحقيقية لعهده سياسيا ومذهبيا، وبناءً على ذلك ومن خلال البحث فيما نقش من المأثورات الخطية على المسكوكات التي ضربت في عهده خلص البحث الى مايأتي:

1- من خلال النقوش الخطية على سلسلة متصلة من المسكوكات لسنوات حكم المعز حتى سنة597هجرية تبين الآتي:

أ- عدم ترك المعز لمذهب اهل السنة وميله للمذهب الإسماعيلي رسميا.

ب- إستمرار ولاء المعز لشرعية الخلافة العباسية حتى سنة 597هجرية بنقشه اسم ولقب الخليفة العباسي على مسكوكاته.

ج- إدعاء المعز الخلافة، وانتسابه للأمويين كان في أواخر سنة 597هجرية، وهو ما رجحته المسكوكات فهناك اصدران خلال عام 597هجرية الأول لايزال فيه المعز تحت مظلة الخلافة العباسية، أما الثاني فقد خلع من خلاله طاعة العباسيين، بل نازعهم في الخلافة وانتسب للأمويين.

2- لعل قلة خبرة المعز في إدارة شؤون الدولة وطموحه في الخلافة الذي بدا واضحا منذ السنوات الاولى لحكمه وسجلته المسكوكات في اتخاذه لعدد من الألقاب التي تؤيد فكرة طموحه الذي كان سببا رئيساً في نهاية حكمه.

3- يعد المعز اسماعيل بن طغتكين (593-598هـ/ 1197-1202م) أول ملوك بني أيوب في اتخاذه تعز عاصمة سياسية واقتصادية فعلية. رغم أن إعلان اتخاذها عاصمة سياسية كان في عهد توران شاه (569-576هـ/ 1174-1180م).

4- تعز بصفتها داراً لضرب السكة بدأت نشاطها في عهد الملك المعز إسماعيل (593-598هـ/ 1197-1202م) والدراهم المضروبة في تعز سنة 594هـجرية عدة أول اصدار لهذه الدار.

5- تميز شكل الدراهم والفلوس المضروبة وتفردها في عهد المعز اسماعيل، وعدم ظهور دنانير تنتمي لفترة المعز اسماعيل إلى الآن (على حد علم الباحث).

6- نقشت مسكوكات المعز اسماعيل بالخط الكوفي في اواخر مراحل تطوره.

## ملحق اللوحات والأشكال والجداول

### اللوحـــــــات والاشـــــكال

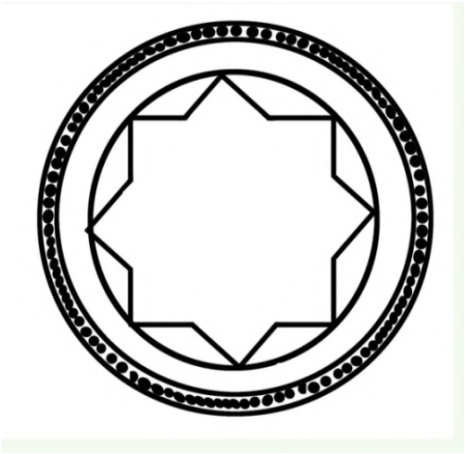

شكل (1) التصميم العام لمسكوكات المعز

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | الراء |
| | | | | | الميم |
| | | | | | النون |
| | | | | | الواو |

شكل (2) نماذج لنهايات بعض الحروف المورقة الأفعونية التي توشحت بها مسكوكات المعز

| | |
|---|---|
| | |
| لوحة (1) درهم ضرب تعز سنة594هـ، جدول المسكوكات تسلسل (1) | شكل (3) درهم ضرب تعز سنة594هـ |

| | |
|---|---|
| | |
| لوحة (2) درهم ضرب تعز سنة 597هـ قبل إعلان المعز خروجه عن الخلافة العباسية جدول المسكوكات تسلسل (16) | شكل (4) درهم ضرب تعز سنة 597هـ قبل إعلان المعز خروجه عن الخلافة العباسية |

| | |
|---|---|
| | |
| لوحة (3-ا) درهم ضرب تعز سنة 597هـ<br>بعد خروج المعز عن الخلافة العباسية<br>جدول المسكوكات تسلسل (18) | شكل (5-ا) درهم ضرب تعز سنة 597هـ<br>بعد خروج المعز عن الخلافة العباسية |

| | |
|---|---|
| | |
| لوحة (3-ب) درهم ضرب تعز سنة 597هـ<br>بعد خروج المعز عن الخلافة العباسية<br>جدول المسكوكات تسلسل (19) | شكل (5-ب) درهم ضرب تعز سنة 597هـ<br>بعد خروج المعز عن الخلافة العباسية |

## جدول بمسكوكات المعز إسماعيل بن طغتكين

### المأثورات الخطية – مجموعة الدراسة

| تسلسل | مكان الضرب وسنته هجرية | المعدن | مأثورات لصاحب السكة | مأثورات لغير صاحب السكة | مأثورات د ينية | رمز المصدر |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | تعز-594 | فضة | الملك المعز نصير الدنيا الدين سلطان المسلمين إسماعيل بن طغتكين | الإمام الناصر لدين الله احمد امير المومنين | بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه | خ |
| 2 | تعز-594 | = | = | = | = | B.931 |
| 3 | تعز-594 | = | = | = | = | B.S.Lot4898 |
| 4 | تعز-594 | = | = | = | = | |
| 5 | زبيد-594 | = | = | = | = | B.935 |
| 6 | عدن-594 | = | = | = | = | B.939 |
| 7 | تعز-595 | = | = | = | = | B.932 |
| 8 | تعز-595 | = | = | = | = | DY.16 |
| 9 | زبيد -595 | = | = | = | = | B.936 |
| 10 | عدن-595 | = | = | = | = | B.940 |
| 11 | صنعاء-595 | = | = | = | = | B.938 |
| 12 | (بدون)-595 | نحاس | الملك المعز نصير الدنيا والدين اسماعيل بن طغتكين | الإمام الناصر لدين الله احمد امير المؤمنين | لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه | B942 |

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 13 | تعز-596 | فضة | الملك المعز نصير الدنيا الدين سلطان المسلمين إسماعيل بن طغتكين | الإمام الناصر لدين الله أحمد أمير المؤمنين | بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه | B933 |
| 14 | زبيد-596 | = | = | = | = | B.937 |
| 15 | عدن- 596 | = | = | = | = | B.941 |
| 16 | تعز -597 | = | = | = | = | خ |
| 17 | تعز -597 | = | = | = | = | B.934 |
| 18 | تعز-597 | = | الامام الهادي الى الحق بنورالله امير المؤمنين ابو الفدى اسماعيل بن طغتكين الاموي | _____ | بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه | خ |
| 19 | تعز-597 | = | = | _____ | = | B.S.Lot4899 |

| الرمز | المصدر |
|---|---|
| خ | مجموعة خاصة ( مجموعة الحاج محمد قاسم الدبعي)المعروضة بمؤسسة السعيد للثقافة والعلوم. |
| B | Balog,Paul:The Coinage of the Ayyubids.Landoon,1980. |
| B.S | A.H. Baldwin & Sons Ltd: Islamic Coin Auction 24 9 May 2013. |
| DY | Robert E.Darlay-Doran: Examples of Islamic coins form yemen. |

## الهوامش والإحالات :

1) طرخان، إبراهيم علي: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي، القاهرة،1968، ص45.

2) للمزيد انظر: ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الجزء الثالث، نشر جمال الدين الشيال، المطبعة الاميرية، القاهرة 1957م،ص137. الخزرجي، شمس الدين أبو الحسن علي: العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوط مصور، دار الفكر، دمشق، صورة ثانية، 1981م، ص 172-173. الدوادري، أبو بكر بن عبد الله: كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السابع المسمى" الدر المطلوب في أخبار بني أيوب "، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة 1972م. ص371 . بامخرمه، أبو الطيب عبد الله بن عبد الله بن أحمد: تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها، اعتنى به على حسن علي الحلبي، دار الجيل، بيروت 1987م، ص2/ 29-30 . ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي : الفضل المزيد على بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد، تح/ يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة – بيروت، 1983م، ص84. الحنبلي، احمد بن إبراهيم: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم شاكر، بغداد،1979م، ص371.

3) ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي: تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء، طبعة ثانية، 1985م، ص135. الخزرجي : العسجد، ص105، الأكوع، إسماعيل بن علي: المدارس الإسلامية في اليمن، نشر جامعة صنعاء، طبع دار الفكر، دمشق 1980م، ص10.

4) ولايته لبلاد الظاهر وكوكبان ذكرتها المصادر اليمنية، ابن حاتم: بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد اليامي: السمط الغالي الثمن في اخبار الملوك من الغز في اليمن، تحقيق د. ركس سمث، جامعة كمبردج، لندن 1974. ص43 . ابن الحسين، يحيى بن الحسين بن القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، 1968م. ص33. الكبسي، محمد إسماعيل: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، القاهرة، مطبعة السعادة، 1984م،ص30. زباره، محمد بن محمد: أئمة اليمن، مطبعة الناصر، تعز، 1952م.1/ 12. في حين تذكر المصادر العربية الأخرى بأن ولايته كانت على صنعاء، أبو شامه، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل: الروضتين في اخبار الدولتين، (الجزء الثاني) مخطوط، مطابع وادي النيل بمصر،1288ه، ص 182، ابن واصل : مفرج الكروب، 3/ 348.

5) التكريتي، محمود ياسين: الأيوبيون في اليمن تاريخهم السياسي (569-626هـ/ 1174-1226م)، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد12، 1980م، ص121.

6) الخزرجي : العسجد 173، بامخرمه: تاريخ ثغر عدن، 2/ 19.

7) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص79. ابن حاتم : السمط، ص43. ابن الحسين: غاية الأماني،1/ 340.خرج المعز مغاضبا لابيه مرتين الأولى: إلى بغداد بعد اعفائه من لاية كوكبان، والظاهر سنة 587هـ، والثانية: سنة 593هـ وكان لايزال في حرض عند وصول خبر موت أبيه للمزيد أنظر: أحمد، محمد عبد العال: الأيوبيون باليمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1980م،ص150،151، السروري، محمد عبده محمد:الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة، وزارة الثقافة والسياحة،صنعاء2004م،ص300،301.

8) ابن حاتم : السمط، ص42.

9) ابن الحسين: غاية الاماني،1/ 340.

10) الخزرجي: العسجد،142، ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي بن الديبع الشيباني: قرة العيون في أخبار اليمن الميمون تحقيق محمد بن علي الاكوع، المطبعة السلفية، القاهرة، (د.ت)، ص404. بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، 2/ 51.

11) ابن حاتم: السمط، ص85.

12) ابن الحسين: غاية، 1/ 342،346،348 . زبارة: أئمة اليمن، ص118،120.

13) السروري: مظاهر الحضارة، ص301.

14) ابن عبدالمجيد : بهجة، ص80، ابن حاتم : السمط،ص82، العرشي، حسين بن أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام في تولي ملك اليمن من ملك وإمام، عني بنشره الأب انستانس الكرملي، القاهرة 1939م، ص41.

15) انظر جدول بمسكوكات المعز – مجموعة الدراسة.

16) ابن الحسين: غاية الأماني،1/ 340.

17) انظر جدول بمسكوكات المعز، ماضرب بتعز من مجموعة مسكوكات البحث ( 11 ) مسكوكة من أصل (19) مسكوكة أي بنسبة( 58 ٪) تقريبا.

18) انظر: جدول بمسكوكات المعز.

19) تعادل (42أ2غم) هنتس، فلتر: المكاييل والاوزان الإسلامية، وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة:كامل العسلي،مطبعة القوات المسلحة الاردنية، عمان،1970،ص10.

20) انظر شكل(1).

21) انظر شكل(2).

22) ظهر لحد الان درهمان الاول نشره : A.H. Baldwin & Sons Ltd: Islamic Coin Auction 24 9 May 2013

والثاني محفوظ ضمن مجموعة خاصة بالحاج / محمد قاسم الدبعي والمعروضة بمؤسسة السعيد للثقافة والعلوم – تعز. سيشار إلى هذه المجموعة فيما بعد بـ ( مجموعة خاصة).

23) الدرهم محفوظ ضمن ( مجموعة خاصة).

24) الدرهم محفوظ ضمن مجموعة خاصة.

25) محفوظ بمتحف الآثار بعدن نشره:

Balog, Paul: The Coinage of the Ayyubids, London, 1980.NO.(942).

26) أنظر جدول بمسكوكات المعز.

27) وهو الزعيم الأعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة، يرجع ظهور اللقب على النقود في العصر الإسلامي إلى أواخر القرن الرابع الهجري، فقد نقش على مسكوكات بنى ساما1، كذلك أطلق لقب (الملك)على وزراء الدولة الفاطمية ، تلقب به صلاح الدين عندما عين وزيرا للعاضد وقد ظل يلقب به إلى جانب ألقابه الأخرى ، كما أن اللقب جاء للدولة الأيوبية عن طريق الخلافة العباسية التي عدت لقب (الملك) مصطلحاً يطلق على الأمراء المستقلين التابعين لها. نقش لقب (الملك) على سكة سلاطين الدولة الأيوبية وكذلك على سكة الولاة في أقاليم الدولة، كما أطلق على ولاة العهد ونقش على سكتهم . ونقشه على سكة المعز يتماشى مع ما كان سائدا ابان الدولة الايوبية كون أقليم اليمن أحد من الأقاليم الخاضعة للحكم الايوبي،القلشندي، أبي العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء الخامس، نسخة مصورة عن المطبعة الاميرية، القاهرة 1963م، ص447و 485 . الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، لجنة البيان العربي، منشورات دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م، 497-499.

28) كان نعتا خاصا لجماعة من أهمهم معد أول الخلفاء الفاطميين الذي نعت (بالمعز لدين الله)، وكذلك ايبك التركماني أول من ولي مصر من المماليك، وما تجدر الاشارة اليه أن المعز كان اسما لابن باديس لا لقبا وقد اضيف إلى اللفظ بعض كلمات لتكوين ألقاب مركبة، مثل (معز الدولة، معز الدين)، ويعد من اشهر القاب إسماعيل بن طغتكين ونقش على جميع مسكوكاته، الباشا: الألقاب الإسلامية، ص 476.

29) الباشا،: المصدر نفسه،ص533.

30) الباشا، المصدر نفسه، ص326-327.

31) الدينار محفوظ بجمعية النميات الامريكية نشره :

Lane-Pool, S.: Catalogue of Oriental Coins in the Britsh MuseumVOL.5. London, 1875 No. (254a).

(32 Balog, Paul: OP.cit., NO(96).

33) بهاء الدين أبو الفضل يوسف بن يحيى بن محمد بن علي بن محمد بن علي القرشي الأموي الدمشقي الشافعي، ولد بمدينة دمشق عام651ه، تتلمذ على كبار علماء الشام ومصر وحاز على شهرة علمية فاق بها جميع آل الزكي وقتئذ، توفي في دمشق في ذي الحجة عام 681ه .السبكي،تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، الجزء الثامن،القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، 1992م،، ص365؛ الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن:طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري، الجزء الثاني، بغداد مطبعة الارشاد،1972م، ص10.

34) أبو شامة: الروضتين، ص111-112.، الدوادري: كنز الدرر، 7/ 88.

35) وعزم على قصد مكة، وجهز من بنى له دارا، فأسرهم الشريف أبو العز قتادة.المقريزي، تقي الدين بن احمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول، صححه ووضع حواشيه مصطفى زيادة، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة، 1934م ص142.

36) انظر جدول بمسكوكات المعز تسلسل (18-19).

37) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص80.

38) المقريزي: السلوك، 1/ 143.

39) المقريزي: السلوك، 1/ 159.

40) الخزرجي، العسجد، ص174.

41) المقريزي: السلوك، 1/ 143،أحمد، محمد عبد العال: الأيوبيون باليمن، ص154.

42) الدوداري: كنز الدرر، 7/ 132.

43) السمط: ص69.

44) الخزرجي: العسجد،ص173.

45) محمد بن أيوب بن شاذي: الملك العادل سيف الدين أبو بكر وكنيته أشهر من اسمه، ولد سنة 539هـ وقيل 540هـ. للمزيد انظر- . أبو شامة : الذيل على الروضتين، ص111. ابن تغري بردي جمال الدين ابي المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،الجزء السادس، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة (د.ت)، ص 160. . الحنبلي : شفاء القلوب، ص 200 وما بعدها . ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين : الكامل في التاريخ، ج12، دار صادر بيروت، 1966،ص 97-98، 351، 352 . المقريزي: السلوك : 1/ 124-125 .

46) ابن واصل: مفرج، 3/ 137، المقريزي:1/ 160. ابن الاثير، الكامل: 12/ 61.

47) ابـن عبـد المجيـد: بهجـة، ص80.ابـن حـاتم: السـمط،ص96. المقريـزي: السـلوك،1/ 143.الخزرجـي: العسجد،ص173.الدوداري: كنز الدرر،7/ 132.

48) الدوداري: كنز الدرر، 7/ 132.

49) بامخرمه: تاريخ ثغر عدن،2/

50) ابن الحسين: غاية،1/ 356.

51) المقريزي : السلوك، 1/ 143.، ابن الحسين: انباء الزمن، ص57.

52) الحنبلي: شفاء القلوب، ص 372 . احمد، محمد عبد العال: الايوبيون باليمن، ص154.

53) المقريزي:السلوك/ 1/ 143.الخزرجي: العسـجد، 173. ابـن الفـرات: تـاريخ الـدول،8/ 92. الحنـبلي: شـفاء القلوب ص372.ابن الديبع: عبد الرحمن بن علي: الفضل المزيد على بغيـة المسـتفيد في اخبـار مدينـة زبيـد، تحقيـق يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة – بيروت،1983م، ص84 . ابن الحسـين: غاية،1/ 356.

54) الجندي: أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب: السلوك في طبقـات العلـماء والملـوك، تحقيـق محمـد الأكوع، الجزء الثاني، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م،ص535 .

55) الخزرجي: العسجد،ص173.

56) ابن الجسين: غاية،1/ 338.

57) بامخرمه: تاريخ ثغر عدن، 2/ 20.

58) ابن حاتم: السمط، ص70، الشرفي، احمد بن محمد بن صلاح : اللآلئ المضـيئة الملتقطـة مـن اللواحـق النديـة في أخبار أئمة الزيدية،المجلد الثاني (مكتبة الجـامع الغربيـة، رقـم 107 تـاريخ) ورقـة 133ب. زبـاره: ائمـة الـيمن، ص121. احمد،عبد العال محمد: الايوبيون،ص160.

59) ابن الحسين: غاية 1/ 342. زبارة: أئمة اليمن، ص114.

60) الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقـوب: السـلوك في طبقـات العلـماء والملـوك، تحقيـق محمـد الأكوع، الجزء الأول، وزارة الثقافة والاعلام، صنعاء، الطبعة الأولى، 1982م، ص436.

61) السروري: مظاهر الحضارة، ص320.

62) انظر نصوص هامش الظهر لوحه (3-أ،ب) و شكل (5-أ، ب ) .

63) الخزرجي: العسجد،ص173 .

64) ابن حاتم: السمط، ص44.

65) ابن حاتم: السمط، ص46

66) بكسر ففتح، قرية كبيرة في منطقة اريان من بلاد يريم، المقحفي إبراهيم محمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية،( الجزء الثاني) صنعاء، دار الكلمة، ط 2002م،ص 1323.

67) ابن الحسين: غاية،1/ 383.

68) ابن حاتم : السمط، ص49.

69) ابن حاتم: السمط، ص49-50.

70) ابن الحسين: غاية، 1/ 346.

71) ابن حاتم : السمط، ص67. أحمد،عبد العال محمد: الأيوبيون، ص158، السروري: مظاهر الحضارة، ص316.

72) ابن حاتم : السمط، ص48. احمد،عبد العال محمد: الايوبيون، ص 162-163.

73) ابن حاتم : السمط، ص66، السروري: مظاهر الحضارة، ص313.

74) ابن حاتم : السمط، ص66، السروري: مظاهر الحضارة، ص317.

75) ابن حاتم : السمط، ص95-96، السروري: مظاهر الحضارة، ص318.

76) ابن حاتم : السمط، ص69، ابن الحسين: غاية، 1/ 356. احمد،عبد العال محمد: الايوبيون، ص177.

77) ابن حاتم : السمط، ص80، ابن الحسين: غاية، 1/ 356. احمد،عبد العال محمد: الايوبيون، ص178-179.

78) ابن حاتم : السمط، ص81.

79) السروري: مظاهر الحضارة، ص315.

# النظام الانتخابي و تأثيره على الأحزاب في المجتمع اليمني

أ.م.د محمد الكامل*

**مقدمة:**

تمثل الانتخابات شرطاً أساساً للنظام الديمقراطي؛ فلا ديمقراطية من دون انتخابات تعمل على تداول السلطة، وإدارة الصراع السياسي سلمياً، بعيداً عن الانقلابات والاغتيالات والتوريث، عبر مشاركة الأفراد في اختيار من يمثلهم، في ظل تعددية سياسية وحزبية، وسيادة النظام والقانون، واحترام الحقوق والحريات.

وإجراء الانتخاب ليس كافياً للديمقراطية؛ لأن الانتخابات وحدها لا تُجسد الديمقراطية، بدون الالتفات إلى النظام الانتخابي، والطريقة والأسلوب الذين تدار بهما عملية الانتخابات، والحقوق الانتخابية التي يتمتع بها المواطن، ومدى حقوق المشاركة وإتاحة الفرص أمام الجميع.

فوظيفة الانتخابات هي اختيار الشعب بحرية لمن يحكم، وبذلك تكون الانتخابات الدورية الحرة والنزيهة آلية ومدخلاً للنظام الديمقراطي[1]، ولكي تضفي الانتخابات الديمقراطية الشرعية على النظام السياسي، وتساعد على تمثيل القوى السياسية والاجتماعية لتشارك في صنع القرار.

والعلاقة بين الأحزاب السياسية والعملية الانتخابية علاقة تاريخية، مرت بمراحل مختلفة؛ إذ كانت الأحزاب في البدء عبارة عن منظمات انتخابية، وظيفتها تأمين فوز مرشحيها، فكانت الانتخابات هي الغاية

* أستاذ علم الاجتماع المشارك-جامعة صنعاء.

والأحزاب هي الواسطة، وبعد ذلك أصبحت الانتخابات تؤدي دوراً مؤثراً في نمو الأحزاب، وأصبحت الأحزاب غاية والانتخابات هي الوسيلة[2].

لتغدو العلاقة بين الأحزاب السياسية والعملية الانتخابية الديمقراطية علاقة وثيقة؛ إذ لا يمكن تصوَّر نظام ديمقراطي من دون تعددية سياسية حزبية، تكون الأحزاب السياسية حلقة الوصل بين الحاكم والمحكومين، لتنظم العلاقات التي تقوم بين الهيئة الناخبة ومجموع من يمثلهم، عبر مراحل متعددة تبدأ من اختيارهم، وعزلهم أو انتهاء مدة نيابتهم[3].

وتقوم الأحزاب بالاتصال والتواصل مع المواطنين "الاتصال السياسي"، وبما أن الأحزاب هي تنظيمات تسعى وتهدف إلى الوصول إلى السلطة وتهدف إليها لتنفذ برامجها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ فإن الانتخابات تكون وسيلتها للوصول إلى هدفها في الأنظمة الديمقراطية، ولأجل كسب التأييد الشعبي تقوم بالتجنيد والتعبئة السياسية، وبالتثقيف السياسي؛ لتوسيع المشاركة السياسية، وللأحزاب دور مهم في عملية الانتخابات، عبر مراحلها المختلفة من الترشيح والحملات الدعائية، وكذلك الرقابة على سير الانتخابات، وعبر التكفل بالنفقات الباهظة للانتخابات.

وواقع الحال بالنسبة إلى الانتخابات في البلدان النامية، أنها تضفي مصدراً للنـزاع السياسي والقضائي بين الحاكم والأحزاب المعارضة، وعاملاً لزيادة الاحتقان السياسي والاجتماعي، وفي الإجراءات الانتخابية كافة، فإنها لا تخلو من التنازع؛ بدء من تشكيل اللجنة العليا إلى اللجان الانتخابية إلى إعلان النتائج[4]. فتستعمل الانتخابات آلية لتحديث الطبيعة التسلطية للحزب والنخبة الحاكمة، وبقائها، وإضفاء شرعية زائدة عليها عبر التزوير والتلاعب بالنتائج، وتبني نظام انتخابي يضمن الفوز للحزب الحاكم، وإضعاف المعارضة؛ بجعلها عديمة القدرة على أداء دورها[5]، ليتحول النظام الانتخابي إلى وسيلة لكبح الأحزاب المعارضة وإسكاتها، وتبدأ المطالبات بإصلاح النظام الانتخابي بصفته مدخلاً وأولوية لعملية الإصلاح السياسي، و يراعى عند اختيار النظام الانتخابي أو تغيره، اسهامه في تطوير النظام الديمقراطي والعمل على استقرار المجتمع؛ بحيث لا يتحول إلى معيق لإحداث التحولات الاجتماعية، وقرار تحديد النظام الانتخابي مهم لما يترتب عنه من نتائج على الحياة السياسية والحزبية، ومن ثم على الانتقال

الديمقراطي، وتحقيق الأهداف المراد منها، بوضع الوسائل والحلول الكفيلة لتلافي السلبيات التي تعيقها، فلا يوجد نظام واحد يشكِّل حلاً ناجعاً يمكن اعتماده عليه دون الأخذ في الحسبان السياق الاجتماعي والسياسي للمجتمع، وهنا تكمن أهمية موضوع الدراسة فضلاً عن الكشف عن خصائص النظام السياسي اليمني.

ما تأثير النظام الانتخابي بالدائرة الفردية على الأحزاب في اليمن؟ هذا التساؤل الرئيس لإشكالية الدراسة، نتناوله بعرض جوانب من إيجابيات النظم الانتخابية المتنوعة وسلبياتها ؛ وتقييم نتائج التجارب الانتخابية في الجمهورية اليمنية، بالتركيز على الإشكاليات الناجمة عن النظام الانتخابي الفردي في محاولة الوصول إلى النظام الانتخابي المناسب، الأكثر ديمقراطية الذي يلبي توسيع المشاركة السياسية لأطياف المجتمع كافة، وعدم احتكار السلطة التشريعية من قبل أصحاب النفوذ وما يجعلها غير معبرة بواقعية عن احتياجات المجتمع وطموحاته وتعدده.

تهدف الدراسة إلى كشف العلاقة بين الأحزاب والنظام الانتخابي العام خلال المدة من 1990م إلى 2015م، وهي مدة كافية للتقييم، والاعتماد على نتائج الانتخابات السابقة لتعطي فكرة واضحة لتأثير النظام الانتخابي على الأحزاب السياسية، وباستعمال المنهج الوصفي للتشكيلة الحزبية في المجلس النيابي، ودور النظام الانتخابي في وضع ملامح الخارطة السياسية والحزبية التي تشكَّل منها البرلمان، ومن ثم دور النظام الانتخابي في تعزيز عملية الانتقال الديمقراطي.

ومن تحليل نتائج الانتخابات العامة، يبرز طبيعة النظام السياسي اليمني، ومسار الانتقال الديمقراطي، كون النواب ممثلين للشعب ومنتخبين منه، ومعبرين عن إرادته، ويقومون بالتشريع والرقابة فضلاً عن دعم شرعية الحاكم[6]. فيسهل التعرف على الكيفية التي تشتغل وفقها الآلية السياسية في المجتمع اليمني.

قسم موضوع الدراسة إلى:

أولاً: الأنظمة الانتخابية وتأثيرها على الأحزاب السياسية.

ثانياً: النظام الانتخابي اليمني وتأثيره على الأحزاب اليمنية.

**أولاً: الأنظمة الانتخابية وتأثيرها على الأحزاب السياسية:-**

يمثل النظام الانتخابي أهمية كبيرة في دعم التحول الديمقراطي أو اعاقته، كما يقوم بدور تقييمي للتجربة الديمقراطية، ويتوقف نجاح النظام الانتخابي على ما يحققه من عدالة في تمثيل القوى السياسية والاجتماعية في مناخ تعددي تنافسي يساعد النظام الانتخابي الأحزاب على أداء دورها في توسيع المشاركة السياسية، والتداول السلمي للسلطة والحفاظ على الاستقرار السياسي، ومن خلال النظام الانتخابي الفاعل يكرس الثقافة الديمقراطية وقيم الحوار والتسامح، ويوفر قدراً من الضمانات التي تكفل للأحزاب انتخابات حرة ونزيهة[7].

ويتجسد النظام الانتخابي في القواعد القانونية المنظمة للانتخابات، والتي تختلف بالزمان والمكان؛ لأنها تعكس الطبيعة العميقة للأنظمة السياسية التي تطبقها؛ لذلك من الصعب تحليلها، بعيداً عن تفكيك بنية النظام السياسي لفهم توجهاته العامة، وكذلك الاعتقاد بأن النظم الانتخابية، ومختلف أشكال الاقتراع؛ تهدف دائماً إلى إقرار أحسن تمثيل للناخبين، بينما تبدو العملية الانتخابية في الغالب تتويجاً لمجموعة من العلاقات القائمة على التحالفات بين القوي السياسية، وتصورات متعارضة تهدف في إطار رؤية مباشرة، إلى إعطاء دلالة للانتخابات؛ ولعل هذا ما تؤكده التطورات التي عرفتها النظم الانتخابية في مختلف الدول، وتوضحه -أيضاً- الصعوبات القائمة أمام تحقيق النموذج الديمقراطي بواسطة الانتخابات؛ خاصة ما يرافق هذه العملية من أساليب تقنية وتحايل، وتنوع الأنظمة الانتخابية يفرض القيام باختيار نظام معين من بين هذه الأنظمة؛ مما يجعل القوانين الانتخابية التي يتم بواسطتها الحسم في طريقة الاختيار غير محايدة، لأنها تهتم بالمُنتخبين؛ هؤلاء الذين يكون اهتمامهم، بطبيعة الحال، منصباً على المحافظة على مقاعدهم البرلمانية، وهو ما يجعل إصلاح النظم الانتخابية يثير مسألتين هامتين؛ تتعلق الأولى: بالتأثير السياسي لمختلف الأحزاب السياسية، وتتعلق الثانية: بمدى استمرارية هذه الأحزاب، وفاعليتها في الحياة السياسية.

ومن هذا المنطلق يسهل فهم أسباب اختلاف مواقف الأحزاب إزاء النظم الانتخابية، فالمؤيدون للتمثيل النسبي يصنعون في المقدمة فكرة العدالة التي يسعى هذا الأسلوب إلى تحقيقها؛ لتمثيل مختلف

التكوينات الاجتماعية والقوى السياسية، أما خصوم التمثيل النسبي فقد اعتبروا أن قانون الأغلبية هو من بين هذه الأفكار البسيطة التي تم قبولها دفعة واحدة، ذلك أن التمثيل النسبي في نظرهم يبقى وهماً ومبدأً خاطئاً، ولا يزال النقاش حول مزايا النظم الانتخابية المختلفة وعيوبها بارزاً، فتجليات هذا النقاش تتضح بشكل ملموس على المستوى العملي، فإذا كانت بعض الأنظمة تأخذ الاقتراع بالأغلبية، وبعضها تأخذ بالتمثيل النسبي، فإن هنالك أنظمة تمزج بين الاقتراع بالأغلبية والتمثيل النسبي في محاولة منها للتخفيف من عيوب النظامين، وتأخذ بالنظام المختلط، ويمكن تجميع النظم الانتخابية في مجموعات رئيسية كما يأتي:

1 **نظام التمثيل بالأغلبية**

تندرج تحت هذه المجموعة عدة أنظمة؛ بعضها يأخذ بنظام الأغلبية البسيطة، والبعض الآخر بالأغلبية المطلقة، وأنظمة على الدائرة الفردية لمقعد واحد، أو الدائرة بعدة مقاعد، ونظام الدورة الواحدة أو نظام الدورتين؛ ولا يزال يطبق في أكثر من ثمانين بلداً في العالم[8]. وفي الاغلبية المطلقة عندما لا يحصل أحدهم على الأغلبية المطلقة تعاد الانتخابات بين الأول والثاني، أو يحسم بالأغلبية البسيطة وفي كلتا الحالتين تفقد الأقليات أصواتها، وبذلك يكون نظام الأغلبية محابي للأحزاب الكبيرة على حساب الأحزاب الصغيرة والأقليات؛ فلا تحصل على تمثيل يتناسب مع الأصوات التي تعبِّر عنها.

**أ- نظام الأغلبية البسيطـــة:**

يُعد من أبسط النظم الانتخابية وأقدمها[9]، استعمل هذا النظام قبل ظهور الأحزاب السياسية، وطبق في الانتخابات البرلمانية لانجلترا سنة 1256[10]، ومن مميزاته فضلاً عن بساطته، إمكانية التقدم بالترشيح لأي شخص تُستوفى فيه الشروط المطلوبة في القانون، سواء الحصول على تزكية عدد محدد من توقيعات الناخبين في الدائرة أم التزكية من حزب سياسي بصفته مرشحاً باسمه، فالتنافس بين الأشخاص والأحزاب يكون تنافساً على مقعد مخصص للدائرة الانتخابية في المجلس، ومن ثم على الناخب ترشيح واحد فقط ينوب عنه؛ ويتم الفرز، ويفوز من يحصل من المرشحين على أغلبية أو أكثرية بسيطة، دون ضرورة الحصول على أغلبية مطلقة من الأصوات[11]، ومن بساطة هذا النظام وإيجابيته أن أوراق الاقتراع قصيرة وبسيطة؛ فمن ناحية الناخب يسهل اختيار اسم المرشح للانتخاب أو رمزه، ولاسيما في المجتمعات

التي تنتشر فيها الأمية، وبالنسبة إلى عملية الفرز وعدّ الأصوات أيضاً فإن العملية تكون سهلة وسريعة؛ ويكون التصويت لشخص معين قد يكون مرشحاً عن حزب أو مستقلاً، وهذا يشجع المستقلين الذين لا ينتمون إلى أحزاب سياسية؛ أي الاختيار يكون على أساس شخصي وليس حزبياً – برامجياً- ولأن الانتخاب يجري في دائرة محددة؛ فإنه يجعل العلاقة وثيقة بين النائب عن الدائرة وناخبيه؛ وتؤدي القرابة والعلاقات الشخصية والعائلية، والمكانة الاجتماعية دوراً مهماً؛ حيث تقلص من دور الأحزاب السياسية وتقوي تنظيمات وبنى تقليدية[12]. وإذا كان نظام الدائرة الفردية يحمي ممارسة الناخب لحقه الانتخابي بكامل الحرية، واختيار أفضل المرشحين من وجهة نظره؛ فإنه يسهم في تكوين مناطق نفوذ انتخابية حقيقية، وهذا يجعل الابن أو القريب يرث التمثيل في الدائرة، فضلاً عن أن المال يؤدي دوراً خطيراً في هذا النظام، كما أن نظام الانتخاب بالأغلبية لا يعطي صورة صادقة للتمثيل بين الأحزاب الكبيرة والأحزاب الصغيرة، فيؤدي -أحياناً- إلى المبالغة في تمثيل الأغلبية النيابية على الرغم من عدم حصولها على أغلبية الأصوات. فنظام الأغلبية البسيطة يفوز المرشح الذي يحصل على أعلى الأصوات بين المرشحين مهما قلت نسبة هذه الأصوات من مجموع الأصوات في الدائرة.

**ب- نظام الأغلبية المطلقـــة:**

أو ما يعرف بالجولة الثانية، يعد هذا النموذج من أنظمة الدائرة الفردية، إذ يقوم التصويت في هذا النظام على الأغلبية المطلقة بدلاً من الأغلبية أو الأكثرية البسيطة، ومن سمات هذا النظام أن الانتخابات تعقد في الجولة الأولى بين المرشحين في الدائرة الانتخابية الواحدة، فإذا لم يحصل أحد المرشحين على الأغلبية المطلقة (50٪+1 أو أكثر) من أصوات الناخبين في الدائرة،و في خلال مدة محددة تعقد جولة انتخابية ثانية؛ هذه الجولة تكون محصورة بين اثنين من المرشحين؛ هما اللذان حصلا على المرتبة الأولى والمرتبة الثانية في الجولة الأولى. ويتم الفرز وإعلان النتائج مع نهاية الجولة الثانية، ويقوم الناخب في الدورة الأولى بإعطاء صوته للمرشح الذي يمثل الحزب الذي ينتمي إليه من بين العدد الكبير من المرشحين، لكنه في الجولة الثانية يكون مضطراً إلى التفضيل بين أحد المرشحين المتنافسين على مقعد الدائرة؛ إذ يمثل كل واحد منهما اتجاها أو تيارًا سياسياً، غالبا ما يكون أحدهم يمثل اليسار والآخر يمثل اليمين.

**ج- النمـوذج التفضيلـي :-**

وتأخذ به استراليا في نظامها الانتخابي، وهو يختلف عن النظامين السابقين؛ إذ إن الناخب يحدد تفضيله بالنسبة لعدد من المرشحين في منطقته الانتخابية (دائرته) بالشكل الذي يراه، وهذا النظام يتفق مع النظامين في أنه يقوم على النظام الفردي؛ وفي هذا النظام يقوم الناخب بترتيب أسماء المرشحين في بطاقة الاقتراع رقمياً بحسب تفضيله، فيضع الرقم (1) أمام من يفضل أن يكون في المرتبة الأولى و(2) لمن يرى أن يكون في المرتبة الثانية وهكذا حتى آخر القائمة.

ويتم فرز الأصوات؛ فالذي يحصل على الأغلبية المطلقة يكون هو الفائز؛ إذ يكون قد حصل على التفضيل الأول أو المرتبة رقم (1)، وإذا لم يتحقق ذلك يتم استبعاد المرشح الحائز على أقل عدد من الأصوات في التفضيل الأول، وتوزع أصواته التي حصل عليها لمرشحين آخرين، وهذا في التفضيل الثاني حتى يحصل أحدهما على (50٪+1 أو أكثر) من أصوات الدائرة، ويكون هو الفائز.

يترتب عن الانتخابات بنظام الأكثرية -سواءٌ بالأكثرية البسيطة أم المطلقة- بعضُ الآثار، منها:

يؤدي نظام الانتخاب بالأغلبية إلى بقاء الأحزاب القوية والكبيرة ذات الطابع القومي والبرنامج الوطني، وتتراجع بفعل هذا النظام الأحزاب الصغيرة سواء ذات الطابع المحلي أم الإيديولوجي أم المناطقي؛ ويشجع هذا النظام على اندماج الأحزاب والتحالفات الكبيرة بالذات قبل قيام الانتخابات. ومع مرور الوقت وتعدد الدورات الانتخابية القائمة على نظام الأكثرية فإن ذلك يؤدي إلى انكماش نظام التعدد الحزبي، حتى يصل إلى نظام الثنائية الحزبية أو نظام الحزبين الكبيرين. وذلك لعدم قدرة الأحزاب الصغيرة على المنافسة والحصول على مكانة مناسبة أو التأثير في اللعبة الانتخابية، فضلاً عن تمحور المصالح في اتجاهين؛ الحزب الحاكم من جهة، واتجاه المعارضة من جهة ثانية. ويُرجع البعض لهذا النظام الانتخابي ميزة أنه يخلق تماسكاً داخل النظام السياسي؛ مما يجعله نظاماً أكثر ثباتاً واستقراراً، وتقوم حجتهم على "أن تطبيق هذا النظام لا يسمح بقيام ائتلاف حكومي بين أحزاب متنافرة سياسياً إلا في أضيق الحدود الممكنة كما في حال نظام الأغلبية المطلقة. فضلاً عن أن تطبيق مثل هذا النظام الانتخابي من شأنه أن يساعد على تضييق نطاق الخلافات والنزاعات الإيديولوجية بين الأحزاب إلى أقل حد ممكن"[13].

يوجه إلى هذا النظام انتقاد -عند من يعارضه- بأنه أقل تمثيلاً للمصالح والاتجاهات والرغبات السائدة في المجتمع، فالنتائج المترتبة عنه لا تمثل أفراد مجموعة الأقليات التي حصلت على قلة من الأصوات، ومن ثم يستثنون من التمثيل البرلماني، بحيث يترك الخاسر دون شيء، إلى جانب انخفاض إمكانية انتخاب النساء في ظل هذا النظام الانتخابي، فضلاً عن زيادة الأصوات المهدورة، وأنه يمُكّن الحزب الفائز من الاستحواذ على نسبة من المقاعد أكثر مما حصل عليه من نسبة المصوتين له[14]. ويستطيع الحزب الحاكم تغير حدود الدائرة الفردية والتقسيم بما يخدم مصلحته[15].

إن الاقتراع بالأغلبية البسيطة يجعل بعض الأحزاب الصغيرة التي تعبر عن أقلية اجتماعية لا تشارك في السلطة، ومن ثم يمكن أن تتحول إلى القيام بأعمال غير مشروعة مثل ممارسة العنف، والخروج على القوانين، والشعور بالتهميش السياسي يولد ضعفاً في الانتماء الوطني، وتبرز حالة العزوف السياسي وتضعف المشاركة في التصويت،وكذلك الانتماء الحزبي.

**2 نظـام التمثيـل النسـبي:**

يهدف هذا النظام إلى منح كل حزب عدداً من المقاعد يتناسب مع عدد الأصوات التي حصل عليها في العملية الانتخابية، ومنه يكون البرلمان صورة مصغرة للتكوينات الاجتماعية؛ أي إطار يختزل بشكل جيد هيئة الممثلين، ومن ثم يعبّر عن الاختلاف الإثني والإيديولوجي والفوارق الاقتصادية[16]، طبق هذا النظام للمرة الأولى في بلجيكا عام 1889م، والآن يطبق في أكثر من سبعين دولة في العالم، ويفترض هذا النظام التصويت للقائمة، ويجري في دورة واحدة، وهنالك نوعان هما: النسبي الكامل؛ وتكون البلاد دائرة انتخابية واحدة، والآخر تمثيل نسبي تقريبي[17]،نأخذ نظام القائمة الحزبية أنموذجاً للتمثيل النسبي، وداخل هذا النظام عدة نماذج، منها:

**أ-القائمة المرنة :**

يطبق هذا الأنموذج في سويسرا وفنلندا، ويعرف بنظام القائمة المرنة أو نظام الاختيار الحر لممثل من بين المرشحين، حتى وإن كان من خارج الحزب الذي ينتمي إليه، فيتم تقسيم الدولة إلى عدد من المناطق أو الدوائر الانتخابية، وتعطى كل منطقة عدد محدد من المقاعد التي يشغلها العدد نفسه من الممثلين المنتخبين، كما ينبغي لمرشح حزب معين أن يحصل على نسبة معينة من الأصوات من أجل الفوز بواحد من المقاعد أو بآخر من تلك المقاعد؛ بحيث يعطي كل حزب قائمة من المرشحين تساوي العدد المحدد للدائرة في المجلس التشريعي -مثلاً- ويكون لكل مرشح ناخب مشارك في الاقتراع عدد من الأصوات تساوي العدد المخصص أيضاً، وله أن يختار قائمة كاملة أو يمزج بين قائمة حزبين أو عدة قوائم معتمدة، أو يعطيها كلها لمرشح واحد في قائمة، أو يعطيها لبعض من في القائمة أو يعيد ترتيب القائمة خلافاً لما تقدم بها الحزب، وهذا يتطلب وعياً عالياً لدى الناخب، ولديه تحديد واضح لميوله السياسية وتفضيلاته الذاتية. وهذا النظام الانتخابي يعطي الناخب حق اختيار الأشخاص من خلال المزج بين القوائم ويقيد الأحزاب إلى حد يرفع فرص الفوز للمرشحين، وهذا النظام يتم فيه الاختيار الشخصي أكثر من اختيار البرامج الحزبية كما في نظام الأغلبية.

وتوزيع المقاعد في الدائرة بنسب تتفق ومجموع الأصوات التي حاز عليها كل حزب؛ مما يعني أن "على كل مرشحي حزب معين لكي يفوزوا في الانتخابات أن يحصلوا على نسبة من الأصوات تفوق أي نسبة حصل عليها أيٌّ من مرشحي الأحزاب الأخرى في الدائرة نفسها"[18].

**ب-القائمة شبه المرنة:**

يحق للناخب في هذا النظام أن يختار قائمة واحدة للحزب فقط، ويختار منها ويعيد ترتيبها، ويختار بعضها؛ ولكنه لا يستطيع أن يختار من خارج قائمة الحزب، فهو هنا حدد -سلفاً- تفضيله لصالح حزب أو قائمة، ولم يعد له حق سوى الاختيار بين المرشحين في تلك القائمة أو ترتيبهم أو اختيار بعضهم.

ويقوم الفرز والأخذ بالترتيب الذي أقرته أغلبية الناخبين فيما يخص قوائم المرشحين من أحزاب مختلفة وتلوين الفائزين الذين حصلوا على أكبر عدد من الأصوات مقارنة بزملائهم من القائمة نفسها وفقاً لقاعدة التمثيل النسبي[19].

**ج-القائمة الجامـــدة:**

يقوم الناخب باختيار الحزب، وليس له الحق في اختيار المرشحين، ويكون تركيز الناخب على الحزب لا يهتم بالأشخاص المرشحين؛ بل توجه الأنظار إلى الحزب وبرنامجه والسياسات التي سيتبعها، و تكون الدولة أو الإقليم دائرة واحدة، فيقدم الحزب قائمة من المرشحين تساوي عدد أعضاء المجلس أو العدد المحدد للإقليم، ويكون للحزب وحده حق اختيار الأسماء وترتيبها، ويتم توزيع المقاعد بين الأحزاب بحسب نسبة الأصوات التي حصل عليها كل حزب، ويتم الأخذ من القائمة بحسب ترتيبها ابتداءاً من رأس القائمة،ثم وسطها إلى أسفلها، لهذا يكون لترتيب القائمة أفضلية؛ فكلما كان المرشح في أولها كانت فرصته أكثر واحتمالات فوزه ودخوله المجلس مؤكدة[20]، وفي هذا النظام يكون النظام الحزبي ممارساً للديمقراطية الداخلية ويمتلك الآليات مقنعة للاختيار بجانب توفر الكفاءة من كوادره وله برنامج واضح،كما أن النظام السياسي تجاوز خطوات في الممارسة الديمقراطية، وتتمتع الجماهير بوعي سياسي عالٍ وثقافة ديمقراطية مترسخة، كما ان عدد السكان منخفض والمساحة الجغرافية صغيرة.

ويترتب عن هذا النظام النسبي للانتخابات عدة آثار، أهمها:

أن هذا النظام يساعد على بقاء الأحزاب الصغيرة وأحزاب الأقليات، ويجعل النظام التعددي مجسداً فعلياً بحيث تُمثِّل كل التكوينات السياسية والاجتماعية والإيديولوجية، وتُعقد بعد الانتخابات تحالفات وائتلافات حكومية بين الأحزاب، قد تكون متنافرة سياسياً وإيديولوجياً، وهذا ما يجعل بعضهم يشير إلى أن مثل هذه التحالفات تجعل النظام السياسي غير مستقر ومعرض لهزات سياسية مثل: تغيرات وزارية متكررة بسبب الخلافات بين الأحزاب المؤتلفة، سواء في تفسير برنامجها أم بسبب مواقفها السياسية تجاه القضايا السياسية أو الاجتماعية والاقتصادية للبلاد، وهذا النظام مثل غيره يشوبه القصور في بعض جوانبه، رغم أنه يظل أكثر الأنظمة الانتخابية تمثيلاً للمصالح، ولا يتجاهل الفئات المختلفة، ويوصف بأنه

أقرب إلى تطبيق الديمقراطية الحقيقية؛ لأنه لا يستبعد أصوات الأقلية، والتمثيل النسبي يشجع على قيام نظم تعدد الأحزاب، وذلك لأن كل الاتجاهات، مهما كانت ضعيفة، تضمن لنفسها تمثيلاً ما.

يسهل مع هذا النظام الانتخابي ظهور تيارات سياسية جديدة، ويحافظ لفترة على التشكيلات السائرة في طريق الضمور والاختفاء، وبمعنى آخر أنه يضمن التعددية الحزبية، كما يوضح السبب البنيوي لذلك؛ بأن تحصل الانتخابات دون تحالف؛ لأنها غير مفيدة أو مجدية، ولكنه يسمح بتكون تحالفات بعد الانتخابات، مع ذلك ينظر (دانكان) إلى أن هذا تبسيط للرأي بالزعم بأن التمثيل النسبي هو الأسلوب الوحيد الذي يحترم الإرادة الشعبية، وأساس اعتراضه يقوم على أن التمثيل النسبي يعطي صورة صحيحة بالفعل عن الرأي العام، ولكنه لا يسمح بالإجابة عن السؤال من هم الرجال أو ما هو الحزب أو التحالف الحزبي الذي تراه يمارس السلطة؟ أما انتخابات الدائرة الفردية ذات الدورة الواحدة فتنتج عنها آثار معاكسة بالضبط[21]، يواجه تطبيق النظام النسبي صعوبة توزيع المقاعد وطريقة حساب البواقي التي تظهر نتائجها بعد عدة أيام ما قد يعرضها للتلاعب والتزوير.

وهنالك ثلاث آليات لتوزيع المقاعد هي:

1 – **المعامل الانتخابي**:– هو ناتج قسمة عدد الاصوات الانتخابية على عدد المقاعد.

2 –**العدد الموحد**:–هو عدد يشترطه القانون مثل خمسين ألف صوت للمقعد.

3 –**المعامل الوطني**:– هو ناتج قسمة عدد الاصوات المعبر عنها في البلاد على المقاعد كافة.

**3 –النظـام الانتخابـي المختلـط:**

تقوم الانتخابات النيابية في المانيا على هذا النظام، وهو مزيج من النظامين السابقين، إذ يأخذ في الحسبان تعدد اتجاهات الرأي، وإيجاد حل سياسي لإشكالية شكل الاقتراع، ويكون النظام المختلط نتيجة تسويات بين تصورات مختلفة؛ أو متعارضة؛ من أجل الجمع بين إيجابيات النظامين، والتقليل من العيوب، من حيث التمثيل العادل للقوى السياسية والاجتماعية (التمثيل النسبي)، ومن حيث الفاعلية الحكومية (التمثيل بالأغلبية)، فالنظام المختلط يجمع بين نظام الأغلبية ونظام التمثيل النسبي؛ مما يجعل للحزب عدد مقاعد نيابية مساوياً للأصوات التي حصل عليها، ويحد النظام المختلط من تشتت الأصوات بين أحزاب

كثيرة مع عدم التقليل من أهمية الأحزاب الصغيرة، وأيضاً يخفف من تحكم قيادات الأحزاب في إعداد قوائم انتخابية ؛ ليعطي مرونة لعضو البرلمان في التعبير عن رأيه وإن كان مخالفاً لحزبه لإمكانية الترشح والفوز في الدائرة الفردية ودون الاعتماد على حزبه، كما يؤدي هذا النظام الانتخابي إلى حالة الاستقرار السياسي الذي ينعكس إيجاباً على مجالات مختلفة،ويساعد في سرعة التطور.

ويمكن القول إن النظام المختلط جاء مع الموجة الثالثة للديمقراطية، التي اجتاحت آسيا ودول أوروبا الشرقية، وخرجت من عباءة المعسكر الشرقي،كما في الجدول الآتي:

جدول رقم (4) يبين بعض الدول التي اعتمدت النظام الانتخابي المختلط

| الدولة | عدد أعضاء البرلمان | عدد المقاعد الفردية | عدد المقاعد للتمثيل النسبي | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| ألبانيا | 140 | 100 | 40 | |
| أرمينيا | 131 | 75 | 56 | |
| أذربيجان | 125 | 100 | 25 | |
| جورجيا | 235 | 85 | 35 | |
| مقدونيا | 120 | 85 | 35 | |
| روسيا | 450 | 225 | 225 | |
| أوكرانيا | 450 | 225 | 225 | إلى 2006 |
| ليتوانيا | 141 | 71 | 70 | |
| بوليفيا | 130 | 65 | 55 | |
| المكسيك | 500 | 300 | 200 | |
| السنغال | 120 | 65 | 55 | |
| اليابان | 480 | 300 | 180 | |
| ايطاليا | 630 | 475 | 155 | |
| كوريا الجنوبية | 273 | 227 | 46 | |
| فلسطين | 132 | 66 | 66 | |

تركيب الجدول من: النزاهة في الانتخابات البرلمانية

ومن الجدول يمكن التمييز بين الدول التي أخذت بالنظام الانتخابي المختلط؛ فبعضها أخذ بالنظام المختلط مع تغليبه الأخذ بنظام الأغلبية، بينما دول أخرى يتم فيها تغليب التمثيل النسبي، ودول أخذت بنظام انتخابي مختلط متوازن.

وقد توصل (دوفرجيه) إلى أن الاقتراع بالأغلبية في دورة واحدة يفرز نظام الثنائية الحزبية، الذي يتميز بوجود أحزاب مستقلة، وبتداول الأحزاب الكبيرة على ممارسة السلطة، والثنائية الحزبية لا تعني وجود حزبين سياسيين فقط في الساحة السياسية، بل تعني تنافس الحزبين الكبيرين على السلطة والتداول فيما بينهما[22]، وهذا يعني أن الثنائية ترتبط بعدد الأحزاب المؤثرة وليس بعددها الرقمي.

إن الاقتراع بالأغلبية في دورتين يفرز نظام أحزاب متعددة، ومرنة ومستقلة نسبياً، ويفرز التمثيل النسبي نظام أحزاب متعددة، مستقلة، ومستقرة، ولم يتم الجزم بأنه يؤدي إلى تفريق وتشتيت الأحزاب[23].

ومن حيث تأثير النظام الانتخابي على بنية الأحزاب نلاحظ أن الاقتراع بالقائمة يتم تعبئة المرشحين وتسجيلهم داخل مستويات حزبية منسجمة، تتفوق في تنظيمها على ما في الاقتراع الفردي، ويُعطي الانتخاب بالتمثيل النسبي بُعداً وطنياً، ويبقى الانضباط الحزبي قائماً في عملية التصويت داخل المجلس البرلماني، لأنه بإمكان الحزب معاقبة الخارجين عن مواقفه، وتهديد مستقبلهم السياسي.

وفي النظام الانتخابي القائم على الاقتراع بالأغلبية في دورة واحدة تتميز البنية التنظيمية للأحزاب السياسية بالمركزية القوية.

**ثانياً: النظام الانتخابي وأثره على الأحزاب في اليمن:**

تعد الانتخابات العامة في المجتمع اليمني تجربة حديثه، وبدأت الانتخابات التنافسية بين الأحزاب مع قيام دولة الوحدة 1990م، وتحوّل النظام إلى التعددية الحزبية –من ذلك التاريخ إلى وقت إجراء هذه الدراسة– تمت ثلاثة انتخابات نيابية، من خلال نظام انتخابي يقوم على الأغلبية النسبية للدائرة الفردية. فانصب الاهتمام بالانتخابات بوصفها انعكاساً لتبلور الاتجاهات السياسية داخل المجتمع اليمني، وليس بوصفها تعبيراً عن الإرادة العامة (الشعبية)، فنجد أن تحليل نتائج الانتخابات يوضح الميكانيزمات

المستعملة من السلطة وعبر الإدارة الانتخابية بصفتها تشريعات وجهازاً إدارياً، التي تحول دون تمكين الأحزاب السياسية من لعب أي دور بعيداً عن النخبة الحاكمة أو مستقلاً عنها أو عما رسمته، هذا السلوك الانتخابي يرجع إلى ثنائية متناقضة، تتمثل في مجتمع تقليدي في تركيبته وثقافته، وذي استمرارية تاريخية لا تتيح المجال للمنافسة، في وجود النقيض الذي يمثل المحيط وهو التعددية الحزبية الضعيفة في الأداء بالفعل السياسي أو مركز القرار، للتأثر بالانعكاسات المركزية" التقليدية".

وطرحت بعض الأحزاب تغيير النظام إلى نظام الانتخاب بالقائمة النسبية، وتم الاتفاق بشكل رسمي بين الاحزاب المعارضة والمؤتمر الشعبي على القائمة النسبية في حوارها عام 2009م، وقامت ثورة الربيع العربي في 2011م، ودخلت البلاد في عملية سياسية احتكمت إلى المبادرة الخليجية، وخرجت مقررات مؤتمر الحوار الوطني بتحديد شكل نظام الدولة الاتحادية عبر تقسيمها إلي أقاليم، وتغيير النظام الانتخابي إلى نظام القائمة النسبية المغلقة؛ونص على "أن النظام الانتخابي (القائمة النسبية المغلقة) تلتزم المكونات السياسية بترتيب قوائمها الانتخابية بما يضمن وصول نسبة 30٪ على الأقل من النساء للمجالس الانتخابية، ويكون ترتيب المرشحين والمرشحات في القوائم الانتخابية كالآتي: امرأة واحدة على الأقل من كل ثلاثة مرشحين، ولا تقبل قوائم المكونات السياسية المخالفة لهذا القانون"[24]، وترك للقانون تحديد تقسيم الدوائر وكذلك عدد مقاعد المجلس. كما قدَّم توصياته للجنة صياغة الدستور بان "في النظام الانتخابي تحسب حصة كل قائمة من مقاعد الهيئة التشريعية بطريقة الباقي الأعلى في النظام الانتخابي احتساب نسبة حسم تسمح بدخول الأحزاب الصغيرة وقوائم المستقلين إلى المجلس"[25]. وتصعيد الصراع افشل العمل السياسي؛ ليتحول إلى تدخل عسكري خارجي حال دون إقرار الدستور ومناقشته وإقرار قانون الانتخابات.

**جدول رقم(2) يوضح عدد الأصوات والمقاعد التي حصلت عليها الأحزاب والمستقلين بالانتخابات البرلمانية للأعوام 1993م، 1997م، 2003م مع إجمالي عدد الأصوات للدورات الانتخابية.**

| الدورات الانتخابية / الحزب | انتخابات93 | | | | انتخابات1997 | | | | انتخابات2003 | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | عدد الاصوات | النسبة | عدد المقاعد | النسبة | عدد الاصوات | النسبة | عدد المقاعد | النسبة | عدد الاصوات | النسبة | عدد المقاعد | النسبة |
| المؤتمر | 640523 | 28.6 ٪ | 122 | ٪41 | 1175343 | ٪43.01 | 187 | ٪62.5 | 3465117 | ٪57.8 | 229 | ٪76 |
| الاشتراكي | 413984 | 18.5 ٪ | 56 | ٪19 | قاطع الانتخابات | | | | 291541 | ٪4.9 | 7 | ٪2.3 |
| الإصلاح | 382545 | ٪17 | 63 | ٪21 | 637728 | ٪23.04 | 53 | ٪18 | 1374837 | ٪22.9 | 46 | ٪15.3 |
| الوحدوي الناصري | 52303 | ٪2.3 | 1 | ٪03 | 55438 | ٪2.3 | 3 | ٪1 | 109714 | ٪1.8 | 3 | ٪1 |
| المستقلون | 606201 | ٪27 | 48 | ٪16 | 805636 | ٪29 | 54 | ٪18 | 620615 | ٪10.3 | 14 | ٪4.6 |
| اجمالي الاصوات | 223257 | | | | 2726961 | | | | 5996049 | | | |

الجدول من تركيب الباحث من كتاب، محمد حسين الفرح، الانتخابات اليمنية، البرلمانية والرئاسية متعددة الاحزاب 1993-2003، مركز عبادي. صنعاء،2005م.

ومن الجدول رقم (2) يمكن قراءة للنتائج التي أفرزها نظام الانتخاب الفردي وتأثيره على الأحزاب وأدائها ومن ثم على حالة النظام السياسي وجديته في التوجه الديمقراطي أهمها ما يلي[26]:-

**1- عدم التكافؤ بين ما يحصل عليه الحزب من أصوات مع ما يحصل عليه من مقاعد:**

بما أن هذا النظام يحابي الأحزاب الكبيرة، فقد نتج عنه فوز بعض الأحزاب بنسبة من المقاعد تفوق كثيراً نسبة ما فازت به من مجموع أصوات الناخبين؛ مما يعني حصولها على تمثيل سياسي في المجلس يفوق كثيراً حجم التمثيل المعطى لها من جمهور الناخبين؛ في المقابل حصلت بعض الأحزاب على نسبة من مقاعد مجلس النواب تقل كثيراً عن نسبة ما حصلت عليه من جمهور الناخبين، وهو ما يعني حصول هذه الأحزاب على تمثيل سياسي داخل مجلس النواب أقل بكثير من حجم تمثيلها الممنوح من جمهور الناخبين.

كما في جدول رقم(2)، فعلى سبيل المثال، حصل حزب المؤتمر الشعبي العام، في انتخابات البرلمانية عام 2003 على ما نسبته 57.79٪ من إجمالي أصوات الناخبين، وهو ما كان يؤهله بالفوز بـ 174 مقعداً نيابياً، وبسبب النظام الانتخابي، فقد حصل على 229 مقعداً بما يساوي 76.08٪ من إجمالي عدد مقاعد مجلس النواب. في المقابل حصل حزب التجمع اليمني للإصلاح على ما نسبته 22.51٪ من أصوات الناخبين، وهو ما كان يؤهله للفوز بـ 67 مقعداً نيابياً، غير أنه وبسبب النظام الانتخابي لم يفز إلا بـ 45 مقعداً فقط، بما يساوي 14.95٪ من عدد مقاعد المجلس. وينطبق الأمر نفسه على الحزب الاشتراكي الذي حصل على ما نسبته 4.86٪ من إجمالي عدد الأصوات، وهو ما كان يؤهله للفوز بـ 15 مقعداً نيابياً فيما لم يحصل إلا على 7 مقاعد فقط نتيجة النظام الانتخابي. ما يعني أن الأعضاء المنتخبين في مجلس النواب لا يعكسون إرادة الناخبين وتوجهاتهم، وأيضاً لا يعكس الثقل والوزن الحقيقي للأحزاب السياسية، ولهذا فإن النظام الانتخابي اليمني الحالي يحابي بعض الأحزاب على حساب أحزاب أخرى؛ ويدفع نحو إضعاف الأحزاب واختفاءها.

**2- يقوي ويعيد إنتاج الشخصيات الاجتماعية بينما، يعمل على إضعاف الأحزاب:**

كون نظام الأغلبية النسبية يقوم على فوز نائب واحد عن كل دائرة انتخابية، فإنه قد جعل المعركة الانتخابية تدور على مستوى الدائرة الانتخابية فقط؛ الأمر الذي يجعل من القضايا المطروحة في هذه المعركة تدور بشكل رئيس حول الشأن المحلي الخاص بالدائرة الانتخابية، وهو ما يسهم في صرف نظر الناخب عن القضايا الوطنية التي تتضمنها البرامج الحزبية والتركيز بالدرجة الأولى على الصفات الخاصة بالمرشح؛ خاصة وأن المعركة تنحصر بين الأشخاص المتنافسين أكثر من كونها معركة بين ممثلين حزبيين، يمتلكون برامج ذات طابع وطني، وبما أن الأمر على هذا النحو، فإن فرص الفوز في الانتخابات البرلمانية، ولاسيما في الأرياف والمدن الصغيرة، تعتمد على قدرات المرشحين، ونفوذهم في الدوائر التي ينتمون إليها بغض النظر عن انتمائهم السياسي.

وتزيد فرص الفوز لدى أفراد محددين ممن يمتلكون نفوذاً فعلياً في الدائرة؛ بسبب مركزهم الاجتماعي أو المالي، ويحظون بالقبول والحظوة لدى السلطة الحاكمة، هذه المواصفات تنطبق في الدرجة الأولى على فئة

المشايخ ورجال الأعمال والمسؤولين الحكوميين، وهذه الفئات هي أكبر شريحة تفوز في انتخابات مجلس النواب[27]، ولهذا نجد أن هذه الفئات هي أكثر الفئات التي يرشحها الحزب الحاكم، وتنـزل باسمه، بغض النظر عما إذا كانوا من الأعضاء الفاعلين أو غير الفاعلين، وينتج عن ذلك تهميش للأعضاء الحزبيين واستبعادهم من معظم عمليات الترشيح في انتخابات مجلس النواب؛ الأمر الذي يضعف الاهتمام بالنشاط الحزبي وبالأحزاب عموماً. ومنه حجم النظام الانتخابي اليمني وقلص من تأثير الأحزاب خارج السلطة وكما أضعف حزب المؤتمر الشعبي بصفته مؤسسة حزبية و افرغ دور مستوياته التنظيمية وكوادره.

ساعد على هذا الأمر إصرار السلطة الحاكمة على النظام الانتخابي بالدائرة الفردية، لتظهر عملية الانتخابات كأنها تنافس بين أشخاص للحصول على عضوية تعود بنفع مباشر على العضو المنتخب وأفراد دائرته، فالناخب –وبعد الدورات الانتخابية– أصبح على يقين، بأن انتخابات مجلس النواب ليس الهدف منها تغيير الحكومة أو تقرير السياسة العامة للدولة، كما هي صلاحيات المجلس الدستورية، وإنما هدفها إيصال هذا الممثل أو ذاك إلى البرلمان، والاستفادة من ذلك في تحقيق منافع مباشرة له، ولمن قام بانتخابه. تستفيد من هذه القناعة السلطة الحاكمة، وتعمل على ترسيخها في أذهان الناخبين الذين ينصرفون عن الاهتمام بالبرامج الانتخابية للأحزاب، أو النشاط الحزبي برمته، ويركزون على شخص المرشح ومدى قدرته على تحقيق ما يعتقدون بأنه هدف الانتخابات النيابية، وهذا رسخ موقف كثير من الأفراد ونفورهم من الاحزاب وقناعتهم بعدم جدوها.

ونتيجة لذلك فإن عضو مجلس النواب المنتخب يهتم في الدرجة الأولى بالقضايا المحلية الخاصة بدائرته أكثر من اهتمامه بالقضايا الوطنية، فكون الفائز في انتخابات مجلس النواب ممثلاً لسكان دائرة محددة، فإنه ملزم أمام جمهور الناخبين، خاصة في غير الوسط الحضري أو المدن الصغيرة، بأن يهتم بقضاياهم المباشرة. فهو المسؤول الأول عن تمثيل مواطني دائرته مثل: الحصول على المشاريع الخدمية، وتحسين الخدمات الموجودة، وغيرها من المطالب التي قد تشمل أبسط الاحتياجات، كالحصول على منحة علاجية أو متابعة مصير سجين في جريمة أو جنحة، وغيرها من المهام التي تدخل ضمن اختصاصات المجلس المحلي، والمجتمع المدني والجمعيات الخيرية التكافلية والحقوقية.

1- **النظام الانتخابي أفرز برلماناً غير تمثيلي و تغلب علي تركيبته الوجهات القبلية:**

يصب النظام الانتخابي في صالح أصحاب الوجاهات والمقربين من السلطة، إذ إن كثيراً من الفئات يصعب عليها الفوز في الانتخابات خاصة في المناطق الريفية والمدن الصغيرة، و أهم هذه الفئات النساء والمثقفون والجماعات المهمشة، ويكون نصيبها في الفوز ضئيلاً؛ الأمر الذي يجعل الأحزاب ينصرفون عن ترشيح هذه الفئات؛ كي لا يخسروا دوائر انتخابيه فأهمية الفوز بأغلبية برلمانية يدفع، الحزب الحاكم إلى ترشيح القادرين على الفوز، وهم في الغالب ليسوا نساء ولا مثقفين ولا ينتمون إلى الأقليات مهمشة.

فازت المرأة بمقعدين في انتخابات 1993م، و 1997م، وعلى مقعد وحيد في برلمان عام 2003م، وكانت المرشحة الوحيدة في قائمة المؤتمر الشعبي ضمن 296 مرشحاً، وأثار فوزها استشكالات قانونية وتشكيك بفوزها الذي حسم بتدخل سياسي.

أما على مستوى ترشيح المرأة فقد تقدمت 42 امرأة لانتخابات عام 1993م مثَّل رقماً قياسياً للانتخابات اللاحقة، وفي انتخابات عام 1997م تقدم للترشيح 19 امرأة فقط بينما في عام 2003 يهبط عدد المرشحات إلى 11 امرأة[28].

**جدول رقم(3) يبين التركيب الاجتماعي لأعضاء مجلس النواب الدورة الثالثة 2003**

| م | التركيب الاجتماعي | النسبة |
|---|---|---|
| 1 | شيوخ القبائل | ٪30 |
| 2 | التجار واصحاب رؤوس الاموال | ٪26 |
| 3 | العسكريون | ٪8 |
| 4 | الاكاديميون | ٪4 |
| 5 | اصحاب المهن الحرة | ٪7 |
| 6 | الموظفون | ٪12 |
| 7 | الصفوة التقليدية الجديدة | ٪13 |
| | **المجموع** | ٪100 |

المصدر: أحمد الصوفي وآخرون .التحول الديمقراطي في اليمن، ص150

**4- يخلق النظام الانتخابي اليمني تعددية ضعيفة وحزب مهيمن على الحياة السياسية:**

بما أن العملية الانتخابية تجري وفق نظام الدوائر الفردية؛ فقد تمكَّن الحزب الحاكم من أن يُحكِم قبضته، ويزيد من عدد المقاعد التي يحصل عليها بشكل متصاعد، ويعود أحد أسباب ذلك إلى النظام الانتخابي، الذي يهيئ الظروف للحزب الحاكم من خلال رسالة مفادها أنه سيكافئ الدائرة التي تنتخب مرشحه بالاستجابة لمطالبها في الحصول على المشروعات والخدمات التي تحتاجها، فيما سيعاقب الدائرة التي تنتخب مرشح المعارضة بحرمانها من المشروعات والخدمات، وتعمل هذه الرسالة على إقدام الناخبين على اختيار مرشح الحزب الحاكم، مما يؤدي إلى تناقص التأييد والتأثير لأحزاب المعارضة خاصة في الريف، وانضمام بعض من أعضاء أحزاب المعارضة إلى عضوية الحزب الحاكم؛ كي يفوزوا في الانتخابات في حال ترشحيهم باسم الحزب الحاكم.

كما يختار الحاكم المرشحين للانتخابات البرلمانية من بين الشخصيات ذات الثقل الاجتماعي القبلي أو المالي، حتى وإن لم يكونوا من أعضائه الفاعلين، عبر تحالف فضفاض، يتم بينه وبين هذه الشخصيات يستفيد منه الطرفان، فالحزب الحاكم يضمن عضواً يصوِّت لصالحها حينما يحتاجه، والعضو "المُتحالف" معها يحقق مكاسب خاصة له من خلال عضويته في المجلس، ما جعل الحزب الحاكم لا يهتم، إن كان العضو المحسوب عليه في مجلس النواب يحمل مؤهلات علمية -إن لم نقل أنها تحبذ أن يكون مفتقداً لتلك المؤهلات- لأن العضو غير المؤهل يسهل على الحكومة أن تحصل على صوته في القضايا العامة، التي قد لا يفقه فيها كثيراً، أو لا تهمه، ويعد عضو مجلس النواب، السلبي الخانع الخيارَ الانموذجي، بعكس العضو ذي المستوى التعليمي الذي قد لا يكون مطاوعاً لها؛ وإن كان من ضمن كتلتها البرلمانية[29].

ونتج عن هذا النظام الانتخابي برلمان لا يستطيع القيام بمهامه ويدار من خارجه، وتنتفي مقولة "المجلس سيد قراره"، وينعكس أداء البرلمان على أداء الحكومة، وبذلك تضعف مؤسسات الدولة امام تغوّل سلطة الحاكم والمقربين منه، وتتحول إلى نظام الدولة العميقة.

اختيار النظم الانتخابي قرار عقلاني يعكس إرادة سياسية لها هدف مقصود، مثلاً النظام الانتخابي في ألمانيا، حتى يمكن للأحزاب السياسة الاستفادة من التمثيل النسبي يشترط حصولها على 5٪ من مجموع

أصوات الناخبين على الأقل في مستوى الدوائر الصغيرة، بهدف منع حصول الحزب الشيوعي الألماني والأحزاب اليمينية المتطرفة على عضوية مجلس النواب[30].

اعتماد النظام الانتخابي اليمني الأغلبية البسيطة والدائرة الفردية قرار عقلاني مقصود، يهدف إلى إضعاف الأحزاب؛ ليسهل السيطرة على المجال السياسي، كما أحكم السيطرة على المجتمع فأضعف القبيلة مقابل تقوية شيخ القبيلة، واخترق منظمات المجتمع المدني، عبر ربطها بشبكة من علاقة المصالح،والطريقة نفسها دجن بها النخبة الثقافية ورجال الأعمال.

أضعفت السلطة المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإدارة الدولة بأشخاص يشكِّلون جماعة النفوذ والمقربين عبر شبكة من علاقة المنافع والمصالح، لذلك غُيِّب القانون، لتصبح المؤسسات شكلاً ديكورياً . والاستناد إلى الاشخاص لا المؤسسات، ذلك ما يفسر إصرار الحاكم على النظام الانتخابي بالأغلبية والدائرة الفردية؛ ولأن الانتخاب بالقائمة النسبية أو النظام المختلط سيعيق أي نظام تسلطي، و يمنع فرض حزب مسيطر ويدفع بأحزاب قوية، وتمثيل برلماني يتناسب مع حجم الأحزاب ونشاطها في المجتمع، ويدرك المواطنون أن أصواتهم تشكِّل رقماً في تكوين ثقل للأحزاب التي تعبِّر عنهم، وتفتر ظاهرة العزوف السياسي مع تزايد النشاط الحزبي والحراك السياسي، وتكون الأحزاب صاحبة قرار وفعل مؤثرين ينعكسان على أداء البرلمان، وتتقلص علاقة المصالحة الخاصة وتُغلب المصالحة العامة، وتخفف القائمة النسبية من الرشوة السياسية وأزمة التمويل السياسي للأحزاب، بانخفاض النفقات للحملات الانتخابية والدعائية، ويقل الفساد وعملية شراء الأصوات والوعود الانتخابية الشخصية، لتكون الطروحات برامجية عامة، وسيختفي التصويت القائم على الانتماءات العائلية والقبلية والمكانة الاجتماعية أو القرب من الحاكم، ومن مسار تجربة التوجه الديمقراطي في الدورات الانتخابية البرلمانية الثلاث، فإن صورة بناء القوة لازالت تعكس فاعلية القوى الاجتماعية التقليدية، التي توضح خاصية التطور الديمقراطي في بيئة تقليدية، دفعت برموزها للانخراط في العملية السياسية، وإعادة صياغة التطور الديمقراطي نحو تحديث الطبقة السياسية التقليدية، لمواكبة التغيرات التي حدثت، وتتلاءم مع متطلبات تلك التغيرات بإنتاج نخبة اجتماعية تقليدية[31].

**خاتمة:**

يتوقف نجاح أي نظام انتخابي على طبيعة المجتمع والتكوين الاجتماعي والاقتصادي، والمراحل التي خطاها في مسار الانتقال الديمقراطي، كما أن مستوى الوعي السياسي والثقافي، وبنية الأحزاب وفاعليتها عوامل يتوقف عليها نجاح اختيار النظام الانتخابي، يعالج مشكلة التمثيل العادل، وإرساء نظام ديمقراطي حقيقي، يحقق الاستقرار السياسي، ويدفع بعجلة التطور، لينسحب ذلك على مختلف المجالات.

ولكل نظام انتخابي عيوب ومزايا؛ فنجد معظم الدول يقيم نظامها الانتخابي من وقت لآخر، ويعمل على تغييره أو تعديله ؛ بحسب أوضاعها السياسية والاجتماعية، التي تدفعها إلى تغيير في أولوياتها. فالتغيير قانون ثابت في الحياة.

تظهر نتائج الدورات الانتخابية تأثير النظام الانتخابي اليمني على عملية الانتقال الديمقراطي واضعاف النشاط الحزبي، وتدني المشاركة السياسية وتضيق مساحة الحريات.

ومن تأثيره افتقدت الانتخابات النزاهة، بإحكام السلطة قبضتها على إدارتها وعلى نتائجها علاوة على سيطرتها على القوى الداخلة فيها، وحد من حركة الأحزاب، لتصبح معارضة شكلية تعطي ذريعة لبقاء النظام واستقراره، وتجمل وجهه بوسمه نظاماً ديمقراطياً.

يقوم نظام الانتخابات البرلمانية اليمنية، على الأغلبية البسيطة والدائرة الفردية، الذي يعزز التحول إلى نظام الحزب المسيطر، وتقلص دور أحزاب المعارضة ووجودها؛ مما دفع بها إلى المطالبة بتغيير النظام الانتخابي، الذي اسهم في تركيز القوة ومنع تداول السلطة.

وتغيير النظام الانتخابي من الدائرة الفردية إلى القائمة النسبية أو النظام المختلط. سيعمل على تفكيك مركز النفوذ بسحب خيوط اللعبة التي يعتمدها في الانتخابات، ويعمل على تعدد القوى الاجتماعية وتمثيلها، بحسب الثقل الاجتماعي والسياسي، والمشاركة في الفعل السياسي والتأثير في القرار، مما يدفع بالتحول من العزوف واليأس إلى الفعل السياسي والثقة في التغيير؛ فتهتم الأحزاب بالشأن العام، ويقل اهتماماتها بالشأن الخاص ومن ثم يخف الفساد السياسي تحت ضغط الرأي العام.

فإصلاح النظام الانتخابي مدخل للإصلاح السياسي و استقرار المجتمع اليمني.

## الهوامش والإحالات:

1) يؤكد قرار الأمم المتحدة أن "الانتخابات الدورية والنـزيهة من العناصر الضرورية التي لا غنى عنها في الجهود المتواصلة والمبذولة لحماية حقوق المحكومين ومصالحهم، وأن التجربة العملية تثبت أن حق كل فرد في الاشتراك في حكم بلده عامل حاسم في تمتع الجميع فعلياً بمجموعة واسعة من التنوع من حقوق الإنسان والحريات الأساس الأخرى، وتشمل الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية"، قرار رقم (46/ 137) للجمعية العامة للأمم المتحدة، صدر في كانون الأول/ ديسمبر1991.

2) نشوان السميري، التعددية السياسية في اليمن، مكتبة الجيل الجديد والمركز اليمني للدراسات الاستراتيجية، صنعاء 2001، ص220.

3) نعمان الخطيب، الأحزاب السياسية ودورها في أنظمة الحكم المعاصرة، دار التوفيق النموذجية، القاهرة، 1983، ص585.

4) ناصر محمد الطويل، الحركة الإسلامية والنظام السياسي في اليمن من التحالف إلى التنافس، مكتبة خالد بن الوليد مع دار الكتب اليمنية، صنعاء، ط1، 2009، ص227.

5) بلقيس أحمد منصور، الأحزاب السياسية والتحول الديمقراطي، (دراسة تطبيقية على اليمن وبلاد أخرى)، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004، ص141.

6) علي الدين هلال، النظام السياسي المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،2010،ص174.

7) للمزيد انظر: أحمد الديين وآخرون، النـزاهة في الانتخابات البرلمانية، مقوماتها وآلياتها في الأقطار العربية، المنظمة العربية لمكافحة الفساد بالشراكة مع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سبتمبر2008.

8) حسب دراسة للاتحاد البرلماني العالمي عام 1993 .نقلاً عن: أحمد الديين وآخرين، مرجع سابق، ص235.

9) حسب رأي أنصار تطبيق هذا النظام، نقلاً عن: عبده حمود الشريف (محرر)، النظم الانتخابية ومستقبل الديمقراطية في الجمهورية اليمنية، ندوة أقامها المؤتمر الشعبي العام فرع جامعة صنعاء، ص16-17، فبراير 1993، ص28.

10) سعاد الشرقاوي، نظم الانتخابات في العالم ومصر،دار النهضة العربية،القاهرة،1998، ص86.

11) المرجع نفسة، ص.29

12) المرجع نفسه، ص236.

13) انظر :عبده حمود الشريف وآخرون، النظم الانتخابية ومستقبل الديمقراطية في الجمهورية اليمنية، ندوة أقامها المؤتمر الشعبي العام فرع جامعة صنعاء، ص16-17، فبراير 1993، ص32.

14) أحمد الديين وآخرون، مرجع سابق، ص237.

15) المرجع نفسه، ص 238.

16) V.J.M.cotteret et C.Emeri.les systèmes Electoraux. PUF.1988.p55.

17) أحمد الديين وآخرون، مرجع سابق، ص238 .

18) انظر: عبده حمود الشريف وآخرون، مرجع سابق، ص34.

19) المرجع نفسه، ص35.

20) انظر: المرجع نفسه، ص36- 37.

21) انظر:جان ماري دانكان، علم السياسية، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان،1997، ص307-314.

22) موريس دوفرجيه، الأحزاب السياسية، ترجمة علي مقلد وسعد، دار النهار، بيروت، ط3، 1980. ص359-373.

23) V.J.M.cotteret et C.Emeri.les systèmes Electoraux.op.cit.p100.

24) وثيقة الحوار الوطني الشامل، الجمهورية اليمنية، صنعاء،2013-2014 م، ص94.

25) المرجع نفسه، ص100.

26) أوردها التقرير السنوي لحقوق الإنسان والديمقراطية في اليمن 2007، المرصد اليمني لحقوق الإنسان، بالتعاون مع الصندوق الوطني للديمقراطية، الجمهورية اليمنية، صنعاء، ط1، أبريل 2008.

27) عبد الجليل الصوفي. نتائج الانتخابات النيابية 27 أبريل 2003، مؤشرات ودلائل، شؤون العصر، عدد (12) صنعاء، ص203.

28) أحمد عبدالله الصوفي وآخرون،التحول الديمقراطي في اليمن. التحدي والاستجابة، المعهد اليمني لتنمية الديمقراطية 2003،ص167.

29) التقرير السنوي لحقوق الإنسان والديمقراطية في اليمن 2007، مرجع سابق، ص47- 50 .

30) محمد بو فرطاس، الحملات الانتخابية، دراسة مقارنة بين التشريع الجزائري والتشريع الفرنسي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، لسنة2010- 2011، ص78- 79.

31) أحمد عبدالله الصوفي وآخرون، مرجع سابق، ص154

# حظر تجارة السلاح بين القوى الإسلامية والفرنجية زمن الحروب الصليبية

د . محمد عبد الله المقدم *

**ملخص:**

اشتعلت المواجهات الحربية بين المسلمين والفرنجة زمن الحروب الصليبية، وشملت المواجهة جميع المستويات، وكافة الأصعدة، وكان تجفيف موارد الذخيرة والسلاح التي يعتمد عليها الأعداء، وحرمانهم من عناصر القوة، ومصادر التفوق، ومقومات النصر، من أبرز الأهداف التي سعت إليها القوى المتحاربة، وتهدف هذه الدراسة إلى رصد الجهود التي بذلتها القوى الإسلامية والصليبية لحظر تجارة الأسلحة الجاهزة وتحليلها، والمواد الأولية اللازمة للصناعات الحربية، وبواعث حظر الإتجار بالمواد الحربية، وضغوط المؤسسات الدينية، والسلطات السياسية، ودعاة الحروب الصليبية، لمنع تصدير السلاح إلى الأعداء، وتدرُج الحظر، وتوسع قوائم المواد المحظورة، وآليات الحظر ووسائله، وأساليب الالتواء على الحظر، وعقوبات خرق حظر التسليح، ونتائج الحظر وتداعياته الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والقانونية.

* أستاذ التاريخ الوسيط المشارك بجامعة تعز-اليمن

**المقدمة:**

تطورت ظاهرة الحرب عبر العصور التاريخية، وتنوعت وسائلها وأدواتها، وتعددت أهدافها ومستوياتها، ويعد الحصار العسكري وحظر تجارة السلاح من أبرز التدابير الفاعلة في الصراعات العسكرية التي تنحو منحى الحرب الشاملة، والتي تستعمل فيها الموارد والامكانات والطاقات المتاحة كافة، لقهر الأعداء وتركيعهم، وقد أدى الحظر العسكري دورًا هامًا في تقرير نتائج الحروب في الشرق والغرب، في العصور القديمة والوسيطة والحديثة.

وتبرز أهمية موضوع حظر تجارة الأسلحة في عصر الحروب الصليبية؛ لندرة الدراسات الأكاديمية الحديثة التي تصدت لدراسته، وتعد قلة المادة المصدرية وتناثرها في المصادر الإسلامية، لاسيما أن وطبيعة الموضوع المتداخلة والمتشابكة من أهم الصعوبات المعرفية والمنهجية لهذه الدراسة؛ فلم يكن من السهل حظر تلك التجارة الخفية التي تنشط بعيدًا عن أنظار السلطات والمجتمعات المتحاربة، وكما كان من الصعّب رصد تجارة السلاح وتوثيقها من قبل الكتاب والمؤرخين، فكذلك كان من الصعوبة بمكان حصرها وتتبعها ومراقبتها ومحاربتها من قبل السلطات المعنية بحظرها، فمن المؤكد أن تجارة السلاح غير المرئية؛ وهي التي أفلتت من شباك الحظر تفوق بمراحل بيانات النصوص التاريخية المدوّنة عن هذه التجارة.

وحيثما وجدت تجارة السلاح، برزت مساع لحظرها من قبل القوى المتنافسة والمتصارعة على النفوذ والتوسع والسيطرة؛ فقبيل عصر الحروب الصليبية فرضت الإمبراطورية البيزنطية قيودًا على التجار الإيطاليين الذين زودوا الفاطميين بالخشب والحديد والنحاس والقار، وخرقوا قواعد السياسة البيزنطية الهادفة لحرمان البلاد الإسلامية من المواد الحربية اللازمة لصناعة المراكب البحرية، والأسلحة البرية[1].

وتنوعت بواعث تجارة الأسلحة وبواعث حظرها في عصر الحروب الصليبية، وكانت الدوافع الاقتصادية[2] محركًا قويًا لخرق حظر تلك التجارة المربحة التي كسرت الحواجز الدينية، والقيود القانونية، فاللهث وراء المكاسب الاقتصادية، والامتيازات التجارية حفز الأنشطة التجارية غير المشروعة ووسع مجالاتها، ونوَّع طرائقها ووسائلها الظاهرة والخفية؛ فتجار آلات الحرب غَلبت عليهم النزعة المادية،

وأشرِبت عقولهم وقلوبهم التجارات الواسعة، والأرباح الوافرة،، فتهالكوا عليها، متجاوزين الكوابح الدينية والحواجز القانونية والقواعد الأخلاقية، ومتجاهلين أبعادها وتداعياتها القريبة والبعيدة على أديانهم وأقوامهم وبلدانهم ومجتمعاتهم.

ولا شك في أن القوى الاقتصادية الغربية المتنافسة حركت ملف حظر تجارة المواد الحربية لدى المؤسسات الكنسية والسلطات الصليبية، للإضرار بالقوى المنافسة لها، وحرمانها من منافع التجارة الحربية، وغير الحربية.

كما أن حظر توريد المواد الاستراتيجية للقوى الإسلامية استهدف إضعاف قدراتها العسكرية والاقتصادية، وحرمانها من الرسوم والإيرادات والأرباح التي تُضَخ في شرايين الاقتصاد الإسلامي، وتُسهم في تعزيز قوة الدولة من جهة، ورخاء السكان ورفاهيتهم من جهة أخرى[3].

وكانت البواعث السياسية والعسكرية حاضرة في محاولات حظر تجارة المواد الحربية، [4] ففي الماضي كما في الحاضر انتهجت الدول المصدرة للأسلحة استراتيجيه مزدوجة؛ فحرصت على حرمان القوى المعادية لها من الأدوات الحربية؛ لتقليل التهديدات المحتملة، وحماية مصالحها الحيوية، وحماية أمنها المحلي والدولي، وفي الوقت نفسه عملت تلك الدول على تسليح حلفائها، والقوى المتنافسة التي لا تهدد مصالحها، بهدف تحقيق نوع من التوازن الذي لا يخل بالموازين العسكرية والمعادلات السياسية.

ولا شك في أن حظر تجارة السلاح حركته بواعث عديدة لا تقتصر على الأبعاد الاقتصادية والسياسية والعسكرية؛ وإنما امتدت إلى الجوانب الدينية؛ فكان بيع أو حظر المواد الاستراتيجية ذا أبعاد دينية واضحة المعالم؛ فالقوى المسيحية التي طالما سلَّحت الكيانات الصليبية امتنعت أو ترددت أحيانًا في بيع المواد الحربية للدويلات الإسلامية، لأن ذلك – بحسب رؤيتها، ومن وجهة نظر البابوية – يُفيد الإسلام، ويضُر بالمسيحية[5] فوحدة الدين أسهمت في تنشيط تجارة السلاح، وأعاق اختلاف الدين نمو تلك التجارة، فقد كان حظر بيع السلاح لأعداء الدين المحاربين من الثوابت الدينية النظرية لدى المسلمين والصليبين، وإن كان قد تم اختراق تلك الثوابت مرارًا من الناحية العملية.

## محاولات حظر تجارة الأسلحة:

أثارت تجارة السلاح بين المختلفين دينيًا وعرقيًا وثقافيًا جدلاً واسعًا في الأوساط الدينية والسياسية الإسلامية والمسيحية، وبُذلت محاولات حثيثة لتحريمها من قبل الفئات الدينية، وحظرها عبر النخب السياسية والقيادات العسكرية بوصف ذلك فريضة دينية، وضرورة عسكرية؛ لأن فيها تقوية للأعداء، وخذلانًا للأشقاء، وإضعافًا للأولياء.

إذ شدد الفقهاء المسلمون على حرمة بيع الأسلحة لأعداء الدين بشكل عام، والمحاربين منهم على وجه الخصوص؛ لأن فيه إعانة للأعداء وتقوية لهم[6]،ويشمل التحريم كل ما يتقوى به الأعداء من مصادر القوة البشرية: ( الرقيق) والمواد الأولية التي تعزز بنيتهم الاقتصادية والحربية[7].

فعندما استفتى الدماشقة المتعيشون من السلاح الشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت: 660هـ/ 1262م) في حكم بيع السلاح للفرنج أجابهم بالقول: "يحرم عَلَيْكُم مُبَايَعَتهمْ لأنكم تتحققون أَنهم يشترونه لِيُقَاتِلُوا بِهِ إِخْوَانكُمْ الْمُسلمين"[8]، فالنصوص التشريعية التي تمنع بيع السلاح لدار الحرب أمر مستقر في الفقه الإسلامي؛ لأنها تتسق مع المصالح العليا للأمة، ولا تنساق وراء أهواء الحكام المتراخين وتقلباتهم التي لا تراعي مصالح الجماعة المسلمة، وقيمها الإيمانية، وأواشجها الأخوية.

ووفق ذلك المنهج، وبناءً على تلك الأسس والمعايير، حظر صلاح الدين الأيوبي تزويد البلدان المسيحية بالسلاح والمعدات الحربية، وأصدر مرسومًا بأن "لا يمكّن أحد من نقل سلاح ولا عدّة حرب إلى جهة البلاد الرّوميّة...والاحتراز على ذلك كلّ الاحتراز"[9] فقد التزم قادة الجهاد الإسلامي بمقتضيات القواعد الفقهية الإسلامية، ومتطلبات الأمن الإسلامي، بوصفه ضرورة واقعية، وفريضة شرعية، وحاجة عسكرية، وحكمة سياسية.

وعلى مستوى الجبهة المسيحية، تسبب تصدير السلاح إلى المسلمين في غضب السلطات الكنسية والملكية التي سعت جاهدة الحظر الأنشطة التجارية التي تشكل خطرًا على أمن واستقرار المستوطنات

الصليبية، وحذرت من الاستمرار في ذلك النهج الذي يُعبر عن استخفاف بالأهداف الصليبية، والأخوة المسيحية[10].

وبذل قادة الكيانات الصليبية جهودًا كبيرة؛ لمنع المعاملات التجارية الحربية مع المسلمين؛ فالملك بلدوين الثالث Baldwin III ( 538 – 558 هـ/ 1143 – 1163م) وقع اتفاقية مع مدينة بيزا الإيطالية عام551هـ/ 1156م؛ وقد نصت على حظر تصدير الأخشاب والحديد والقار وكل لوازم بناء السفن إلى مصر[11]،وتحت وطأة الضغوط البابوية والصليبية، حظرت مدينة البندقية على رعاياها تصدير المواد الحربية إلى مسلمي الشرق، وفرضت رقابة صارمة على التجار البنادقة بعد الحملة الصليبية الخامسة[12]، وحذرت السلطات البابوية تجارة مدينة جنوة من الاستمرار بالمتاجرة غير المشروعة مع المسلمين[13] وخرقت المدن التجارية الفرنسية والأسبانية قرارات الحظر العسكري، وزودت المسلمين بالأدوات الحربية[14].

وعلى الرغم من أن المدن التجارية تظاهرت أحيانًا بالإذعان للضغوط البابوية والصليبية؛ فإنها في واقع الأمر استمرت في بيع السلاح لأعداء الكيانات الصليبية،[15] واضطر القادة الفرنجة للتغاضي السياسي عن السياسات المزدوجة للمدن البحرية؛ لأن حاجتهم المستمرة إلى أساطيل تلك المدن ضيق خياراتهم، وحدّ من قدراتهم على المناورة.

وحظيت قضية تجارة السلاح بمناقشات ومداولات في المجامع الدينية للكنيسة الكاثوليكية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وأصدر مجمع اللاتيران الثالث Third Council of the Lateran 574هـ/ 1179م، ومجمع اللاتيران الرابعFourth Council of the Lateran 612هـ/ 1215م، ومجمع ليون الأولFirst Council of Lyon 642هـ/ 1245م، ومجمع ليون الثاني Second Council of Lyon 672هـ/ 1274م أحكامًا وتشريعات كنسية تُحرم على التجار المسيحيين بيع المواد الإستراتيجية إلى المسلمين[16].

ولطالما نادى بابوات روما بحظر تجارة السلاح، وأصدروا كثيراً من التعليمات الدينية والتحريمات الكنسية ضد التجار الذين استمروا في إمداد المسلمين بالأدوات الحربية التي شكلت تهديدًا خطيرًا للأمن الصليبي، وألحقت أضرارًا بالغة بالصالح المسيحي العام[17]، ووصلت التهديدات البابوية ذروتها في عهد البابا انوسنت الثالث Innocent III ( 595 – 613هـ/ 1198 – 1216م )، والبابا نيقولا الرابع Nicolaus IV ( 687 - 691هـ/ 1288 – 1292م)[18].

ولم يقتصر الحظر العسكري على المواد الاستراتيجية؛ بل شمل الأفراد المحاربين والخبراء وربابنة البحر من ذوي المهارات العسكرية[19]، وبالطبع استهدفت هذه الإجراءات الفرنجة الذين عملوا صُناعًا للأسلحة، وجنودًا مرتزقة في الجيوش والأساطيل الإسلامية[20].

وأوصى دعاة الحروب الصليبية قي كتبهم وخططهم ومشاريعهم بفرض حصار اقتصادي شامل على مسلمي مصر والشام، وتخصيص سفن حربية لمراقبة البحار، ومحاربة تجارة الأسلحة والمواد الأساسية للصناعات الحربية بهدف إضعاف السلطنة المملوكية، وتدمير مقوماتها الاقتصادية، وشل قدراتها العسكرية[21] ويعد البندقي مارينو ساندو Marino Sanudo من أبرز الدعاة المتحمسين لمشروع الحظر الشامل لسائر الأنشطة التجارية والحربية[22].

وتماشيًا مع التوجيهات البابوية، والمراسيم الكنسية، والأوامر الملكية، وكُتب الدعاية الصليبية، اضطرت الأمم التجارية إلى مسايرة رغبات التيارات الصليبية، وأصدرت المدن التجارية الإيطالية قرارات بتحريم تجارة السلع الحيوية مع المسلمين، وحذت حذوها المدن البحرية في فرنسا وأسبانيا والبلاد الإسكندنافية، وانتهجت مملكتي أرمينيا وصقلية السياسة نفسها[23] استعملت دويلتا قبرص ورودوس الصليبيتان قواعد مهمة لمداهمة السفن المشبوهة، ومطاردة تجار السلاح في عرض البحر المتوسط[24]، على الرغم من كل هذه التدابير، وعلى الرغم من كل هذا الحشد الهائل من الضغوطات المختلفة استمرت حركة تجارة الأسلحة بصورة غير منتظمة، وبوتيرة أقل من السابق، وخلال فترات متفرقة، وبوسائل ملتوية.

ويلاحظ كثافة الضغوط الصليبية، مقارنة بنوازل وفتاوى الممانعة الإسلامية؛ مما يعكس بجلاء أن انسياب الأسلحة كان غالبًا باتجاه واحد، أي من القوى المسيحية إلى الأطراف الإسلامية، وهو ما يؤشر إلى الثقل الحربي للمسيحيين الغربيين، وغنى بلادهم بالموارد الإستراتيجية، وتطور مصنوعاتهم العسكرية.

ومن ناحية الخط الزمني، يلاحظ تصاعد الضغوط الصليبية وارتفاع مستوياتها، وزيادة نسبتها، والتشديد في عقوباتها أثناء توجه الحملات الصليبية إلى الشرق، وعقب الانكسارات الصليبية، ومع تصاعد نمو القوة الإسلامية في الشرق، وتراجع القوى الصليبية، وبدأ العد التنازلي للوجود الصليبي، وبعد تصفية الجيوب الصليبية.

ولم تكتفِ البابوية بتلك الإنذارات والمراسيم والتنظيرات؛ بل حولت تلك الخطط إلى برامج عملية، فأمرت بتعليق تلك التوصيات والقرارات والقوانين في الموانىء، ومداخل أمكنة العبادة المسيحية، وإعلانها في الاجتماعات والمناسبات، وأيام الآحاد والأعياد في المدن البحرية، وألزمت المدن التجارية بإدراج قوانين تحريم التجارة الحربية ضمن تشريعاتها المحلية، واشترطت حصول المراكب والسفن المسيحية على تصاريح مزاولة التجارة مع الشرق المسلم، وأجبرت التجار وملاك السفن أو وكلاءهم على القسم بخلو مراكبهم من المواد الحربية، وخولت السلطات الكنسية صلاحيات واسعة لفرض رقابة صارمة على تجارة السلع الحربية، وأغرت القراصنة باعتراض السفن ومطاردتها وأسرها، ونهب محتوياتها الحربية[25].

وعلى الرغم من كل تلك التدابير فإن تُجار الأسلحة لجأوا إلى حيل وأساليب التفافية للإفلات من الحظر؛ فنمت التجارة السرية التي تتم بالخفاء، وأخفيت المواد المحظورة وسط أو تحت السلع المشروعة، وضُللت الجهات الرقابية عبر إيهامها بالإبحار إلى بلدان مسموح المتاجرة معها، وتمت التجارة أحيانًا عبر وسطاء لا تحوم حولهم الشبهات، استعملت الجزر المتناثرة في البحر المتوسط محطة ومنطلقاً لتهريب السلاح إلى المسلمين، كما تم تهريب السلاح المسيحي عبر شحنه بالسفن الإسلامية حتى لا يكون هناك ملامة على تجار ومالكي السفن الغربية أمام الجهات الكنسية، وخُدعت الرقابة الكنسية عن طريق إخفاء تسجيل السلع الحربية وعدم تدوينها في العقود التجارية، والسجلات البحرية، والوثائق الرسمية[26].

ولطالما عدت التشريعات الكنسية إمداد الأعداء بالسلع الحربية ذنبًا وخطيئة، وحطت السلطات الكنسية والكتابات المسيحية من شأن المتاجرين بالأسلحة، ووصمتهم بالهرطقة والكفر والفجور، ووصفتهم بالسفلة الشريرين، والخونة الآثمين، والمسيحيين الزائفين، والملحدين المارقين[27]،وأشارت إلى أنهم مطرودون من رحمة الكنيسة، وتجارتهم ملعونة؛ لممارستهم أعمال لا تليق بالاسم المسيحي[28] وفي الجانب الإسلامي اعتبرت المدونات الفقهية أن من يزود الحربيين بالزاد والطعام فاسق، ومن يبع لهم آلات الحرب ليس بمؤمن[29] وتوعدتهم بالعقوبات الدينية والدنيوية والأخروية؛ كونهم تنكروا لشريعتهم، وخالفوا سنة نبيهم، وباعوا دينهم بدنياهم.

وحاولت السلطات الكنسية منع تجارة السلاح مع المسلمين عبر تشريع سلسلة من الجزاءات والعقوبات على مهربي الأسلحة، وتنوعت العقوبات في القوانين المدنية والكنسية، فسنّت مملكة بيت المقدس عقوبة الإعدام لمهربي الأسلحة، وصادرت بضائعهم[30] وشرعنت حكومة البندقية عقوبة نفي مهربي الأسلحة، وتغريمهم، ومصادرة أموالهم، وسمحت باستعبادهم، وحرق سُفنهم[31] وشرّعت البابوية والمجامع الكنسية عقوبة الحرمان التي بموجبها يُحرم المدانون من حقوقهم المدنية، ويُسمح باستعبادهم وفقدانهم لحريتهم الشخصية، ويُجردون من أهليتهم، وتُصادر أملاكهم،ويُحرمون من الشهادة والوصية والإرث، ويُعزلون من وظائفهم العامة، ويُشهر بهم في الأمكنة العامة، ولا يحق لهم الأوبة والتوبة إلا بعفو من البابا نفسه، شريطة أن يتنازلوا عن أموالهم التي جنوها من التجارة المحرمة، وما ترتب عنها من أرباح ومكاسب لصالح الحملات الصليبية والأراضي المقدسة[32]، وفي الجانب الإسلامي، صادرت السلطات المملوكية أموال علم الدين سنجر الشجاعي[33] وعزلته من نيابة دمشق عام 687هـ/ 1288م لبيعه السلاح للفرنج[34]، وحكم القضاء المملوكي بإعدام الخواجا نور الدين علي التبريزي ( التوريزي )[35] عام 832هـ/ 1429هـ؛ لتورطه في عمليات تهريب الأسلحة إلى مملكة الحبشة[36]، وهناك عدة إشارات ووقفات يجب التوقف عندها كون أكثرها توقعات وفرضيات أكثر من كونها حقائق وقطعيات.

وأول تلك الوقفات أنه لا يمكن الجزم بمدى تطبيق تلك العقوبات في الواقع العملي، والحقيقة إن التكرار المستمر للمراسيم البابوية والإنذارات الكنسية والتهديدات الرسمية، توحي بأن العقوبات لم تطبق بصورة دقيقة، وبجدية صارمة، وفي أوقات مستمرة، وفي أشكال رادعة.

ويبدو أن التراخي في تطبيق العقوبات يعود إلى احتمالات عدة؛ فإما أن هذه العقوبات وضعت للردع والزجر أكثر مما هو للتطبيق العملي، أو أن الأمم التجارية اضطرت لمجاراة البابوية والسلطات الكنسية، دون أن يكون لها نوايا فعلية، ومصالح حقيقية لتفعيلها في أرض الواقع، أو أن الإغراءات المالية كانت هائلة مما هون من اختراق الحظر من جهة، وسهل من شراء صمت الجهات الرقابية والعدلية من جهة أخرى.

ويلاحظ أن عقوبة المتورطين بتجارة الأسلحة غير المشروعة في الجانب المسيحي، قننتها المجامع الدينية المسكونية والتشريعات الكنسية، والقوانيين المدنية، في حين منحت القواعد الفقهية الإسلامية ولاة أمور المسلمين سلطة تقديرية واسعة لتحقيق العدالة، ومراعاة مقتضيات النظم الإسلامية، والمصالح العامة للأمة المسلمة.

وتنوعت عقوبات التجارة غير المشروعة بالسلاح، وتعددت صورها؛ ما بين عقوبات بدنية مثل الإعدام، وعقوبات سالبة أو ماسة بالحرية كالاستعباد والنفي، والسجن، والعقوبات الماسة بالحقوق؛ وهي الحرمان من الأهلية والحقوق المدنية، وعقوبات معنوية كالتشهير، وعقوبات مالية كالغرامة والمصادرة، وإتلاف المال، وعقوبات إدارية تتمثل في عزل المتورطين من مناصبهم الرسمية.

ومن المؤكد أن المنافع الدنيوية الهائلة والفوائد والأرباح الضخمة، والمصالح المتراكمة والمتشعبة، وتجذر العلاقات التجارية، وتخوف المدن التجارية من ركود اقتصادها، فضلاً عن إلى الحوافز المغرية، والتشجيعات المستمرة، والتسهيلات الجبائية، والتخفيضات الضريبية التي قدمتها السلطات الإسلامية، فضلاً عن غلبة المطامع الدنيوية على الفئات التجارية، وتدهور مكانة البابوية، وفقدانها لكثير من هيبتها ومصداقيتها واحترام الناس لها، وعجزها عن تنفيذ قراراتها، كل ذلك أسهم في قلة فاعلية الحظر التجاري

الغربي للسلع الحربية[37] كما أن قيام بعض رجال الدين في المدن التجارية بغفران خطايا المتورطين في التجارة غير المشروعة مع المسلمين، شجع المهربين على الاستمرار في تجارتهم، وشراء الغفران بالمال[38]، ويبدو أن افتقار الحظر لآليات ووسائل فاعلة للمراقبة والمتابعة والمحاسبة، وتعدد الجهات الموكول إليها تطبيق الحظر، وتأصل روح العداء والتنافس التجاري بين الأمم الغربية، فتح منافذ ومسارب ظاهرة وباطنة لتجارة السلاح وتهريبه.

## نتائج حظر تجارة السلاح وتداعياتها:

كان لتجارة المواد الحربية، والجهود التي بذلت لحظرها في عصر الحروب الصليبية نتائج وتداعيات دينية وسياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية، متشعبة ومتعددة الجوانب على المستوى الإقليمي والدولي.

فقد أورثت المكاسب المادية الهائلة الناتجة عن تجارة المواد الحربية تجار الأسلحة الجشع، وأفقدتهم الوازع الديني، وتغافل أولئك التجار عن حقيقة أن الإتجار غير المشروع بالسلاح الذي يبيعونه للمحاربين المخالفين لهم في الدين سيوجه حتمًا إلى أبناء ملتهم، وسيضر بقضيتهم الدينية.

فلم يتردد العز بن عبد السلام في إصدار فتوى بتحريم بيع السلاح للفرنج، وامتنع عن الدعاء للصالح إسماعيل بخطبة الجمعة بجامع دمشق؛ لسماحه للفرنج بشراء السلاح من أسواق دمشق[39]، ولطالما حرَّمت المؤسسات الدينية الإسلامية والمسيحية بيع الأسلحة للأعداء، ولا شك في أن الفئات التجارية المتدينة التزمت بهذا الحظر؛ صيانة لدينها، ومراعاة لوشائج الأخوة الإيمانية، فالتجارة المربحة بالسلاح مثلت امتحانًا حقيقيًا للمتدينين المتعيشين من تجارة السلاح.

وكان للمتاجرة بالسلاح مع الأعداء تداعيات سياسية؛ إذ أدت تلك التجارة غير المشروعة إلى نمو معارضة شعبية للحكام المتورطين فيها بشكل أو بآخر، فلم يكتف الصالح إسماعيل الأيوبي حاكم دمشق (636-642هـ/ 1239-1245م) بمهادنة الفرنجة، والسماح لهم بشراء الأسلحة من أسواق دمشق؛ بل لجأ إلى قمع مشيخة العلماء الذين عارضوا سياسته؛ فعزل العز بن عبد السلام من الخطابة، ومنعه من الفتوى ومقابلة الناس، وفرض عليه إقامة جبرية في داره[40]وتوسعت دائرة عدم القبول للصالح إسماعيل في

الأوساط الشعبية بسبب هذه التصرفات الرعناء، وهو ما صب في صالح غريمه السلطان الصالح أيوب (637 – 647هـ/ 1240 – 1249م) الذي فتح أبواب مصر للعز بن عبد السلام[41]،وانتهج سياسة معادية للطموحات الفرنجية في القوة والتوسع.

وخضعت مبيعات السلاح المحظورة للعبة المناورات والتحالفات المتغيرة والمتبدلة بحسب ما تفرضه موازين القوى العسكرية والاقتصادية المؤثرة، وطبيعة مصالح الجهات المصدرة والموردة للمواد الحربية، ولطالما ارتكزت تجارة السلاح على المصالح، مما جعل سياسة المدن البحرية الغربية لا تسير على وتيرة واحدة؛ فلم يكن لها عداوة دائمة مع المسلمين، كما لم يكن لها صداقة دائمة معهم؛ إذ أسهمت السياسات المتقلبة التي تراوحت بين حظر تجارة الأسلحة وإباحتها في إعادة ترتيب شبكة العلاقات والتحالفات بين القوى المتصارعة في الشرق الإسلامي، وسمحت بنمو العلاقات بين الدول المصدرة والمستوردة للأسلحة، فنشطت حركة السفارات الدبلوماسية، وعُقدت الاتفاقيات والمعاهدات[42].

وأسهم انسياب السلاح المسيحي وتهريبه إلى القوى الإسلامية في تغذية عدم الثقة بين القوى المسيحية المتنافسة أو المتعادية[43] وأدى الصدام بين القوى الصليبية المتحمسة للحظر العسكري، والقوى المسيحية المتضررة منه إلى تغذية روح العداء بين الأمم المسيحية على خلفية منافساتها السياسية والتجارية.

واستفاد المسلمون من التناقضات بين تلك القوى لخرق الحصار العسكري، وتعزيز أدواتهم الحربية، وأنشطتهم العسكرية، وتوظيفها في جهادهم، فلا شك في أن السلاح الفرنجي الغربي كان له دور في طرد المستوطنين الفرنجة من الشرق الإسلامي.

وتبادلت القوى المسيحية الاتهامات حول الدور الذي لعبته تجارة الذخيرة الممنوعة في تصاعد القوة الحربية الإسلامية، والتآكل المستمر للمساحة الجغرافية للمستوطنات الصليبية، واستنزاف قوتها البشرية والعسكرية في نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي[44]،مما أدى إلى قيام رجال الفكر والسياسة والحرب في العالم المسيحي الغربي بإعداد سلسلة من المشاريع العسكرية[45] التي تمحورت حول حرمان المسلمين من التسلح، واستنزاف قواهم العسكرية، ومواردهم الاقتصادية.

وشنَّ المماليك سلسلة من الحملات العسكرية ضد أرمينيا وقبرص ورودوس انتقامًا من هذه الدويلات المسيحية التي انتهجت سياسة معادية تجاه المماليك، وفرضت حظرًا اقتصاديًا وعسكريًا على مصر والشام[46] ولا شك في أن السياسة الغربية الهادفة لمنع تصدير السلاح إلى القوى الإسلامية أدت إلى إضعاف البحرية الإسلامية طيلة فترة الحروب الصليبية.

ووفرت تجارة السلاح، والإجراءات التي اتخذت لمكافحته، فرصة للبابوية لفرض وصايتها على المدن الأوربية المصدرة للسلاح؛ فتدخلت في رسم سياستها، وصياغة قوانينها، ومحاكمة مواطنيها[47]، مما وسع من النفوذ السياسي للبابوية، وعزز سموها وسيادتها على العالم المسيحي الغربي.

وبالتأكيد كان لتجارة المواد الحربية المحظورة نتائج اجتماعية؛ فلم يكن يُنظر باحترام وتقدير للتجار الذين يزودون الأعداء بالسلاح[48]،بينما كان النجاح في استيراد المواد الحربية من الأعداء مدعاة للمباهاة والفخر والإعتزاز[49]، ولطالما عدُ خرق حظر تسليح الأعداء من الجرائم الضارة بالمصالح العليا للأمة؛ وأدت تلك الخروقات إلى سخط المجتمعات الإسلامية والصليبية وتذمُّرها[50].

وكان لمحاربة تجارة الأسلحة إنعكاس على ظاهرة العبودية؛ إذ لا يستبعد أن تؤدي تلك الجهود إلى فقدان بعض العاملين في تجارة الأسلحة لحريتهم بعد أن أجازت القوانين الكنسية استعبادهم[51] ومن ناحية أخرى أدت مكافحة تجارة الأسلحة إلى تراجع تجارة العبيد؛ لارتباطها المباشر بتجارة المواد الحربية من وجهة النظر الغربية[52] فالسياسة الغربية استهدفت حرمان المسلمين من المصادر البشرية والحربية التي تعزز من قدراتهم العسكرية.

وكان لحظر تجارة المواد الحربية تأثيرات اقتصادية؛ إذ أسهم الحظر في ارتفاع أسعار المواد الحربية، وهو ما أدى إلى تسهيل عجلة النمو الاقتصادي وتسريعها، وتحفيز التبادل التجاري بين الشرق والغرب، فأنعشت اقتصاديات الأمم البحرية الغربية التي حصلت على امتيازات مقابل التزامها بتسهيل عملية تهريب الأسلحة إلى المسلمين[53].

وأسهمت تجارة السلاح الغربي المحظورة في إصلاح الميزان التجاري بين الشرق والغرب؛ فقبل عصر الحروب الصليبية كان حجم واردات الغرب من الشرق أكثر من حجم صادراته، لكن الصادرات الحربية الغربية إلى الشرق الإسلامي، زمن الحروب الصليبية وفرت عائدات مهمة لشراء البضائع الشرقية، وحققت نوعًا من توازن الميزان التجاري بين شقي العالم[54] لقد كان خرق الحظر العسكري المفروض على المسلمين مغريًا للمدن التجارية التي انتهجت سياسة التجارة التبادلية؛ لأنه حقق لها قوة شرائية، وظفتها في دوران عجلة اقتصادها، وتراكم ثرواتها.

وعلى الرغم من كل الجهود لحظر تجارة الأسلحة، فقد كانت الحروب بين المسلمين والفرنجة فرصة لرواج تجارة السلاح، وجنى التجار أرباحًا هائلة، وارتفعت أسعار المواد الأولية لصناعة السلاح، وازدادت مداخيل صُناع الآلات الحربية، وتحسنت مستوياتهم المعيشية، وتوافرت فرص عمل للصُناع والحرفيين[55].

وكان لتجارة السلاح نتائج سلبية على التنمية التجارية؛ فالقوى المتضررة من تجارة السلاح فرضت عقوبات اقتصادية على الأمم التجارية، ووضعت عراقيل أمام حرية التجارة العالمية[56] وتوسع الحظر العسكري ليصير حظرًا اقتصاديًا شاملًا، مما ألحق أضرارًا كبيرة بالحركة الاقتصادية في الشرق والغرب[57].

ومن النتائج الاقتصادية التي ترتبت على حظر تجارة الأسلحة، استفحال ظاهرة القرصنة في مياه البحر المتوسط؛ نتيجة تشجيع البابوية لهجمات القراصنة على السفن التي يشتبه في نقلها السلاح إلى المسلمين[58]،ولا شك في أن القرصنة لم تقتصر على السلع الحربية الممنوعة؛ بل أستغلت للإضرار بالمنافسين التجاريين، ونهب بضائعهم وممتلكاتهم تحت غطاء محاربة التجارة غير المشروعة، ومن المحتمل أن تلك القرصنة المنظمة أسهمت بتراجع النشاط الاقتصادي في المدن التجارية الساحلية الشامية والمصرية وركوده.

أدت تجارة المواد الحربية وما لازمها من جهود لمكافحة هذه التجارة دوراً مهمًا في الحراك القانوني الهادف إلى كبح تهريب السلاح والمتاجرة به في الوسط الإسلامي والفرنجي، وشرعت سلسلة من النصوص التشريعية والقوانين الكنسية والمدنية التي أسهمت في تنظيم الأصول والقواعد والمفاهيم القانونية المتعلقة بتجارة السلاح وتطويرها.

**وفي الختام نشير لأهم نتائج البحث: -**

- استمرت تجارة الأسلحة والمواد الحربية بين المسلمين والفرنجة متحدية المراسيم البابوبية ومتجاوزة الفتاوى التحريمية، ووصلت في بعض المراحل التاريخية إلى مستويات هائلة.

- أثبتت الدراسة قوة الفئات والمجتمعات التجارية التي استطاعت تقويض المعايير والتعاليم الدينية التي تحكم العلاقات الإسلامية الصليبية من أجل أغراض ومصالح تلك الشرائح النفعية.

- لم تحقق الجهود المبذولة لمنع تجارة السلاح والعقوبات المفروضة على تلك التجارة نجاحات كبيرة؛ لعدم وجود جهات فرنجية محددة ومحايدة ومختصة تقوم بفرضها وتطبيقها.

- مارس الحكام المتدينون، المسلمون والصليبون، سياسة ممنهجة تهدف إلى منع تصدير المواد الحربية إلى الأعداء، وتشجيع القوى الأقل عداءً على توريد السلاح إلى بلدانهم؛ وهي سياسة لا تتسم بالتناقض وازدواجية المعايير؛ بل تتسق مع قناعاتهم الإيمانية، وعقيدتهم العسكرية.

- تصاعدت جهود مكافحة تجارة السلاح والمواد اللازمة لصناعته مع مرور الزمن، وتوسعت قوائم المواد الحربية المحظور المتاجرة بها في أواخر عصر الحروب الصليبية.

- كُسر حظر التسلح من جهات رسمية، وجهات شعبية، وتم ذلك بوسائل مباشرة وغير مباشرة، وبطرق سرية وعلنية.

- لم تسر سياسة حظر تجارة السلاح بخط ثابت، وميزان دقيق؛ بل تأثرت بالمؤثرات السياسية، والحسابات الاقتصادية، والموازين العسكرية، وقوة الروح الصليبية أو ضعفها.

- تعكس السياسة المتقلبة والمضطربة للمدن الإيطالية آمالها ومطامعها ومخاوفها التي لا تستند إلى مبادئ ثابتة، بقدر ما تعبر عن موازين القوة المتحولة والمتبدلة.

قلل التنافس التجاري والسياسي بين الأمم الغربية من طموحات البابوية الهادفة إلى فرض حصار عسكري فاعل على مُسلمي الشرق الإسلامي؛ إذ نجحت القوى الإسلامية في استثمار التباينات المسيحية، وتوظيفها لضمان تدفق المواد الحربية، وتنويع مصادر تسلحها، وخرق الحصار العسكري الغربي.

– يعكس تكرار كسر القوى الغربية لحظر تجارة الأسلحة مع المسلمين فتور الروح الصليبية، وغلبة الاعتبارات والمصالح المادية.

كان هناك ترابط جلي بين تراجع القوى الصليبية، واختلال ميزان القوى لصالح المسلمين، وتصاعد النشاط الغربي على المستويات الدينية والزمنية لحرمان المسلمين من كل عدة وكل سلاح، لكن كثيرًا ما ضعفت نفوس تجار الأسلحة أمام إغراء المغانم المالية والامتيازات الاقتصادية التي قدمتها بسخاء السلطات الإسلامية؛ وهو ما ساعد على استمرار المتاجرة بالمواد الحربية الاستراتيجية.

رأت المؤسسات الدينية والسلطات الزمنية أن حظر المتاجرة بالسلاح لا يمثل خرقًا للنظام الاقتصادي، ولمبدأ حرية التجارة السائد في العصور الوسطى في الشرق والغرب؛ بل هو إجراء ضروري لردع التجار الذين يسيئون استعمال حرية المرور، ويتاجرون بالسلع الممنوعة.

توسع الحظر الحربي ليشمل الخبراء العسكريين، وقباطنة السفن الذين يمكن الاستعانة بخبراتهم في مهام عسكرية مباشرة أو في أعمال التصنيع والدعم والإسناد، وشمل الحظر المنتجات العسكرية، والمواد الحساسة ذات الاستعمال المزدوج.

أسهم غياب الرؤية الشمولية الجامعة للدين والحرب، والسياسة والاقتصاد في العصور الوسطى في عدم وضوح التصورات والقيم والموازين التي تحكم العلاقات الإسلامية الصليبية؛ وهو ما وفر فرصًا، ومبررات لخرق الحظر العسكري، وعبور الحدود الحاجزة بين الإسلام والمسيحية.

## الهوامش والإحالات:

1) عادل زيتون: أضواء على العلاقات التجارية بين السلطنة الأيوبية وجمهورية البندقية 1171 – 1250م، دراسات تاريخية، العدد 2، 1980م، ص135؛ سهير محمد نعينع: الحروب الصليبية المتأخرة حملة بطرس الأول لوسنيان على الإسكندرية، 747هـ/ 1365م، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2002م، ص338؛ إبراهيم حسن سعيد: البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص 45؛ عبد العزيز سالم و أحمد مختار العبادي: البحرية الإسلامية في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1696م، ص125؛ وانظر أيضًا:

Robbert, L.B : "Venice and the Crusades", In : A History of the Crusades, Vol. V, The Impact of the Crusades on the Near East, ed. by : Setton, London, 1985, p.394.
Kruegar H. C: The Italian cities and the Arabs before 1095 », in: A History of the Crusades: The First Hundred Years, Vol. I, ed. by : Setton, (Pennsylvania, 1955, p. 47.
Gibb H. : « The Caliphate and Arab States », in : A History of the Crusades, volume. I, Ed. by: Setton, (London, 1969), p.96.

2) علي السيد على: العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، عين للدراسات، القاهرة، 1996م.، ص 11؛ سعد رمضان محمد الجبوري: معادن بلاد الشام خلال الحروب الصليبية 490 – 690هـ / 1097 – 1290م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد 12، العدد 4، 2013م، ص 429؛ رشا عبد الفتاح محمد حسين: الآثار الاجتماعية للحروب الصليبية، ( دراسة على مجتمعات بلاد الشام )، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 2006م، ص 111 – 112؛ محمود محمد الرويضي: قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، العدد 41، يوليو 2001م، ص 577؛ وانظر أيضًا:

Abulafia, D.: « Trade and Crusade. 1050-1250, » in: Cross Cultural Convergences in the Crusader Period, ed. by: M.E. Goodich, New York, 1995, p 20.

3) سانوتو(ت:738هـ/ 1338م): مارينو سانوتو: كتاب الأسرار للمؤمنيين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ 36، ص 76؛ سمير علي الخادم: الشرق الإسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرقي البحر المتوسط 1450 – 1517م، دار الريحاني، بيروت، 1989م، ص 423؛ هايد: التجارة في الشرق الأدنى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991م، جـ 2، ص 253..

4) عن الدوافع الساسية والعسكرية، انظر: محمد فوزي رحيل: نهاية الصليبيين (فتح عكا 648 – 690هـ/ 1250 – 1291م)، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2009م، ص 121؛ أحمد عبد الله أحمد: النظم المالية في مدن

الساحل الشامي القرنان 12، 13م، بحث ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى الأوربية وعلاقاتها بالشرق، كتاب تذكاري مهدى تكريمًا للأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013م، ص42؛ وانظر أيضًا:

Aulafia : Trade, p.17.

5) عن امتناع القوى الأوربية عن تزويد المسلمين بالأسحة أحيانًا، انظر: جوناثان فيليبس: الشرق اللاتيني 1098 – 1291م، ضمن كتاب تاريخ اوكسفورد للحروب الصليبية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات، القاهرة، 2007م، ص 177؛ هنري بيرين: تاريخ أوربا في العصور الوسطى ( الحياة الاقتصادية والاجتماعية )، ترجمة وتحقيق: عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996م، ص24.

6) الأنصاري ( ت: 182هـ/ 798م): أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: الرد على سير الأوزاعي، عني بتصحيحه والتعليق عليه: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، (د.ت)، جـ 1، ص62 ؛ السَّنَامي (ت: 734هـ/ 1334م): عمر بن محمد بن عوض: نصاب الاحتساب، تحقيق: مريزن عسيري، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، 1986م، جـ 1، ص 282؛ اليعمري (ت: 799هـ/ 1397م): إبراهيم بن علي بن محمد: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1986م، جـ2، ص 159؛

7) الأنصاري: الرد على سير الأوزاعي، جـ 1، ص 62؛ الناصرى، (ت: 1315هـ/ 1892م )، أبو العباس احمد بن خالد: الاستقصى ا لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق و تعليق: جعفر الناصرى، محمد الناصرى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، جـ 2، ص 184.

8) السبكي، ت :771 هـ/ 1369م ): أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطنامي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2،1992م، جـ 8، ص 243.

9) القلقشندي(ت 821هـ/ 1418م): أحمد بن علي بن أحمد الفزاري: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، 1987م، جـ 7، ص 225.

10) حاتم عبد الرحمن الطحاوي: الصليبيون في بلاد الشام، صفحات من النشاط الاقتصادي، مجلة الاجتهاد، العدد الثالث والثلاثون، السنة الثامنة، خريف 1996م، ص100؛ هايد: التجارة، جـ 2، ص 35؛ ستيفن رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1994م، جـ 3، ص 413؛ برنارد لويس: إكتشاف المسلمين لأوروبا، ترجمة: ماهر عبد القادر، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1996م، ص221 ؛ وانظر أيضًا:

Atiya A.S: Crusade, Commerce, and Culture, Indiana, 1962, p.99.

11) هايد: التجارة، جـ2، ص45؛ كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة: أحمد الشيخ، سينا للنشر، القاهرة،1995م، ص 163؛ إتش ماير: تاريخ الحملات الصليبية، تعريب: محمد فتحي الشاعر، دار الأمين، القاهرة، 1999م، جـ1، ص 167؛

Abulafia : Trade, p.17.

12) عادل زيتون: البندقية، ص 141؛ يوشع براور: الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس)، ترجمة: عبد الحافظ البنا، عين للدراسات، القاهرة، ط1، 2001م، ص 597؛ هايد: التجارة، جـ 2، ص 56؛ وانظر أيضًا:

Robbert : Venice, p.442.
Thomas C, Van Cleve.: «The Fifth Crusade», in: A History of the Crusades, volume. II, ed. by: Setton, London, 1969, p.383.

13) هايد: التجارة، جـ 2، ص 266؛ عمار محمد النهار: دور أهل الذمة والجاليات الغربية ودورهم في عصر المماليك، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان 135، 136، يونيو 2014م، ص 255؛

Atiya : Calture, p.99.
Day J.: The Levant Trade in the middle Ages, Washington, 2002, p.809.
Robbert : Venice, p.446.

14) جمال فاروق السيد محمد الوكيل: تطور إستراتيجية الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادي في ضؤ كتاب مارينو سانودو، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، 2006م، ص 39؛ هايد: التجارة، جـ2، ص 74، 264؛ وانظر أيضًا:

Atiya: culture, p.99.
Atiya A.S.: The Crusade in the later middle Ages, London, 1938, p.115.
Lapidus, Ira.: Muslim Cities in the Later Middle Ages, London, 1984 , p.23.

15) بادربون(ت:624هـ/ 1227م): اولفر أوف بادربون: الاستيلاء على دمياط، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ33، ص 84؛ أمينه أحمد إمام الشوربجى: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي (358-567هـ/ 969-1171م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، ص368؛ وانظر أيضًا:

Werthmuller K.J : Coptic Identity and Ayyubid Politics in Egypt, 1218-1250, Cairo, 2010, p.91.
Abulafia : Trade, p.17.
Robbert : Venice, p.399.

16) متى الباريسي، ت :672هـ/ 1273م: التاريخ الكبير، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، ص1871.، جـ47، ص 786؛ ويندوفر (ت 635هـ/ 1237م): روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر،

دمشق، 1995م، جـ 44، ص 298؛ الرويضي: قررات البابوية، ص 576؛ حاتم الطحاوي: الصليبيون في بلاد الشام، ص 101؛ الخادم: الشرق، هامش 4، ص 421 – 422؛ هايد: التجارة، جـ 2، ص 36؛ وانظر أيضًا:

Baldwin M.W.: «The Decline and Fall of Jerusalem, 1179 -1189», in: A History of the Crusades, volume. 1, ed. by: Setton, London, 1969 , p.596.
Tolan J.V.: Saracens: Islam in the Medieval European Imagination, New York, 2002, p.198.

17) على أحمد محمد السيد: المشروع الصليبي لمقدم الاسبتارية فولك دوفيلاريه 1305 – 1308م دراسة تاريخية تحليلية، بحث ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى الأوربية وعلاقاتها بالشرق، كتاب تذكاري مهدى تكريمًا للأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013م، ص 241؛ الخادم: الشرق، ص 421؛ الوكيل: إستراتيجية الحروب الصليبية، ص 35؛ وانظر أيضًا:

Baldwin M.: Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, in: A History of the Crusades, Vol. V, ed. by: Setton, London, 1985, p.498.
Lower M.: The Papacy and Christian Mercenaries of Thirteenth-Century North Africa, in: Speculum 89(03), July 2014), p.605.

18) فابري (ت: 888هـ/ 1483م): فيلكس فابري: جولات الراهب الدومينيكاني ورحلاته، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ 43، ص 1181؛ الرويضي: البابوية، ص581؛ عادل عبد الحافظ حمزة: الحرمان الكنسي في العصور الوسطى حتى نهاية النصف الأول من القرن 13م (أصوله – أنواعه – أستخداماته – نتائجه)، مجلة كلية الآداب جامعة حلوان، العدد 5، يناير 1999، ص 439؛ نعينع: الحروب الصليبية المتأخرة، ص 60؛ وانظر أيضًا:

Lower: Papacy and Christian Mercenaries, pp.605-606.
Inalcik H.: The Ottoman Turks and the crusades, 1329-1451, In a History of the Crusades. Vol. VI, ed. by: Setton, London, 1989, p223.

19) متى الباريسي: التاريخ الكبير، جـ 47، ص 786؛ فابري : ضمن الموسوعة، جـ 40، ص 359؛ حاتم الطحاوي: الصليبيون في بلاد الشام، ص 101؛ هايد: التجارة، جـ 2، ص36.

20) عن عمل الفرنجة لدى القوى الإسلامية، انظر: ابن الطوير( ت: 617هـ/ 1220م): أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، حققه: أيمن فؤاد السيد، دار صادر، بيروت، 1992م، ص 141؛ فابري: ضمن الموسوعة الشامية، جـ40، ص 359.

Lower : Papacy and Christian Mercenaries, p.604.

21) محمد علي الشيخي: مشروعات دعاة الحروب الصليبية في القرنيين الثالث والرابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صنعاء، 2001م، ص 57، 106، 120؛ علي أحمد السيد: المشروع الصليبي لمقدم الإسبتارية، ص 240؛ وانظر أيضًا:

Daniel N.: « Crusade Propaganda, » in : A History of the Crusades, volume. VI, ed. by: Setton, London, 1989, p.91.
Atiya : Middle Ages, pp.56, 66.

22) مارينو: الأسرار، ص 82 – 92؛ الوكيل: إستراتيجية الحروب الصليبية، ص 94.

23) سعيد عبد الفتاح عاشور: الحصار الإقتصادي علي مصر زمن الحروب الصليبية، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحد البحري، بيروت، 1977 م، ص 154؛ الشيخي: مشروعات، ص 53؛ الوكيل: إستراتيجية الحروب الصليبية، ص 39؛ إبراهيم حسن: البحرية، ص208؛ هايد: التجارة، جـ 2، ص 37، 250، 264؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ3، ص 492.

24) هايد: التجارة، جـ 2، ص257 – 259؛ وانظر أيضًا:

Housely N.: The later Crusades 1274-1580, Oxford, 1992, p.215.

25) متى الباريسي: التاريخ الكبير، جـ 47، ص 786؛عادل عبد الحافظ: الحرمان الكنسي، ص 439؛ الرويضي: البابوية، ص 581؛ الوكيل: إستراتيجية الحروب الصليبية، ص 37 – 38؛ سليم: الشرق، ص 440 – 441؛ وانظر أيضًا:

Lapidas : Cities, p.23.

26) متى الباريسي: التاريخ الكبير، جـ 47، ص 786؛ مارينو: الأسرار، ص 78، 83؛ عادل عبد الحافظ: الحرمان الكنسي، ص 439، 577؛ الرويضي: البابوية، ص 598؛ براور: الاستيطان، ص475؛ هانس ابرهارد ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق: عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، طرابلس الغرب، 1990م، ص317؛ كاهن: الشرق، ص 170؛ وانظر أيضًا:

Robbert : Venice, p.442.

27) مارينو: الأسرار، ص 79، 81، 85؛ الشيخي: مشروعات، ص 54؛ علي أحمد السيد: المشروع الصليبي لمقدم الاسبتارية، ص 240؛ الخادم: الشرق، ص 447؛ هايد: التجارة، جـ2، ص266؛ وانظر أيضًا:

Lower: The Papacy and Christian Mercenaries, p.605.
Atiya : Middle Ages, p. 66.

28) متى الباريسي: التاريخ الكبير، جـ47، ص 787؛ الشيخي: مشروعات، ص 24؛

29) القيرواني (ت: 386هـ/ 996م) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن النفزي: النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، جـ 3، ص 377؛ اليعمري: تبصرة الحكام، جـ 2، ص 159.

30) ألبرت فون آخن المعروف بـــ (ألبرت أكس) (ت: ق 6هـ/ 12م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ 51، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 2007م، ص 173؛ اتش ماير: الحلات الصليبية، جـ 1، ص 167 – 168؛ هايد: التجارة، جـ 2، ص 45؛

31) عادل زيتون: البندقية، ص 141؛ هايد: التجارة، جـ 2، ص56 – 57؛ وانظر أيضًا:

Robbert : Venice, p.442.

32) عن العقوبات الكنسية، انظر: متى الباريسي: التاريخ الكبير، جـ 47، ص 787؛ مارينو: الأسرار، ص 79 – 80؛ عادل عبد الحافظ: الحرمان الكنسي، ص 426؛ الرويضي: البابوية، ص 576، 591؛ هايد: التجارة، جـ 2، ص 36، 254 – 256، 265؛ وانظر أيضًا:

Baldwin : Missions, p.498.

33) علم الدين سنجر الشجاعي قائد مملوكي من مماليك السلطان المنصور قلاوون، اشتهر بخبراته المتنوعة في مجالات الري والعمارة والحرب والسياسة، تولى العديد من المناصب في عهد أسرة قلاوون، منها، نيابة السلطنة المملوكية في الشام، ومنصب الوزارة، وأتابك العسكر، وقتل عام 693هـ/ 1294م بسبب الصراع على السلطة والنفوذ داخل السلطنة المملوكية، عنه، انظر: الذهبي (ت: 748هـ/ 1250م): محمد بن عثمان بن قايماز: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1993م، جـ52، ص 184 – 185 ؛ ابن تغري بردي ( ت: 874هـ/ 1469م ): جمال الدين أبي المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة وزارة الثقافة، القاهرة، ( د ت )، جـ 8، ص 51 – 52.

34) المقريزي (ت: 845هـ / 1441م ): تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ 2، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص 204 ؛ كاهن: الشرق والغرب، ص302؛ ريمون ستانبلوي: مفاتيح أورشليم القدس حملتان صليبيتان على مصر (1200 – 1250 م)، ترجمة: عايدة الباجوري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004م، ص185.

35) الخواجا نور الدين علي التبريزي ( التوريزي ) تاجر أعجمي من أصل فارسي، أتهم باستغلال مكانته التجارية في الدولة المملوكية لشراء الأسلحة لصالح مملكة الحبشة، وأدّعى عليه بالكفر والتلاعب بالدّينين، ووصف بأنه كان زنديقا ضالّا مستخفّا بدين الإسلام، وحكم بإراقة دمه، وتم التشهير به في شوارع القاهرة، وضُربت عنقه عام 832هـ/ 1429م، عنه، انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ 14، ص 324 – 325؛ السخاوي( ت:

902هـ / 1496م ): شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د . ت)، جـ 3، ص427.

36) المقريزي: السلوك، جـ7، ص 189؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ14، ص 324؛ رزق محمد نسيم عبد المهيمن : دور العلماء في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة 784 – 923هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1992م، ص 221.

37) الوكيل: تطور إستراتيجية الحروب الصليبية، ص 39؛ محمد حسن علي الدهشا: النشاط التجاري لعدن في العصور الوسطى( عصر بني رسول) 628 – 858هـ/ 1230 – 1454م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، 2011م.، ص 197؛ هايد: التجارة، جـ2، 263؛ هنري بيرين: أوربا في العصور الوسطى، ص 24؛ فيليبس: الشرق اللاتيني، ص 177؛

38) انظر:

Robbert : Venice, p.442.

39) المقريزي: السلوك، جـ1، ص 407؛ قاسم عبده قاسم: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2001م، ص 130.

40) المقريزي: السلوك، جـ1، ص 407.

41) المقريزي: السلوك، جـ1، ص 411؛ قاسم: الأيوبين والمماليك، ص 130.

42) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ14، ص 68؛ مارينو: الأسرار، ص 125؛ حطيط، أحمد: المدلول التاريخي لنصوص الهدن المعقودة بين المماليك والفرنج، هدنة عكا 682هـ / 1283م نموذجًا، مجلة التاريخ العربي، العدد العاشر، ربيع 1999م، ص 177؛ علي السيد: العلاقات الاقتصادية، ص11؛ وانظر أيضًا:

Werthmuller : Ayybid, p.91.

43) مارينو: الأسرار، ص 85؛ الوكيل: إستراتيجية الحروب الصليبية، ص 39؛ هايد: التجارة، جـ 2، ص 259، 266؛

44) الخادم: الشرق، ص 422؛ هايد: التجارة، جـ 2، ص 74، 253.

45) الشيخي: مشروعات دعاة الحروب الصليبية، ص 50 – 111، علي أحمد السيد: المشروع الصليبي لمقدم الاسبتارية، ص 240؛ وانظر أيضًا:

Daniel : Propaganda, p.91.

46) سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، صفحه مشرقه في تاريخ الجهاد الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1986م، جـ 2، ص 910؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ 3، ص 376؛ وانظر أيضًا:

Housely : Crusades, p.215.

47) هايد: التجارة، جـ 2، ص 279 .

48) مارينو: الأسرار، ص 85؛ هايد: التجارة، جـ 2، ص 35 – 36، 257 .

49) أبو شامة ( ت: 665هـ / 1267م ): شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، جـ 2، ص 364؛ وانظر أيضًا:

Gibb H.: « The Rise of Saladin 1169 -1189», in: A History of the Crusades, volume. I, ed. by: Setton, London, 1969, p.584.

50) الخادم: الشرق، ص 421؛ هايد: التجارة، جـ 2، ص 35 – 36، 256.

51) برنارد لويس: إكتشاف المسلمين لأوربا، ص 220، هايد: التجارة، جـ 2، ص 253؛ وانظر أيضًا:

Atiya : Calture, p.99.
Atiya : Middle Ages, p.115.

52) رشا: الأثار الاجتماعية، ص 112؛ وانظر أيضًا:

Werthmuller : Ayybid, pp.91 - 94

53) رانسيمان: الحروب الصليبية، جـ3، ص 492؛ برنارد لويس: إكتشاف المسلمين لأوربا، ص 221.

54) المقريزي: السلوك، جـ2، ص9.

55) هايد: التجارة، جـ 2، ص 256؛ ستانبلوى: اورشليم، ص 183.

56) مارينو: الأسرار، ص 76؛ الرويضي: البابوية، ص 580؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ3، ص 492؛

Lower: The Papacy and Christian Mercenaries, p.605.

57) مارينو: الأسرار، ص 85؛ وانظر أيضًا:

Lapidas : Cities, p.23.

# الحمام البخاري الكبير بمدينة ذمار القديمة

## "دراسة آثارية معمارية"

د. مبروك محمد يحيى الذماري*

**الملخص:**

يعد الحمام البخاري الكبير بمدينة ذمار القديمة أحد أهم المعالم الأثرية البارزة، الذي لم ينل حقه من الدراسة، إذ إنه كان يشكل عنصراً رئيساً في النسيج العمراني ومظهراً أساساً من المظاهر الحضارية للمدينة، ومن هذه الأهمية سعى البحث إلى دراسة هذا الحمام من ناحية آثارية معمارية، إذ قدم معلومات جديدة حول منشئ الحمام وتاريخ الإنشاء، ثم اهتم بالوصف المعماري لجميع قاعات الاستحمام ومنطقة الخدمة، بهدف توثيقه قبل أن يتعرض لتعديلات معمارية تفقده قيمته التراثية. وإضافة إلى ذلك بين البحث دور الأحكام والشروط الفقهية الإسلامية في أسلوب بناء الحمام وتوزيع مرافقه، فضلاً عن محاولة مقارنة وحداته المعمارية وتسمياتها مع نظيراتها في الحمامات الإسلامية، في سبيل الوصول إلى السمات المعمارية التي يتميز بها.

* أستاذ الآثار الاسلامية المساعد – قسم الآثار والمتاحف

**المقدمــة:**

تعد الحمامات [1] إحدى المنشآت المدنية الصحية التي يقصدها الناس للاستحمام والعلاج، وهي من المباني المكملة لمكونات المدينة الإسلامية، إذ قال عنها الفقهاء بأنها من شروط المِصر السبعة (الوالي، والقاضي، والطبيب، والسوق، والجامع، والنهر، والحمام) [2]. وظاهرة تشييد الحمامات انتشرت في العالم الاسلامي لارتباط الصلاة بالطهارة والنظافة، من ثم ارتبطت مواقع الحمامات بمواقع المساجد في كثير من المدن الإسلامية[3] وإلى جانب ذلك فإن الحمام يعد منشأة ريعية، وكذا اجتماعية لارتباطه بالعادات والتقاليد، وله دور اقتصادي لأنه يوفر العمل، والحمامات ليست من ابتكار المسلمين فقد وجدت قبل ذلك في حضارات ما قبل الاسلام، ونظراً إلى أهميتها فقد تم تطويرها بما يتوافق مع طبيعة المناخ في البلدن الإسلامية، وتعاليم الدين الإسلامي[4] وخضعت الحمامات لإشراف المحتسب الذي كان يتفقدها مراراً في اليوم ويأمر أصحابها بإصلاحها وكنسها وغسلها بالماء الطاهر[5]، وقد عرف اليمنيون أيضاً الحمامات قبل الاسلام، وإن كانت المعلومات قليلة جداً عنها، أما العصر الاسلامي فلم يخل عدد من المدن اليمنية من وجود حمام، غير أن المدن الباردة والمرتفعة في المنطقة الوسطى وشمال اليمن كانت الأكثر حظاً وحاجة للحمام، ولعل أقدم ما ذكر عنها تاريخياً هو وصف المؤرخ الرازي الصنعاني (ت:460هـ) وحصره لعدد حمامات مدينة صنعاء عام (381هـ/ 911م) اثنا عشر حماماً[6].

وتعد مدينة ذمار القديمة[7] أيضاً إحدى مدن إقليم المرتفعات الغربية الوسطى[8]، وهي تضم حمامين بخاريين بحي الجراجيش[9]، ما زالا يستعملان حتى الوقت الراهن، فضلاً عن حمام ثالث بحي القاع (قاع اليهود سابقاً)، لكنه تعرض للتهدم، وأنشئ فوق أساساته مبنى سكني. وأقدم إشارة تاريخية – حسب اطلاع الباحث- عن وجود حمام في مدينة ذمار التي ذكرها المؤرخ عبد الوهاب البريهي (ت: 904هـ) عند ترجمته للهادي بن إبراهيم بن علي المرتضى، بقوله: "توفي هذا الشريف بمدينة ذمار بحمام السعيدي سنة اثنين وعشرين وثمانمائة من دخان الحمام"[10]، واستطراداً في ترجمة السعيدي المذكور يذكر البريهي أيضاً في

تاريخه المطول أن حمام السعيدي نسبة إلى شهاب الدين أحمد بن محمد السعيدي (ت:840هـ)، الذي وفد إلى مدينة ذمار، فبنى داراً عظيمة جعل فيها حماماً[11].

**الموقع**: (صورة جوية:1) يقع الحمام الكبير بالقرب من ساحة ميدان الحكومة، في الطرف الجنوبي من الجهة الشرقية لحي الجراجيش بمدينة ذمار القديمة (خريطة:1)، ويعرف لدى السكان بالحمام الكبير نظراً إلى مساحته الكبيرة مقارنةً بالحمام الصغير الذي يلتصق به من جهة الشرق[12]، (شكل:1)، وتقع إحداثيات موقع الحمام بين دائرتي عرض (14°32'54.33") شمالاً، وخطي طول (44°24'5.69") شرقاً، ويحده من الجهة الشمالية شارع ضيق، ومن الجهة الجنوبية أرض زراعية (مقشامة)[13]، ومسجد يعرف حالياً باسم عبيلة، ويلاصقه – في جزء منه – من الجهة الغربية أحد المنازل السكنية (لوحة:1).

كانت المنطقة التي تقع مما يلي الحمامين (الكبير والصغير) من الجهة الجنوبية الشرقية خالية من المنشآت والسكان، ويبدو أن إحكام فقه العمران قد تم مراعاتها أثناء تحديد هذا الموقع، ولاسيما تلك المتعلقة بضرر الدخان والرائحة الكريهة الناتجة من حرق المواد المستخدمة في تسخين الحمامين، والتي قد تتسبب في أذى الناس [14]، ويتضح أن هناك معرفة مسبقة لدى المعمار باتجاه حركة الرياح العامة بمدينة ذمار[15]. وإضافة إلى ذلك فقد أنشئ الحمام على أرضية منخفضة قليلاً عن سطح الأرض، لكي تتحمل الحرارة والرطوبة، وهذه السمة الغالبة في كثير من حمامات مدينة صنعاء[16].

## المنشئ – تاريخ الإنشاء – الغرض الإنشائي الرئيسي للحمام

يخلو الحمام من وجود نص تأسيسي يمكن من خلاله معرفة المنشئ وسنة الإنشاء، كما أن المصادر التاريخية – حسب اطلاع الباحث- لم تذكر لنا أية معلومات عن هذا الحمام، وبعد البحث في وثائق الوقفيات المحفوظة بمكتب الأوقاف والإرشاد بمحافظة ذمار، التي تعد وثائق تاريخية مهمة، تم العثور على وقفية الحمام، وقد أمكن من خلال هذه الوقفية التعرف على المنشئ وفترة الإنشاء، إذ تذكر أن الحمام الكبير

بمدينة ذمار أنشئه الوالي[17] العثماني بهرام باشا بن مصطفى باشا قرة شاهين[18] (977- 983هـ/ 1569-1575م) [19]، في الفترة الأولى من حكم العثمانيين لليمن[20]، وقد حددت وقفية (وثيقة) الحمام المؤرخة بسنة (983هـ/ 1575م) ترتيب عملية صرف ريع الحمام، أي المال المحصل منه، وكذا إحدى الأراضي الزراعية المملوكة للوالي بهرام. إذ يبدأ الصرف بتعمير الحمام نفسه، ثم يصرف على جامع مدينة ملحظ القريبة من مدينة ذمار[21]، فيما يحتاج إليه الجامع من فرش وسقاية وشمع للإضاءة، ومن بعد ذلك تصرف مبالغ محددة لناظر الوقف المذكور[22]، وإمام الجامع، والخطيب، والمؤذن[23]. وعلى الرغم من عدم ذكر المصادر التاريخية لأية تجديدات تمت بالحمام، إلا أنه من الطبيعي أن يتعرض لعمليات الإصلاح والتجديد لضمان استمراريته، وقد دون تاريخ إحدى أعمال التجديد على السطح الخارجي لقبة قاعة الاستقبال (الدورقاعة)[24] بسنة (1357هـ/ 1938م).

احتل الحمام مكانة هامة في المجتمع الحضري للمدينة الإسلامية، وذلك من خلال الأدوار التي كان يؤديها (صحياً، واجتماعياً، واقتصادياً)، ولعل الدور الأخير المذكور هو ما جعل السلاطين والأمراء يتسابقون على إنشاء الحمامات ووقفها على المنشآت الدينية، للاستفادة بما تدره من أرباح في الانفاق على هذه المنشآت، مثل إجراء أعمال الاصلاح والتجديد والفرش والإنارة، ودفع رواتب القائمين عليها[25]. ومثل ما كان الغرض الرئيس من إنشاء الحمام الكبير بمدينة ذمار وقفه على خدمة الجامع الكبير بمدينة ملحظ القريبة من ذمار آنذاك[26]، نجد في مدينة صنعاء أيضاً كثيراً ما جاور الحمام المسجد وارتبط به وأوقف عليه، وسمي باسمه مثل حمام الطواشي، وحمام الحميدي، وحمام الأبهر، وهناك حمامات لم تقترن عمارتها بعمارة مسجد ما، فقد خدمت مسجداً أو مسجدين ضمن حدود منطقتها مثل حمام شكر يخدم مسجد قبة المهدي ومسجد النهرين، وحمام سبأ للجامع الكبير[27]، وكذلك بمدينة تعز أنشئ حمام المظفر[28] لخدمة جامع المظفر الذي يجاوره من جهة الغرب[29].

**الدراسة الوصفية والتحليلية: أولاً: الوصف المعماري العام** (شكل:1، 2):

اتخذ تصميم الحمام شكلاً طولياً غير منتظم، ويشاهد ذلك في مخططه الهندسي، إذ يتألف من منطقتين رئيستين: الأولى وهي منطقة الاستحمام، وتتكون من ثلاث وحدات هي: المنطقة الباردة (المخلع)، تليها المنطقة المعتدلة (الأوسط)، ثم المنطقة الساخنة (الصدر والخزانة)، أما المنطقة الرئيسة الثانية فهي الخدمية، وهي مشتركة مع الحمام الصغير، وتقع في الجهة الشرقية من موقع الحمام، وتنقسم إلى ثلاثة أجزاء، هي: الفناء (المضحى)[30]، وخزانات الماء، وبأسفلها بيت النار أو المستوقد (الملَّة)[31].

سار تخطيط الحمام في العصر الاسلامي على النظام المعماري نفسه الذي كان عليه الحمام في العصر الروماني، مع استحداث بعض العناصر المعمارية التي كانت من نتاج الفكر المعماري الإسلامي، وقد روعي في تخطيط الحمام كل القواعد الصحية حتى لا يتعرض المستحم لأي ضرر صحي[32]، وتحدث عن ذلك عديد من الفقهاء، خاصة الأمور التي تتصل اتصالا مباشراً بالعمارة والبنيان، سواءً من حيث الهيئة والشكل أو الكيفية التي ينبغي أن يكون عليها الحمام[33].

إن التخطيط العام الذي يتألف منه الحمام الكبير بمدينة ذمار لا يختلف في تصميمه العام بمكوناتها المعمارية العامة عن الحمامات الاسلامية من حيث فكرة التدرج في الحرارة، واشتمالها على ثلاث مناطق للاستحمام، فضلاً عن قاعة الاستراحة (الاستقبال)، وهذا التخطيط يتماشى مع ما ذكره المناوي (ت:1053هـ) الذي حدد أن يشتمل الحمام على ثلاثة بيوت غير المسلخ مختلفة الحرارة، بيت أول معتدل، ثم بيت آخر أقوى حرارة من الأول، ثم بيت ثالث حرارته فوق الثاني كثير الحياض والمغاطس[34]. وقد اتبعت الحمامات في شرق العالم الاسلامي التخطيط المتعامد الذي ظهر بوضوح في حمام قصير عمرا في الأردن (86-96هـ)، ونرى ذلك أيضاً في الحمامات المصرية، والتي اقتصرت بيوت الاستحمام فيها على بيتين فقط، يوصل إليهما من باب المسلخ (قاعة الاستراحة)، وهو لم يؤثر تأثيراً كبيراً في مستوى الأداء إذا ما قورن بالحمام ذي الثلاثة البيوت[35]، أما في حمامات المغرب الأقصى ؛ ولاسيما خلال الفترة المرينية (7 - 8هـ/ 13 - 14م)، اشتملت على قاعة رئيسة للاستقبال تؤدي إلى القاعة الباردة ثم القاعة الدافئة ثم القاعة

الساخنة[36]، واتبعت التخطيط المحوري المتوازي في إنشائها، وكان هذا التخطيط الأكثر انتشاراً منذ الدولة الأموية وحتى نهاية عصر بني نصر في الحمامات الأندلسية أيضاً[37]، ومما يلاحظ على تخطيط الحمام الكبير بذمار اتخاذه شكلاً طولياً غير منتظم، بعكس الحمام الصغير الملاصق له، وغيره من الحمامات باليمن كحمام المظفر بمدينة تعز[38]، وحمامات مدينة صنعاء القديمة، كما أن الجهة الشرقية من الدور قاعة في المنطقة الباردة للحمام لا يوجد بها إيوان[39]، وذلك لعدم وجود مساحة كافية لإنشائه في هذه الجهة، نظراً إلى وجود الجدار الغربي للحمام الصغير، وهذا يدفعنا إلى القول أن الحمام الكبير أنشئ بعد الحمام الصغير، ويؤكد ذلك ما ذكرته وقفيه الحمام الكبير[40]، ويمكن تفسير ظهور المخطط الهندسي غير المنتظم في الحمام الكبير هو تبني المعمار فكرة ضرورة اشتراك كلا الحمامان بمنطقة خدمية واحدة، ولذا كان لابد من وضع القاعة الساخنة للحمام الكبير بالقرب من بيت النار (المستوقد) وخزانات الماء.

## ثانياً: الوصف من الخارج (الواجهات والسطح)

أُستخدم في بناء جدران الواجهات الخارجية للحمام قطع مصقولة من أحجار البازلت المعروفة محلياً (الحبش)، التي تتميز بصلابتها ومقاومتها للحرارة والرطوبة الناتجة من الحمام.

**الواجهة الشمالية** (لوحة:1): تعد هذه الواجهة هي الرئيسة للحمام، وهي تتألف من جدار يبلغ أقصى ارتفاع له نحو (4.5م)، يضم مدخلاً معقوداً يبلغ عرض فتحته نحو (80سم)، وارتفاعها (1.80م)، كما فتحت نافذة مربعة الشكل، طول ضلعها (60سم) تقع مما يلي المدخل من جهة الغرب.

**الواجهة الجنوبية** (لوحة:2): تطل على أرض زراعية (مقشامة)، وهي واجهة متعرجة، إذ تتألف من عدد من الجدران الخارجية للحمام والمنطقة الخدمية التابعة له، ويبلغ أقصى ارتفاع للواجهة حوالي (4م)، وهي تضم أربع فتحات تقع في جدار القاعة الداخلية الثانية للمنطقة الباردة (المخلع)، إذ يبلغ اتساع كل منها نحو (64سم)، وارتفاعها (1م)، كما فتحت نافذة صغيرة أيضاً في جدار الدهليز[41] الموصل بين المنطقة الباردة المذكورة والمنطقة المعتدلة (الأوسط)، يبلغ اتساعها نحو (40سم)، وارتفاعها (50سم).

**الواجهة الشرقية:** تطل على الشارع الرئيس الاسفلتي، وهي حالياً عبارة عن سور حديث يبلغ ارتفاعه نحو (2.5م)، فتح فيه مدخل يؤدي إلى المنطقة الخدمية، ويلاصق السور باتجاه الشارع عدد من المحلات التجارية الحديثة.

**الواجهة الغربية** (لوحة:1): تمثل جداراً خارجياً للمنطقة الباردة في الحمام، وهي خالية من الفتحات، كما يلتصق بجزء منها أحد المنازل السكنية المجاورة.

**السطح الخارجي للحمام:** (شكل:2، لوحة:3)

يغطي قاعات الحمام أربعة أنواع من التسقيف، هي: القبة[42]، والقبو[43]، والجمالون[44]، والسقف المسطح، وجميعها تم كساؤها بطبقة من القضاض[45] للحفاظ على حرارة الحمام من الداخل، وكون هذه المادة مقاومة للرطوبة وتمنع تسرب المياه. ويغطي القاعة الأولى (الدورقاعة) بمنطقة الاستقبال في الحمام قبة، قطاع عقدها ذو مركزين، وهي ترتكز على منطقة مثمنة تمثل رقبة القبة، وبأسفلها قاعدة مربعة، بينما يغطي القاعتين الداخليتين الأولى والثانية قبو نصف اسطواني، ويغطي المنطقة المعتدلة (الأوسط) قبه نصف كرويه، أما المنطقة الساخنة فيغطي كلاً من قاعتي الصدر (المغطس والخزانة) قبوان نصف اسطوانيين، وغطي الدهليزين الموصلين بين قاعات الحمام سقفان جملوني الشكل، كما استعملت وسيلة التغطية أيضاً بالقبو والقبة في تغطية خزانات الماء في المنطقة الخدمية (لوحة:4). أما السقف المسطح[46] فاستخدم في تغطية ممر منطقة بيت النار أو المستوقد (الملة).

ويتخلل جميع القباب والأقبية بقاعات الإستحمام عدداً من الفتحات الصغيرة (المضاوي)، مغطاة حالياً بقطع الزجاج الأبيض غير مرئي، والتي تسمح بإدخال الضوء. وتتوزع عدد من الفتحات الصغيرة، يبلغ أبعادها نحو (10سم2) في سطح الدهاليز الموصلة بين قاعات الاستحمام، وهي عنصر تهوية لمنطقة الاستحمام، وظيفتها إخراج البخار الزائد الناتج من الحرارة المرتفعة بداخل الحمام. وفضلاً عن ذلك توجد عدد من المداخن، يطلق عليها محلياً (مطارد)، وهي عبارة عن فتحات (ممارق) تخترق بعض الجدران

الداخلية للحمام، وكذا سقف الممر المؤدي إلى المستوقد، وترتفع عن سطح الحمام بحوالي (2م)، بواسطة بناء مربع قائم الشكل من قطع الآجر، ووظيفتها إخراج الدخان من الطابق الأرضي للحمام (الشوارع)، للمحافظة على استمرارية اشتعال الوقود بداخل بيت النار (المستوقد).

## ثالثاً: الوصف من الداخل (منطقة الاستحمام) (شكل:3 – 4)

**ردهة المدخل** (لوحة:5): بعد ولوج مدخل الحمام يتم النزول عبر درج إلى ردهة أو ممر يتألف من أربعة أضلاع غير متساوية في أبعادها، إذ كانت في الأصل جزءً من قاعة كبيرة تلي المدخل مباشرة، لكنه استحدث جدار لتصغير منطقة الدخول، وينحرف الداخل من هذه الردهة يساراً ليجد نفسه أمام مدخل آخر معقود، يبلغ عرضه نحو (80سم) وارتفاعه (1.85م)، يؤدي إلى المنطقة الباردة (المخلع) (لوحة:6). والمدخل المذكور للحمام يتوافق في اتجاهه نحو الشمال مع ما ذكره المناوي (ت:1053هـ)، والحيمي (ت:1151هـ) في شروط عمارة الحمامات أن لا يجعل بابه نحو الجنوب[47]، وفضلاً عن ذلك فالولوج إلى القاعة الأولى في الحمام تتم عبر مدخل الردهة بشكل منكسر، وهذا ما طبق في جميع حمامات العالم الاسلامي بدون استثناء.

**المنطقة الباردة** (المخلع): هي إحدى عناصر الحمام الرئيسة، يطلق عليها في مدن ذمار وصنعاء ويريم وتعز بالمخلع، أي المكان الذي تخلع فيه الثياب. وقد اختلفت تسميتها من بلد إلى آخر ففي مصر تعرف بالمسلخ، وفي بلاد الشام تسمى المشلح[48]، وفي المغرب الأقصى تعرف بالجُلسة[49]. وقد ذكر الحيمي (ت: 1151هـ) وجوب أن يكون المخلع لطيف الصنعة، واسع الفضاء[50]، ونجده كذلك في حمامي مدينة ذمار، إذ تنقسم هذه المنطقة في الحمام الكبير إلى جزأين مرتبطين ببعضهما بعضاً، هما: دورقاعة والإيوانات، وقاعتان داخليتان تستعملان لخلع الملابس، والتهيئة لعملية الاستحمام.

**الدورقاعة والإيوانات** (لوحة:6-7): تلي ردهة المدخل، وهي عبارة عن مساحة واسعة تتألف من أربعة أضلاع غير متساوية، إذ يبلغ امتداد الضلع الشرقي نحو (5.45م)، والغربي (5.20م)، والجنوبي (4.10م)، والشمالي (4م). ويغطي القاعة قبة شاهقة في الارتفاع، بنيت بقطع الآجر، ومحمولة على مناطق انتقال من

المقرنصات المنشورية[51]، وكسيت بهادة القضاض، كما تتخللها فتحات للإضاءة (مضاوي) مغطاة بقطع الزجاج. ويطل على هذه القاعة من الجهة الشمالية إيوانان يغطي كل منهما قبو مدبب[52]، وأرضيتهما ترتفع عن أرضية القاعة بمقدار (80سم)، ويبلغ عرض الإيوان الشرقي نحو (2.20م)، وعمقه (2.10م)، وقد تم استحداث مرحاض في الجزء الشرقي منه (لوحة:8)، أما الإيوان الغربي فعرضة نحو (2.25م) وعمقه (2.30م) (لوحة:9).

ويتوسط الدورقاعة المذكورة فسقية (شاذروان) كانت تزود بالماء البارد، بواسطة ساقية محمولة على جدار يرتكز على منطقة معقودة، كما يتوسط الإيوانان سقاية للشرب، وهي ذو شكل مستطيل قائم، يبلغ أبعادها نحو (1.15م × 1م)، تغطيها قبة ضحلة، وفتح في واجهتها الغربية فتحة للتزود بمياه الشرب (لوحة:7). وهذه الدورقاعة المذكورة تشبه نظيرتها في حمام المظفر بمدينة تعز، سواء من حيث أسلوب الانشاء أم توزيع عناصرها المعمارية[53].

**القاعتان الداخليتان: يصعد إلى القاعة الأولى** (لوحة:10) بدرج يقع في الضلع الجنوبي للدورقاعة المذكورة، وتتألف من مساحة شبه مستطيلة يغطيها قبو، وتبلغ أبعادها كالآتي: الضلع الشمالي امتداده يبلغ نحو (10.70م)، والجنوبي (9.35م)، والشرقي (3.80م)، والغربي (3.30م). وتستعمل في الوقت الراهن هذه القاعة لخلع الملابس وحفظها أثناء عملية الاستحمام في دخلات غائرة في الجدارين الشمالي والغربي، فالدخلات الشمالية هي في الأصل نوافذ مغطاة بالزجاج لإدخال الضوء للقاعة. أما الضلع الغربي للقاعة فيضم دخلتين غير نافذة، اتساع الواحدة منها نحو (67سم)، وارتفاعها (80سم)، وعمقها (40سم)، وتقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من هذه القاعة مسطبة لجلوس المشرف على الحمام (الحمامي).

**أما القاعة الثانية الداخلية** (لوحة:11) فتستخدم للاستراحة بعد الانتهاء من الاستحمام، ويتم فيها ارتداء الملابس، وتستعمل أيضاً كمصلى، وهذا ما نشاهده في بعض حمامات مدينة صنعاء كحمام شكر[54]، ويتم الدخول إليها من خلال مدخل معقود واسع يقع في نهاية الجدار الشمالي للقاعة الأولى المذكورة، وتتخذ هذه القاعة شكلاً شبه مستطيل يغطيه قبو نصف اسطواني استخدم في بنائه قطع الآجر، وتبلغ أبعاد القاعة

كالآتي: الضلع الشمالي (5.14م)، والجنوبي (5.18م)، والشرقي (2.24م)، والغربي (3.20م). ومما يلاحظ على هذه القاعة وجود عقدين سدت فتحتهما بجدار حديث، الأول يقع في الجدار الشمالي، والثاني في الجدار الشرقي.

**الدهليز** (لوحة: 12): عبارة عن ممر يربط بين المنطقتين الباردة والمعتدلة كعنصر اتصال، وهو ممتد بشكل طولي يغطيه سقف مقبى، وذو مساحة مستطيلة، تبلغ أبعاده نحو (4.75م × 1.40م)، وقد فتح في الطرف الجنوبي من جداره الشرقي مدخل يبلغ عرضه نحو (1.20م)، يؤدي إلى قاعة الحمام المعتدلة (الأوسط).

ومما سبق وصفه نجد أن المعمار طبق في التصميم الهندسي لهذا الدهليز (الممر) ما وجد في دهاليز الحمامات الإسلامية، التي يكثر ازورارها، وذلك بتخطيطها على شكل ممر منكسر، ففضلاً عن أنها تصل بين وحدات الحمام المختلفة، إلا أنها من خلال انعطافها تساعد على حفظ حرارة الحمام، وعدم تعرض قاعاته الداخلية للتيارات الهوائية الباردة[55].

**المنطقة المعتدلة** (الأوسط) (لوحة: 13): يطلق على هذه المنطقة في مدينتي ذمار وصنعاء بالأوسط[56]، وتسمى خارج اليمن في مصر الوسطاني[57]، وتتميز في جميع الحمامات الإسلامية بأنها أقوى حرارة من القاعة الباردة، لكنها غير مُكربة[58]، إذ يألف فيها المستحم الهواء الحار قبل دخوله القاعة الساخنة[59].

وهي عبارة عن قاعة شبه مستطيلة يبلغ امتداد كل من الضلعين الشمالي والجنوبي (4.10م)، أما الضلع الشرقي فامتداده يبلغ نحو (4.5م)، والغربي (4.30م). ويغطي هذه القاعة قبة نصف كروية ترتكز على أربع مناطق انتقال من الحنايا الركنية[60]،وقد انشئت القبة بقطع الآجر، ويتخلل باطنها عدد من الفتحات الصغيرة المغشاة بقطع الزجاج، وتضم القاعة في ثلاث جهات منها مسطبة حجرية تستخدم لجلوس المستحمين أثناء عملية التدليك، إذ يبلغ عرضها نحو (60سم)، وارتفاعها عن أرضية القاعة بمقدار (70سم)، كما تشتمل هذه القاعة على مدخلين يضمان بابين من الخشب لحفظ الحرارة بداخل القاعة، المدخل

الأول يفضي من الدهليز، وقد سبق وصفه، والآخر يقع في الطرف الجنوبي من الجدار الشرقي، يبلغ اتساعه (70سم)، وارتفاعه (1.50م)، وهو يؤدي إلى المنطقة الحارة (الصدر).

**المنطقة الساخنة** (الصدر): تسمى هذه المنطقة من الحمام في المنطقة الجبلية باليمن بالصدر، والذي يضم جزين رئيسين هما المغطس والخزانة، أما خارج اليمن فيطلق على المنطقة الساخنة في مدينة القاهرة الحَرار وفي دمشق الجوُاني، وفي فاس الدخلي، والرباط بالسخون[61]، وفي أغلب حمامات مدينة صنعاء تتألف المنطقة الساخنة من حجرتين أيضاً، باستثناء حمام الميدان[62] الذي أنشئ على الطراز النمطي للحمام التركي، إذ تضم المنطقة الساخنة بعد إجراء تعديلات معمارية في الفترة العثمانية الثانية[63]، من ثلاث غرف، الوسطى، الصدر، وعن يمينها غرفة الخزانة، ويسارها بركة الماء الساخن (المغطس)[64]، وعلى الرغم من أن الحمام الكبير بذمار أنشئ خلال الفترة العثمانية أيضاً، إلا أنه أنشئ على الطراز اليمني التقليدي في تصميمه وجميع وحداته المعمارية، إذ نرى ذلك في المنطقة الساخنة للحمام التي تتألف من قاعتين فقط، وتشبهها نظيرتها في الحمام الصغير الملاصق له وتتألف المنطقة الساخنة في الحمام الكبير بذمار من قاعتين يربط بينهما ممر (دهليز).

**القاعة الأولى** (المغطس) (لوحة:14): وهي تلي القاعة المعتدلة من الجهة الشرقية، وذات مساحة شبه مستطيلة غير منتظمة الأضلاع، يبلغ امتداد جدرانها كالآتي: الشمالي (5م)، والجنوبي (4.55م)، والشرقي (4.32م)، والغربي (4.8م)، ويغطي القاعة قبو نصف برميلي من قطع الآجر، كما يبلغ ارتفاع القاعة من الأرضية حتى السقف نحو (3.55م)، وتضم هذه القاعة في الزاوية الجنوبية الغربية حوض الماء الساخن (المغطس)، الذي يغترف منه المستحمون الماء باستخدام الدلو. والحوض ذو شكل مربع طول ضلعه نحو (1.5م)، وعمقه نحو (1.70م). وكان يتم تزويده بالماء بواسطة قناة تخترق جداره الشرقي الملاصق لخزان الماء الساخن، أما الآن فقد استبدلت بالأنابيب الحديدية، التي تنتهي بصنبور، كما أن للحوض فتحة صغيرة بأسفله يتم غلقها عند تعبئته وفتحها أثناء تنظيفه، وتتوزع حول الجدران الشمالية والغربية والشرقية للقاعة عدد من الخلاوي المتجاورة التي توفر نوعاً من الاستقلالية للمستحم، كل واحدة منها عبارة عن مساحة

مستطيلة لا يتجاوز طولها (1.20م)، وعرضها (80سم)، وبداخلها حوض حجري، كان يملأ بالماء بواسطة ساقية ملاصقة للجدار.

ويربط بين حجرتي المنطقة الساخنة ممر ضيق (دهليز)، يتم من خلاله الدخول من قاعة المغطس إلى القاعة الحارة (الخزانة)، ويتخذ الشكل المستطيل ويغطيه سقف جملوني، وتبلغ أبعاده نحو (2.70م × 70سم)، وفتح فيه مدخلان: الأول يقع في جداره الشمالي، والثاني في الطرف الجنوبي من الجدار الشرقي.

**القاعة الثانية** (الخزانة) (لوحة:15): تعد آخر مرفق في منطقة الاستحمام، وهي شديدة الحرارة لأنها ملاصقة لبيت النار من الجهة الخلفية للحمام، وتتم فيها أولى خطوات الاستحمام الفعلية، وهي التعرق والاسترخاء. وتتخذ هذه القاعة شكلاً شبه مستطيل، يبلغ امتداد كل من الضلع الشمالي والجنوبي نحو (3.32م)، أما الضلع الشرقي (5.15م)، والغربي (4.70م). ويغطي القاعة قبو نصف اسطواني استعمل في بنائه قطع الحجارة.

**المنطقة الخدمية للحمام:** (شكل: 5، لوحة:16)

هناك قاعدة أساس في تخطيط الحمامات الإسلامية، وترتيب وحداتها المعمارية، وهي إبعاد المستوقد (بيت النار) عن المسلخ (المخلع)[65]، لسببين رئيسين هما: الأول تجنب وصول الدخان والرائحة الكريهة إلى بقية وحدات الحمام، أما السبب الثاني فهو ضرورة أن يكون المستوقد ملاصقاً للمنطقة الساخنة (الصدر) لتدفئتها وتزويدها بالماء اللازم، ويعرف المستوقد أي بيت النار في المنطقة الجبلية باليمن (المِلَّة)، أما في الجزائر يطلق عليه الفرنق[66]، وفي المغرب يسمى الفرنتشي[67].

تقع المنطقة الخدمية للحمام في الجهة الشرقية من قاعات الاستحمام، ويتم الدخول إليها عبر مدخل بسيط في الجدار الشرقي الخارجي من سور الحمام، وتتألف منطقة الخدمة من عدد من الوحدات هي: فناء مكشوف (المضحى)، ومنطقة الحرق (المستوقد أو الملة)، وخزانات الماء، والفناء المذكور لم يعد مستعملاً في الوقت الراهن بسبب عدم الحاجة إلى مواد الحرق السابقة (المخلفات الآدمية والحيوانية)، أما منطقة الحرق

(الملة) فهي تمثل طابقاً أرضياً، يتم النزول إليها بدرج، وتتكون من ممر يمتد بطول (11.70م)، وعرض (1.45)، وعلى الجانب الغربي منه وكذلك في نهايته عند الجدار الجنوبي خزانات حفظ الوقود الذي كان يستعمل للحرق لتدفئة الحمام، ويطلق عليها محلياً (شحنه)، وفي الجهة الغربية من الممر يوجد بيت النار (المستوقد) الخاص بالحمام الصغير، ويلاصقه من الجهة الجنوبية مستوقد الحمام الكبير (لوحة:17)، استعمل في بنائه أحجار البازلت (الحبش)، وتتم فيه عملية إشعال النار، ويعلوه قدر نحاسي مملوء بالماء (الدست)[68].

وتمتد من فتحة المستوقد أيضاً عدد من الشوراع الأرضية[69] التي أنشئت بأحجار البازلت الصلبة المقاومة للحرارة، وهي عبارة عن ممرات أرضية مقباة تسمح بمرور الحرارة إليها من المستوقد، من أجل تسخين أرضية قاعات الاستحمام، لاسيما المنطقة الحارة، والمستوقد في الوقت الراهن مسدود بجدار من الحجارة والطين به فتحة لدخول أنبوب حديدي تخرج من فوهته النار بعد اشعالها، ويتصل الأنبوب بخزان علوي يتم تزويده بمخلفات زيوت السيارات، وبيت النار (المستوقد) في الحمام الكبير يشبه نظيره في الحمام الصغير الملاصق له، وتعرف الممرات الأرضية المذكورة في صنعاء[70] . وتعز أيضاً باسم الشوارع، وبالمقارنة مع الحمامات المصرية فلا يوجد بها وسيلة للتدفئة نظراً إلى اعتدال الحرارة في الشتاء[71]، أما في حمامات الجزائر فهي عبارة عن قنوات فخارية تمتد تحت أرضية الحمام، والأسلوب نفسه اتبع في حمامات الأندلس خلال القرن (6هـ/ 12م)[72].

أما الطابق العلوي في المنطقة الخدمية فيقع فوق منطقة التسخين (الملة)، وهو يضم خمسة خزانات للماء متلاصقة مع بعضها ويغطيها أقباء مقوسة (لوحة:16،4)، كسيت جميعها من الداخل بطبقة عازلة من الملاط (القضاض). ويسمى خزان الماء البارد محلياً التشنون، كان يزود بالماء من بئر مسجد عبيلة الذي يجاور الحمام من الجهة الجنوبية، بواسطة ساقية محمولة على سلسلة من العقود[73]. أما خزان الماء الحار فيطلق عليه البرمة، وهذا يتغذى بالماء عن طريق فتحة داخلية تربطه بخزان الماء البارد، وتنخفض أرضيته إلى الأسفل عن نظيره البارد بحوالي (1.50م)، ويتوسطه وعاء نحاسي دائري (الدست)[74]، يبلغ قطره نحو (1.20م)،

وعمقه (80سم)، إذ تتساوى فوهته مع أرضية الخزان، ويقوم هذا الخزان بتزويد حوض المغطس في القاعة الساخنة بالماء – إذ إن جداريهما متلاصقان – بواسطة قناة مغيبة، استبدلت بأنبوب حديدي.

**النتائج: تتمثل أبرز نتائج هذا البحث في الفقرات الآتية:**

- أنشأ الحمام الكبير بمدينة ذمار القديمة الوالي العثماني بهرام باشا خلال مدة حكمة لليمن (977-983هـ/ 1569- 1575م).
- لأن الحمام كان من المنشآت الريعية التي تدر المال، ولذا كان الهدف الرئيس من إنشائه هو وقفه على الجامع الكبير بمدينة ملحظ القريبة من مدينة ذمار آنذاك.
- يتوافق التصميم المعماري العام للحمام مع الأسلوب المتبع في بناء الحمامات الإسلامية، والذي اعتمد على ضرورة التدرج في حرارة قاعات الحمام، التي تتألف من ثلاث مناطق للاستحمام، فضلاً عن قاعة الاستراحة (المخلع).
- التصميم الهندسي للحمام ذو شكل عمودي متعرج غير منتظم، وقد فرض ذلك التخطيط تبني المعمار فكرة تلاصقه بالحمام الصغير، وضرورة اشتراكهما في منطقة خدمية واحدة.
- برغم إنشاء الحمام الكبير خلال فترة حكم العثمانيين الأولى لليمن، إلا أن تصميمه المعماري كان وفق السمات المحلية للحمامات التقليدية اليمنية، ولذا لم نجد أية تأثيرات عثمانية ظهرت على الحمام، عدا ميزة واحدة هي المساحات الواسعة في قاعات الاستحمام ولاسيما قاعة الاستقبال (المخلع)، والذي يغطيها قبة واسعة وشاهقة في الارتفاع.
- يتشابه الحمام الكبير مع نظيره الصغير بمدينة ذمار، وذلك في طريقة توزيع منطقة الاستحمام والمنطقة الخدمية، وكذلك في عدة من عناصر معمارية، ومنها الحنايا الركنية، والمقرنصات، والمغطس، وخلاوي الاستحمام، ومساطب جلوس المستحمين.

- تعرض الحمام لعدة تعديلات معمارية، منها إضافة جدران، وسد بعض الفتحات، ولاسيما في قاعة الاستراحة والدورقاعة (المخلع)، وذلك تلبية لمتطلبات التشغيل والحفاظ على الحرارة المناسبة بداخل هذه المنطقة، وضمان عدم تعرض المستحمين للضرر الناتج من البرودة الزائدة.

- طبق المعمار في إنشاء الحمام أغلب شروط البناء الصحية التي حددها الفقهاء، فيما ينبغي أن يكون عليه الحمام من الهيئة والشكل والكيفية.

وختاماً من المهم أن تتم عمليات الترميم والصيانة العلمية لهذا المعلم البارز بمدينة ذمار، كونه لا يقل أهمية عن غيره من المنشآت الأثرية الأخرى، وإعادة النظر في عملية التشغيل وتوفير الماء لضمان استمراريته.

## الهوامش والإحالات:

1) الحمام: بفتح الحاء المهملة، وتشديد الميم الأولى، معروف، سمي حماماً لما فيه من الماء الحار، ولأنه يعرق، أخذ له هذا الاسم من الحميم وهو الماء الشديد الحرارة. والحمة العين الحارة ويستشفى بها، وحممت الماء أي سخنته. ويقال استحم الرجل إذا اغتسل بالماء الحميم، ثم كثر حتى استعمل الاستحمام في كل ماء. انظر: أحمد بن محمد الحيمي الكوكباني: حدائق النيام في الكلام على ما يتعلق بالحمام، تحقيق عبد الله الحبشي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1986، ص 23. وأيضاً محمد أمين وليلى إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ط 1، 1990، ص 37.

2) أحمد الحيمي: حدائق النيام، ص 13.

3) خالد محمد عزب: التراث الحضاري والمعماري للمدن الإسلامية، دار الكتب العلمية، القاهرة، 2003، ص 133.

4) عبد الله عبد السلام الحداد: مقدمة في الآثار الإسلامية، دار الشوكاني للطباعة والنشر، صنعاء، 2003، ص 50.

5) المحتسب هو الشخص المكلف برعاية المصالح العامة في المدينة الإسلامية. انظر: خالد محمد عزب: تخطيط وعمارة المدن الاسلامية (كتاب الأمة)، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الدوحة، العدد58، السنة 17، 1997، ص110.

6) حسين العمري: الحمام، الموسوعة اليمنية، المجلد 2، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط 2، 2003، ص 1182.

7) مدينة ذمار: هي عاصمة محافظة ذمار، تبعد عن العاصمة صنعاء بنحو (100كم). وقد شيدت في الجهة الشمالية الشرقية من قاع بلسان في وادي الجنات، والذي يمتد طولياً من الغرب إلى الشرق، في اتجاه مجرى المياه للوادي نفسه

المعروف حالياً بوادي الجنات. انظر: خلدون هزاع الرازحي: ذمار القرن موقع مدينة ذمار القديمة، بحث ضمن كتاب صنعاء الحضارة والتاريخ، صنعاء، 2005، مجلد 1، ص 120.

8) أنظر: عوض إبراهيم الحفيان، الجغرافيا العامة للجمهورية اليمنية (عوامل التباين والتآلف في البيئة اليمنية)، جامعة صنعاء، 2004، ص 83. وأيضا: عبد الله أحمد الجرفي، مدينة ذمار توسعها العمراني وأنماطها السكنية، الأمجاد للطباعة، ذمار، ط 1، 2015، ص 5.

9) الجراجيش: يقع هذا الحي في الجزء الجنوبي الغربي من مدينة ذمار القديمة، ومساحته كبيرة جداً من مجموع المساحة الكلية للمدينة، ويمكن تحديد موقع الحي القديم في الجهة الجنوبية الشرقية. صلاح أحمد الكوماني: مساجد مدينة ذمار حتى نهاية القرن 12هـ/ 18م (دراسة أثرية معمارية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الأثار بكلية الآداب – جامعة صنعاء، 2010، ص 24.

10) عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي: طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، تحقيق عبد الله الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، ط 2، 1994، ص 19.

11) إسماعيل بن علي الأكوع: هجر العلم ومعاقله، دار الفكر المعاصر، بيروت ودمشق، ط 1، 1996، ج 3، ص 1363، هامش1.

12) ينسب الحمام الصغير إلى الشيخ عامر بن عبد الوهاب. انظر: وقفية الحمام الكبير، محفوظة في ارشيف مكتب الأوقاف والإرشاد بمحافظة ذمار، رقم الملف 2– أ / 1، رقم الوقفية 3 (الجراجيش)، السطر رقم 11، تاريخ الاطلاع 30/ 8/ 2016، وتاريخ الحصول على صورة من الوقفية 19/ 11/ 2016.

13) المقشامة: هي مساحة من الأرض تتوسط مجموعة من المباني السكنية، تزرع فيها الخضروات، كالكراث والفجل، والبصل، وغيرها. ويتم تزويدها بالماء اللازم من مطاهير المساجد الذي يستخدمه المصلون للوضوء، وغالبا يوقف المحسنون المقشامة للمساجد المشيدة بجوارها. أحمد محمد الحاضري: فن وهندسة البناء الصنعاني، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ط 1، 2006، ص 197.

14) عن أحكام الضرر بالدخان والرائحة الكريهة التي تسببها المنشآت انظر: محمد عبد الستار عثمان، الاعلان بأحكام البنيان دراسة أثرية معمارية، دار المعرفة، الاسكندرية، 1988، ص 31 – 32.

15) عن حركة الرياح بمدينة ذمار انظر: عبد الله الجرفي، مدينة ذمار توسعها العمراني وأنماطها السكنية، ص 16.

16) أحمد الحاضري: فن هندسة البناء الصنعاني، ص 214.

17) الوالي: يطلق هذا اللفظ عادة على أمير القطر وحاكمه، والمصدر منه ولاية بمعنى الإمارة. وقد عرفت هذه الوظيفة منذ صدر الإسلام، اذ جرت العادة أن ينيب الخلفاء عنهم في حكم الأقطار الإسلامية أو الولايات التابعة لهم ولاة

كانوا يعرفون بالأمراء والعمال. حسن الباشا: الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج 3، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965، ص 1309. وأيضا: مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 71.

18) بهرام باشا: تولى اليمن سنة (977هـ/ 1569م)، وله عديد من المآثر، لعل أشهرها اختطاط مدينة ملحظ بالقرب من مدينة ذمار سنة (978هـ/ 1570م)، وضرب السكة فيها، ثم غادر اليمن حينما انتهت ولايته عليها سنة (983هـ/ 1575م) متوجهاً إلى الباب العالي. أنظر: شمس الدين عبد الصمد الموزعي: الاحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط 1، 2012، ص 62 – 64. عيسى بن لطف الله شرف الدين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق إبراهيم المقحفي، مركز عبادي للدراسات وللنشر، صنعاء، ط 1، 2003، ص 183– 191.

19) انظر نص وقفية الحمام الكبير في الملحق.

20) حكم العثمانيون اليمن فترتين: الأولى خلال الفترة (945– 1038هـ/ 1538– 1635م)، أما الثانية كانت خلال الفترة (1265– 1337هـ/ 1872– 1918م)، وتعد من أهم الفترات التاريخية التي تركت لنا العديد من المنشآت المعمارية الباقية، توزعت في عدد من المدن اليمنية، كصنعاء وزبيد وتعز وذمار. انظر: أمة الملك إسماعيل الثور، الولاة العثمانيون وأبرز أعمالهم الإنشائية خلال فترتي الحكم العثماني الأول والثانية لليمن (945– 1045هـ/ 1538– 1635م، 1289–1336هـ/ 1872– 1918م)، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 22، السياحة والاثار (2)، الرياض، 2010، ص 125– 150.

21) اختط مدينة ملحظ الوالي العثماني بهرام باشا في العاشر من رمضان سنة (978هـ / 1570م)، ولم يحدد المؤرخون موقع المدينة بشكل دقيق، لكنهم أجمعوا بأنها بنيت خارج مدينة ذمار مما يلي اليمن الأسفل، أي في الجهة الجنوبية لمدينة ذمار، وكانت المدينة حالة متطورة للمعسكرات العثمانية التي أنشأها الولاة العثمانيون خارج المدن. وقد أنشأ الوالي بهرام بملحظ عدداً من المنشآت العمرانية، منها الجامع الذي تم الانتهاء من بناءه سنة (980هـ / 1572م)، فضلاً عن القصر والمباني الضخمة والحمامات والسوق. انظر: عبد الصمد الموزعي: الاحسان، ص 63. وأيضاً: أحمد صالح المصري: مدينة ملحظ (ذمار الصغرى) مركز حكم ولاية اليمن في عهد الوالي العثماني بهرام باشا (978– 983هـ / 1570 – 1575م)، مجلة الإكليل، العدد 33– 34، وزارة الثقافة، صنعاء، 2009، ص 104.

22) ناظر الوقف: وهو الشخص المسؤول عن تحصيل ريع الحمام والأرض الزراعية، وهو القائم على عملية صرف تلك المبالغ.

23) انظر نص الوثيقة في الملحق.

24) دورقاعة: لفظ مركب من مقطعين: الأول (در) من الفارسية، بمعنى باب، والثاني عربي (قاعة)، من أهم أجزاء البيت ويستخدم هذا اللفظ المركب في العصر المملوكي للدلالة على الجزء الذي يتوسط القاعة أو المسجد أو المدرسة المبنية على الطراز المتعامد بإيوانين أو أربعة أواوين مرتفعة عن مستوى الدورقاعة بمقدار درجة سلم. محمد أمين وليلى إبراهيم: المصطلحات المعمارية، ص 50.

25) صلاح أحمد البهنسي: الحمامات العامة في العالم الإسلامي، مجلة المنهل، دار المنهل، جدة، العدد 571، 2001، ص201.

26) انظر نص الوقفية بالملحق. ومن خلال الوثائق التي تم الاطلاع عليها في أرشيف مكتب الأوقاف والإرشاد بمحافظة ذمار بتاريخ 30 – 8 – 2016م، يمكن القول أن الحمامين الكبير والصغير بذمار مؤجران لعائلة الحمامي مقابل مبلغ محدد يتم دفعه مرة كل عام لمكتب الأوقاف، وهذا الأمر استمر منذ فترة حكم المملكة المتوكلية لليمن (1918 – 1962م) وحتى الوقت الراهن.

27) منظمة العواصم والمدن الاسلامية: أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة (دراسة تحليلية على العاصمة صنعاء)، جدة، 2005، ص 243.

28) ينسب إلى الملك المظفر يوسف بن عمر(619-694هـ/ 1222- 1295م)، ثاني ملوك بني رسول وأطولهم حكماً، وله عديد من المآثر أبرزها بمدينة تعز المدرسة المظفرية. علي بن الحسن الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح محمد بن علي الأكوع، ج1، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، دار الآداب، بيروت، ط2، 1983، ص 232- 233.

29) يحيى لطف العبالي: حمام المظفر البخاري في مدينة تعز دراسة آثارية أولية، مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة وجامعة تعز، تعز على مر العصور، 2009، ص 1407.

30) المضحى: هو مساحة من الأرض تزيد في بعض الحمامات، وتقل في بعضها، كانت تجفف فيها المواد المستخدمة للحرق أثناء تسخين الحمام، إذ كان يستخدم قديما في حمامات مدينة صنعاء وذمار أيضاً المخلفات الحيوانية والآدمية الجافة والعظام، أما الآن فتستعمل مادة الديزل، ومخلفات زيوت السيارات. أحمد الحاضري: فن وهندسة البناء الصنعاني، ص187.

31) المَلَّة: مصطلح يمني محلي، تمثل طابق أرضي للحمام، وهي مكان تسخين الماء وقاعات الاستحمام، وتتألف من المخزن والفرن والدست وشوارع توزيع الحرارة بأسفل قاعات الحمام، وهي غير متصلة مباشرة بجزء الاستحمام، كما أن لها مدخل خاص بها. أحمد الحاضري: فن وهندسة البناء الصنعاني، ص 218.

32) صلاح البهنسي: الحمامات العامة في العالم الاسلامي، ص 200 – 201.

33) محمد عبد الستار: فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني "دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر"، المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الآثار العثمانية وآليات الحفاظ والترميم، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، 2001، ص 277.

34) انظر: عبد الرؤوف المناوي، النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية، تحقيق عبد الحميد حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1987، ص 62.

35) محمد عبد الستار عثمان: فقه عمارة الحمامات، ص 281.

36) عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 4، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط 1، 1993، ص 254.

37) عبد العزيز صلاح سالم: الآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح بالمملكة المغربية، دار نشر المعرفة، ط 1، الرباط، 2011، ص 173.

38) يحيى العبالي: حمام المظفر، ص 1393.

39) الإيوانات: ومفردها إيوان كلمة فارسية معربة، تعني لغوياً قاعة العرش ومنه إيوان كسرى، أما في العمارة الإسلامية في العصر المملوكي، فالإيوان يمثل وحدة معمارية مربعة أو مستطيلة الشكل لها ثلاث حوائط من ثلاث جهات فقط والجهة الرابعة مفتوحة. والايوان يعلو دائماً بمقدار درجة أو سلمة أو أكثر عن باقي مسطحات المكان، وسقف الايوان إما معقود أو مسطح وعلى واجهته عقد. محمد أمين وليلى إبراهيم: المصطلحات المعمارية، ص 17.

40) انظر نص وقفية الحمام في الملحق.

41) الدهليز: بتشديد الدال وكسرها، يعني الحنية أو الطرفة أو الممر، وفي المصطلح الأثري المعماري فيأتي بصفة خاصة للدلالة على الممر الداخلي الذي يفضي من الدركاة إلى الصحن أو من الردهة التي تلي المدخل الرئيس إلى داخل المبنى. عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000، ص 110.

42) القبة: في المصطلح الأثري بناء محدودب أشبه بكرة مشطورة من وسطها، أو بناء دائري مقعر من الداخل مقبب من الخارج. وقد استخدمت في العمارة الاسلامية جميع أنواع القباب فتكون القبة كبيرة أو صغيرة أو بيضاوية أو نصف كروية أو بصلية أو مضلعة. عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص 222.

43) القبو: يقصد به سقف مقوس أو معقود ذو أشكال مختلفة تم استعماله في تغطية كثير من الأجزاء البنائية في العمارة الاسلامية، لا سيما الإيوانات والأروقة والحجرات والممرات وغيرها، بسبب عدم تعرض سطوحها المنحنية لأشعة الشمس خلال ساعات النهار خلافاً لما يحدث للسطح الأفقي، ومن ثم يقلل من الضغط الحراري على الفراغات

الداخلية فيها، وهناك أنواع عدة من الأقباء منها قبو اسطواني، وبرميلي، ومخروطي، ومتقاطع، وغيره. المرجع نفسه، ص 132 – 133.

44) الجملون: هو سقف محدب على هيئة سنام الجمل أو السقف الهرمي المسنم، ويقصد به في المصطلح الأثري المعماري سقف على شكل سنام مائل من طرفيه. المرجع نفسه، ص 68.

45) القضاض: هو خليط من مادة النورة والماء والرمل والحصى، يتم خلطها بطريقة معينة، و تترك لعدة أيام للتخمر، ثم تكسى بها الجدران أو الأرضيات وتطرق لعدة ساعات حتى لا تترك أي أثر للفراغات، ثم تدلك بأدوات خاصة وتطلى بطبقة رقيقة من الشحم ومخ الحيوانات لمنع تسرب الماء. مطهر الإرياني: القضاض، الموسوعة اليمنية، ج 3، ص 2400.

46) استعملت الطريقة التقليدية في بناء السقف المسطح لممر المستوقد، وتتم بوضع عوارض خشبية تثبت في طرفي الجدار على مسافات تقدر بحوالي (50سم)، وتتقاطع معها أخشاب صغيرة (رجز)، ترص مع بعضها بعضاً، ثم تغطى من الأعلى بطبقة من الطين تليها طبقة من التراب.

47) انظر: عبد الرؤوف المناوي، النزهة الزهية، ص 60. أحمد الحيمي، حدائق النهام، ص 28.

48) بلجوزي بو عبد الله: دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة ماجستير، معهد الآثار – جامعة الجزائر، 2006، ص 86.

49) عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة بالمغرب الأقصى، ص 254.

50) أحمد بن محمد الحيمي: حدائق النهام، ص 28.

51) المقرنصات: مفردها مقرنص: هو حلية معمارية زخرفية تشبه خلايا النحل، في صفوف بعضها فوق بعض، تستعمل وسيلة إنشائية لتحويل المربع إلى مثمن، وقد استعملت في المباني العربية الإسلامية المختلفة. كامل حيدر: العمارة العربية الإسلامية (الخصائص التخطيطية للمقرنصات)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1994، ص 13 – 14.

52) هذان الإيوانان في الوقت الراهن لا يستخدمهما المستحمون.

53) يحيى العبالي: حمام المظفر، ص 1397.

54) يقع في حي السرار بصنعاء القديمة شرقي السائلة مقابل قبة المهدي عباس، ويرجع تاريخ عمارته إلى ما قبل سنة (977ه/ 1569م)، وينسب إلى أسرة صنعانيه. انظر: Serjeant. R. B, and Ronald Lewcock, Sanaa an Arabian Islamic City, world of Islam Fastival trust London, 1983, p 508.

وأيضاً: منظمة العواصم والمدن الاسلامية: أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري، ص 263.

55) 1 – انظر: محمد عبد الستار، فقه عمارة الحمامات، ص 295 – 298.

56) منظمة العواصم والمدن الإسلامية: أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري، ص 244.

57) عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص 85.

58) انظر: عبد الرؤوف المناوي، النزهة الزهية، ص 59.

59) انظر: أحمد الحيمي: حدائق النمام، ص 81.

60) الحنايا الركنية: هي الدخلة المعقودة غير النافذة التي تكون في أعلى زوايا جدران البناء المربع لحمل القبة، وغالبا ما كانت على شكل نصف قبة أو أقل، وعملت لغرض وظيفي في غالب الأحيان، ولغرض جمالي تزييني في أحيان أخرى. عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص 86.

61) عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الاسلامية بالمغرب الأقصى، ص 254.

62) يقع في حي القطيع حارة الميدان بصنعاء القديمة، ويرجع تاريخ عمارته إلى الوالي العثماني حسن باشا (988-1012هـ/ 1580- 1603م)، ويعد أكبر حمامات مدينة صنعاء. انظر: أحمد راشد: تاريخ اليمن وصنعاء، ج2، ترجمة مديرية التطوير الثقافي، العراق، مطبعة البصرة، 1986، ص 209.

63) تعرض حمام الميدان لعدة ترميمات واصلاحات في العهد العثماني الثاني، ومنها في عهد الوالي أحمد مختار باشا (1288-1291هـ/1871- 1874م)، وكذلك في فترة حكم الوالي مصطفى عاصم (1292-1296هـ/ 1875- 1879م). انظر: أحمد راشد: تاريخ اليمن وصنعاء، ج2، ص 209. وأيضاً يمن سالنامة سي: مطبعة الولاية، 1896، ص 366، 377.

64) السيد محمود البنا: دراسة ترميم وصيانة مدينة صنعاء القديمة في العصر العثماني، رسالة دكتوراه، (غير منشورة) كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1993، ص 208. وأيضاً: Serjeant and Lewcock, Sanaa an Arabian Islamic City, p 513.

65) محمد عبد الستار: فقه عمارة الحمامات، ص 290.

66) محمد رابح فيسه: المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة دراسة تاريخية أثرية، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005، ص 104.

67) عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الاسلامية بالمغرب الأقصى، ص 254.

68) ما يزال يوجد في فناء المضحى بعض القدور التالفة (الدست)، التي تم الاستغناء عنها، فمع مرور الوقت تؤدي الحرارة الشديدة التي يتعرض لها هذا القدر إلى التشقق والثقوب، مما يجعل من الضرورة استبداله بقدر جديد.

69) يتم تنظيف الشوارع الأرضية بأسفل الحمام من المخلفات والأوساخ التي تعمل على منع وصول الحرارة إلى أرضية قاعات الاستحمام، وتتم هذه العملية عندما ينخفض معدل الحرارة الطبيعي والمعهود في قاعات الاستحمام، وكان التنظيف سابقاً بمعدل مرة واحدة في السنة، أو عند تبديل قدر الماء الساخن (الدست). مقابلة شخصية مع (الحمامي) محمد القردعي، بتاريخ 15/ 2/ 2017.

70) سيد البنا: دراسة ترميم وصيانة مدينة صنعاء القديمة، ص 207. وأيضاً: منظمة العواصم والمدن الاسلامية: أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري، ص 284.

71) صالح لمعي مصطفى: التراث المعماري الاسلامي في مصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، 1984، ص 62.

72) محمد رابح فيسه: المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة، ص 105.

73) بعد قلة الماء في بئر مسجد عبيلة، وحاجة الحمام إلى كمية كبيرة من الماء، أصبح الاعتماد بشكل كامل على شرائه من اصحاب الشاحنات الخاصة بنقل الماء. مقابلة شخصية مع (الحمامي) محمد القردعي، بتاريخ 15/ 2/ 2017.

74) يطلق على القدر النحاسي بالمنطقة الجبلية باليمن الدست، وبالجزائر النحاسة، وتتم عملية تثبيتها بواسطة بناء الأجزاء الجانبية من الفرن على علو (1.50م) تقريباً، وعلى الكتلة الاسطوانية توضع حافات النحاسة التي تكون قطر الفتحة العليا على الكتلة المبنية فوق الطبقة العازلة، وبعد تثبيتها توضع طبقة ثانية من الملاط، ثم توضع قطع أخرى من الآجر لتكون قاعدة الخزان المعد لتدفئة الماء، وتدعم هي الأخرى بمادة عازلة من الملاط. موساوي عربية سليمة: الحمامات الجزائرية من العصر الاسلامي إلى نهاية العهد العثماني دراسة آثارية معمارية، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1991، ص 135.

# Faculty of Arts

Quarterly Refereed Journal OF Humanities


**Patron**

Prof. Taleb Tahir AL-Nehari

**Editor**

Prof. AbdulKareem Musleh Al-Bahla

**Managing Editor**

Dr.Fuad Abdulghani Al-Shameeri

**Assistant Editor**

Dr. Fadhl Al-Omaisi

**Editorial Board**

Dr. Nageeb Al-wrafi

Dr. Ameen Al-Jabar

**Editorial Secretary**

Dr. Abdullah Ahmed Al-Jarfi

Ali Abdu Al-Rannah

Nada Ezzaddin Al-Osaimi

**Financial Officer**

Ali Ahmed Al-Bakhrani

**Advisory Board**

Prof.Adul Kareem Zabeeba

Prof. Nasr Al-Hujaily

Prof. Ahmed Al-Akwa'a

Prof. Hassan Al-Amri

Prof. Ali Said Saif

**Prof. Ahmed Mohammed Shuga-Addin**

Prof. Ibrahim Al-Silwi

Prof. Abdu Faran Al-Hemiari

**Proof-reading**

**Arabic Section**

Dr. Essam Wasel

Sarah Al-Sanbany

**English Section**

Dr. Amin Ali Al-Solel

**Designing & Producing**

Mohammed Mohammed Sobai

# Offline/Online Reading Strategies of Yemeni Engineering Professionals

**Muneera Muftah** •

**Abstract**

*Engineering Professionals are often perplexed by the difficulties that they experience while reading offline/online engineering materials. The causes of these difficulties are many and such difficulties require highly developed techniques to reduce them. These problems are many-sided and must be discussed from more than one point of view if a satisfactory solution is to be secured.*

*The present study focuses on the use of the offline/online reading strategies by Yemeni Engineering Professionals (YEP).Therefore the present study aims to determine the attitudinal as well as intellectual factors that affect the offline/online reading strategies. It then compares and contrasts the online/offline reading strategies used by these engineers at the workplace. The findings of this study will help to align the teaching of reading strategies and reading skills in the classroom environment with the needs at the workplace. A questionnaire survey method is used to gather data in this study. The questionnaire taps three different types of information: global reading strategies, problem solving strategies and support strategies.*

KEYWORDS: Reading Strategies, Offline/Online Reading Strategies, Language Learning, Workplace.

• (Corresponding Author) Assistant Professor of Applied Linguistics; Syntax and Morphology in SLA Department of English, Faculty of Arts, Thamar University, Yemen

## 1. INTRODUCTION

### 1.1 Background of the Study

Reading is an essential skill for learners of English to ensure success in learning. With strengthened reading skills, learners of English tend to make greater progress in other areas of language learning. Reading should be an active, fluent process that involves the reader and the reading material in building meaning.

Reading strategies are conscious actions that readers take in the reading process to comprehend the reading texts. The use of reading strategies can be observable behavior such us taking notes while reading to help comprehend the reading texts, reading aloud when the text becomes difficult, underlining or circling information in the text, and using reference materials for example a dictionary to help understand the content in the text.

The use of reading strategies can also be unobservable mental process, such as thinking about what one knows to help understand the content, critically analyzing and evaluating the information presented in the text, and trying to guess what the content of the text is about when reading.

According to (Paris and Lindauer, 1982) "readers should make decisions about taking proper actions for reading based on three variables: task dimension, limited cognitive abilities and motivation". It is also imperative "to distinguish reading strategies from reading skills. Reading strategies are used deliberately while reading skills are automatic" (Carell, Gajdusek , and Wise, 1998; p.107).

Offline/Online Reading strategies are classified differently by different researchers according to the variables that they intended to explore. Reading strategies can be categorized into two groups, global reading strategies and local reading strategies.

To date much research has been conducted to investigate the reading strategies of Engineering Professionals whose first language (L1) is Arabic and that of second language learners (L2) of English. Some of these studies have investigated the effect of teaching the strategies used by L1 learners to L2 learners. Comparisons have been done to elicit the most appropriate methodology to be used in language classes. Such research has had pedagogical implications in reading classes for L2 learners.

Strategic awareness and monitoring of the comprehension process are important aspects of skilled reading (Sheorey and Mokhtari,2001). Such awareness and monitoring is known as "metacognition" which entails knowledge of strategies for processing texts, the ability to monitor comprehension, and the ability to adjust strategies as needed. According to Sheorey and Mokhtari (2001) , it is the combination of conscious awareness of the strategic reading processes and the

actual use of reading strategies that distinguishes the skilled from the unskilled readers. Researches in L1 and L2 show that successful reading strategy use is dependent on whether a strategy is used meta cognitively. Studies have also shown that unsuccessful Engineering Professionals lack this strategic awareness and monitoring of the comprehension process. These less successful Engineering Professionals ought to be helped to acquire reading strategies that have been found to be successful (Mokhtari and Reichard, 2002).

Shoerey and Mokhtari (2002) have conducted significant research on the identification of offline/online reading strategies of twelve (12) learners. They developed an instrument known as the survey of reading strategies (SORS). The survey of offline/online reading strategies (SORS) focuses on offline/online reading strategies used in academic reading. The SORS survey was developed by Mokhtari for university students who are native and non-native English speakers. The SORS was based on a separate offline/online reading strategy developed for non-native speakers of English.

SORS was used to measure the type and the frequency of reading strategies that the students perceive they are using while reading academic materials. The SORS, which is developed by Mokhtari is composed of 28 items with 5- point likert-scale ranging from 1(never) 5 (always).

The SORS measures three broad categories of reading strategies, namely,Global Reading Strategies (GLOB), problem solving strategies (PROB) and support reading strategies (SUP). A brief description of these strategies is as follows:

- Global reading strategies (GLOB): those intentional, carefully planned techniques by which learners monitor or manage their reading such as having purpose in mind when reading, such as previewing the text as to its length and organization.
- Problem solving strategies (PROB): actions and procedures readers use while working directly with the text. These are localized, focused techniques used when problems develop in understanding textual information, such as adjusting the speed of reading when the material becomes difficult or easy.
- Support reading strategies (SUP): basic support mechanisms intended to aid the reader in comprehending the text, such as circling information in the text highlighting textual information or referring to a dictionary.

The table below displays the three subcategories of the SORS and the specific items.

**Table 1:Sub-categories of SORS (Mokhtari ,2001,2004) and specific items**

| Strategy category | Item No. |
|---|---|
| Global reading strategies(12 items) | 1,2,3,5,7,11,16, 19, 20, 22, 23, 26 |
| Problem solving strategies(8 items) | 6, 8, 10, 13, 15, 18, 24, 27 |
| Support reading strategies(8 items) | 2, 4, 9, 12, 17, 21, 25, 28 |

Note: Total = 28 items

Results of the research revealed that native English–speaking and ESL students display all of the strategies included in the survey. It was found that the ESL students reported using a greater number of support offline reading strategies. There was a significant difference in the use of the strategy of underlining information in the test for ESL students. The female ESL students reported using the strategy more frequently than the male ESL students. Secondly, both groups attribute the same order of importance to categories of reading strategies in the survey, regardless of their reading ability or gender. Thirdly, both native English – speaking and ESL students of higher reading ability show comparable degrees of higher reported usage of offline reading strategies in comparison to students with lower reading ability. Native English-speaking students of higher reading ability also seem to consider support offline reading strategies more valuable compared to non-native English-speaking students with lower reading ability.

Mokhtari and Sheorey (2008) later explained that skilled readers of FL and SL were characterized as globally aware. They were able to think about the reading process, to focus on planning, monitoring, goal-setting and assessment strategies, and to promote global skills as well as reading comprehension. Highly proficient students appear to use more and a greater variety of strategies in the reading of English texts. Kummin and Rahman (2010) reported that ESL university students from Kebangsaan, Malaysia, who were proficient in English often used a variety of strategies, but those who were less proficient had little knowledge of metacognition. They were not able to use suitable strategies to evaluate their own reading comprehension.

Talebinejad et al., (2015) explained that non-natives used "memory and cognitive strategies" more than natives. They added that using more strategies by non-native readers can be attributed to the factor of transfer and knowledge of their native language, i.e. "L2 learners use their L1 as a resource to understand an L2 reading text" (Belet & Gursoy, 2008). Proficient non-natives can use strategies of two

languages, their first and second languages, and transfer them from L1 to L2. As a result of transfer, non-natives can use strategies more frequently than natives.

**1.2 Statement of the Problem**

Most of researchers assume the importance of the use of reading strategies; however, there is a debate as to the most effective reading strategies that have to be adapted in the reading classrooms. Searching the literature has shown that Yemeni Engineering Professionals use offline/online reading strategies while reading engineering materials. They face problems in terms of offline/online reading, and that's because they do not have enough information as to the appropriate use of offline/ online strategies. Many YEP have reported that they have spent a long time to comprehend the content of the texts especially when reading in foreign language(s). Once we understand the importance of reading strategies, particularly the offline/ online reading strategies, we will begin to visualize answers or solutions for such problems.

In light of the above discussion, the present work proposes to investigate the use of offline/online reading strategies which are used by Engineering Professionals, i.e. Yemeni Engineering Professionals so as to develop Engineering Professionals' awareness of the use of appropriate offline/online reading strategies. We plan to carry out an overall inclusive investigation to discover what kind of problems the Engineering Professionals face when reading academic/engineering materials, and what are the possible solutions for these problems.

**1.3 Purpose of the Study**

The primary aim of this study is to obtain a better understanding of the offline/online reading strategies adapted by Yemeni Engineering Professionals (YEP). This goal will be achieved through addressing the following research objectives:

1. To investigate the use of offline/online global strategies among YEP.
2. To determine the problems faced by YEP while reading academic engineering materials.
3. To investigate the use of offline/online problem-solving strategies.
4. To identify appropriate solutions for these problems.

**1.4 Research Questions**

The research was guided by the following research questions:

1. What are the offline/online reading strategies most often used by Yemeni Engineering Professionals (YEP)?
2. Are there any similarities in offline/online reading strategies used by Yemeni Engineering Professionals (YEP)?

3. What are the problems faced by Yemeni Engineering Professionals (YEP) in terms of offline/online reading?
4. How these problems can be solved?

### 1.5 Significance of the Study

This research will provide a brief description on the various offline/online reading strategies used by YEP. To Engineering Professionals, the proposed research serves as a guide to get them equipped with the necessary reading strategies and reading skills to function effectively at the workplace. It will also help Engineering Professionals to read and understand what they are reading at the same time.

As to teachers, the proposed research will help them improve appropriate teaching methods in the reading classes. The need to facilitate offline/online reading strategies is due to the dearth of information available on texts and the need for language leaning Engineering Professionals to assess such materials for specific purposes. Therefore, the present study hopes to bridge the gap between what is taught in the reading classrooms and the Engineering Professionals' needs.

### 1.6 Limitations of the Study

The present study focuses on the offline/online reading strategies used by Yemeni Engineering Professionals (YEP). Due to the fact that the study confines itself to studying one sample group that is Engineering Professionals, particularly Yemeni Engineering Professionals, the present study is limited in its scope and generalizability of results to participants similar to the present one, i.e. the study is generalizable to Yemeni Engineering Professionals.

## 2. LITERATURE REVIEW

### 2.1 Difficulties in Reading Scientific Texts

Difficulties in reading scientific texts can rise due to numerous factors. Ignoring text organization and lacking the specific vocabulary are just few factors. Imagine if these two reasons are coupled with lack of proficiency in the foreign language of instruction, of course, things will be tougher for engineering to hold. Reading scientific texts in a foreign language complicates the situation to learn for science learners who find themselves overwhelmed by obstacles on both sides. On the one hand, they have to understand the new concepts in their subject matter. On the other hand, they have to know the basic elements in the foreign language system that is used as the medium of presentation. Besides, they have to be aware of the conventional rhetoric of science in order to cover all the aspects (knowing the language, knowing the new concepts in their field, and knowing the rhetoric of scientific texts) that help them comprehend effectively. Wiggin (1977) reports that

"many foreign engineering professionals lack the ability or training to understand the implicit messages that result from an interaction of syntax and rhetoric" (p.4).
This is of course applied to engineering professionals who study English as their subject matter. In this study, the engineering professionals are unfortunately unable even to understand the 'explicit' messages, which are indicated by 'explicit' cohesive markers. It is so not because they do not study English, but as we understood from them, it is because they did not study English as it should be either as GE or as EST. In order to read efficiently in English, engineering professionals need knowledge of how the English language is used in scientific writing. This includes:
-Knowledge of language itself, its grammatical structure and vocabulary, which are generally found under the heading of GE.
-Knowledge of how these features of language are used in scientific context and in the presentation of information and this can be found under the heading of EST.

**2.2 Definition of Reading**

The most common definition of reading is that it is a 'cognitive' activity where a kind of 'involvement/interaction' between the reader and the text is taking place to get the meaning out. So, reading is an activity in which readers have to extract and construct meanings from written texts and to dependent on many psychological, linguistic, and contextual factors. In this respect, Widows (1979) (as cited in Carrell et al., 1988) views the reading process (as not simply a matter of extracting information from the text. Rather, it is one in which the reading activates a range of knowledge in the reader's mind that may be refined and extended by the new information supplied by the text. (p. 56).

In the present study, we will most of all focus on one particular kind of reading which has to do with 'reading the lines' or 'reading in scientific English'. It is 'reading with comprehension'. We believe that exposing EFL science learners to instructional information on how to read with comprehension is beneficial for them to overcome their difficulties in reading scientific texts in English.
Indeed, since reading comprehension above sentence-level (discourse level) has moved to another dimension, science learners should be equipped with adequate and possible ways to access discourses. This new consideration becomes the main concern of linguists to help engineering, understand such types of discourse efficiently. Reading with understanding the whole discourse brings to the surface some hidden difficulties that are generally faced by EFL learners who really need to read their academic writings successfully. Hence, understanding the kind of knowledge involved in constructing these linguistic units should be made clear to non-natives to read with maximum comprehension.

**2.3 The Reading Comprehension**

In this study, we want to spotlight reading that is accompanied by understanding and comprehending a piece of language, i.e., the 'making sense' of what one reads. Most of the time, reading comprehension is accustomed to be seen as the ability of the reader to answer direct questions that usually follow certain texts, and which contain the same words that are found in the text. However, some studies (Widdowson, 1979; Nuttal, 1982; Smith, 1982) suggest that the ultimate purpose from reading is actually more to comprehend what to read than to merely answer questions. Despite this, the questions are in fact important elements for comprehension because they work as tools for assessing one's ability to comprehend. For this reason, it has been thought that it is likely more beneficial if questions are put before one reads the text to make reading both a 'purposeful' and a more 'meaningful' activity ( Herr - Augustine et al, 1982). In the same vein, Smith (1982, p.166) points out that "the twin foundation of reading are to be able to ask specific questions (make predictions) in the first place, and to know how and where to look at print so that there is at least a chance of getting these questions answered."

Being able to comprehend is an essential element in good reading because it indicates the ability of the reader to paraphrase, synthesize the content, answer questions about materials, make predictions and inferences, and of course understand the main ideas and facts.

In this respect, reading comprehension as an aspect of language learning is defined as a "careful reading" (McConkie, 1973). That is, when one reads is not only to comprehend the material in hands so that to answer the questions following it, but it is also to memorize the information he gets from the text to be used later on as his background knowledge in a particular topic.

We can say that it is due to the new tendency; that is, the consideration of reading as an 'active skill', linguists such as Person & Johnson (1978) define reading comprehension as "any reader's interaction with the text". Comprehension, as a matter of fact, is an outcome of a successful interaction between a reader and a writer who mediates through the text. It is evident that one facet of interaction is establishing the logical connections between ideas in a text. According to Pearson & Johnson (1978), readers comprehend a text only when they have understood these connections for reformulating them in another fashion, paraphrasing. In this way, inferences are considered as critical acts of comprehension: if readers are able to identify the relationships between ideas in a text and the logical connectors that indicate them, they will be able to infer the conceptual and structural gaps in the text. Foss & Haykes (1978) claim that if reading comprehension is not based

on syntax, semantics, discourse, and pragmatics, it will definitely lead to short-term retention and memorization.

**2.3.1 Reading Comprehension with EFL Engineering professionals:**

In Yemen, EFL engineering students are seen as to solely develop the engineering' ability to answer exam questions. Because of this, their reading skills are limited to just answering exam questions based on the comprehension of a text at the end of each semester.

In an attempt to improve the comprehension skills, some studies try to find out what skills and strategies that are commonly used by good engineering professionals when processing a text. They suggest that it is possible to teach students with reading problems like engineering professionals, for instance, how to develop reading skills and strategies that are proved to be used by good engineering professionals. These skills and strategies should be taught through explicit and specific reading constructions. In the following section, we will present one model of reading, which is thought to be of great usefulness for EFL engineering professionals who need to read in English.

**2.3.2 Reading as a Communicative Process**

In a series of four books under the title of *Reading and Thinking in English*, Oxford University (1986) provides in the third book *Discovering Discourse* an integrated course in reading comprehension for students of English as a foreign language. This book specifically targets students whose main aim is to gain access to information through English because it intends to help them and others read textbooks, works of reference and read in a professional way .

Reading comprehension is seen as a communicative process where the engineering professional communicates something through the text and the reader has to get it by interacting with the text during reading. In order to make readers aware in the process of reading, four reading strategies are introduced. These strategies can help scientific learners to read with comprehension and hence to improve their reading skills efficiently.

**2.3.2.1 Understanding Language Patterns**

The first strategy for improving the reading comprehension is 'understanding language patterns'. Engineering professionals should first be aware of the language patterns that exist in English in order to understand the message. There are situations where the same message can be conveyed using different means: visually (non-linguistically) or linguistically. In science, as a matter of fact, we can use diagrams, maps, graphs, and pictures to communicate a particular message visually. Likewise, we can use words, phrases, and paragraphs to express

and present ideas and information by means of linguistic elements. In any language, the small linguistic elements are grouped together into different patterns to produce large units. Some of them are meaningful such as words, phrases, and sentences.

However, not all the patterns make sense or can carry meaning. Understanding the conveyed message of a text (its communicative function) can be achieved when the readers are able to understand the meanings of sentences in English. However, reading does not stop at understanding the sentence patterns. In order to present information in a logical way, sentences are usually arranged into larger patterns. It is possible to understand every word in a passage without understanding the message simply because understanding in this case requires knowledge of another level, a discourse level. Comprehending necessitates from engineering to know the logical structure of the whole passage, which depends in the first place on how the writer wants to organize and present the information in it. To succeed in establishing this knowledge, the engineering has to know the expressions that connect ideas together. The logical structure of a passage is generally signaled by these 'textual connectors' which act as signposts to help the engineering to find their way through the passage. In sum, the first strategy for improving reading comprehension can be summarized as the following: "Recognize patterns of language inside the sentence and between sentences by increasing your understanding of vocabulary, grammar and textual connectors" (Oxford, 1986, p.6).

**2.3.2.2 Understanding by the Use of Context**

Occasionally, there are situations where engineering professionals meet words or phrases they do not know, and to overcome such a problem, there are some strategies. One of them is to 'deduce/infer' the meaning of the unfamiliar words and phrases by referring to the neighboring words and phrases that engineering professionals know. The engineering professionals can actually benefit from the 'linguistic context' (co-text) of the text by reference to the grammar and connectors in the sentence and within the paragraph. Understanding the relation between the known part of the context and the unfamiliar part helps engineering professionals deduce and guess the meaning of the unknown elements.

In brief, the second strategy for improving reading comprehension can be summarized as the following: "Use the information from the context to discover the meaning of unfamiliar words or phrases and to help choose the appropriate meaning from the dictionary" (Oxford, 1986, p.7).

**2.3.2.3 Reading with Prediction**

Insofar, the above two strategies will help engineering professionals to read more 'accurately'. To read more 'fluently', there is another technique that should be used by EFL learners, it is to 'predict' as possibly as one can about what he is reading. The first thing to do is to benefit from the 'title' of the written material (book, article, or passage) because it tells him about the topic. Second, the use of the 'background knowledge' about the topic is another way of possibly and successfully predicting about the content. Third, the 'non-linguistic devices', such as those mentioned in the first strategy, can provide a good context for prediction. On the other hand, using one's knowledge about the context of texts helps readers in making prediction.

In short, the third strategy for improving reading comprehension can be summarized as the following: "Make predictions about the content of a passage based on: titles and subtitles, your own background knowledge of the topic, non-linguistic context: pictures, diagrams, etc. and the linguistic context" (Oxford, 1986, p.8).

**2.3.2.4 Purpose in Reading**

The final set of strategies that will help engineering professionals to read more 'efficiently' is 'reading with a purpose'. We have seen in the first strategy that writers structure information in a way that suits the purpose they have in mind. Similarly, engineering professionals have a purpose when they read.

Generally, a common purpose in reading is to find out some information opposed to that kind of reading that is for pleasure. In academic settings, the purpose of learners is to find out the needed information that helps them in their studies. One way to make reading an efficient process is the ability to locate information necessary for the reader's purpose in a passage. This sometimes leads the engineering professionals to ignore or pass by what is not relevant to his purpose. Reading with purpose shows the possibility that one passage can be read differently by two people simply because they have different purposes in mind. In a few words, the fourth strategy for improving reading comprehension can be summarized as the following: "Have a clear purpose before reading; locate the parts of a passage which are relevant to your purpose" (Oxford, 1986, p.9).

In short, a good recipe to read 'accurately, fluently, and efficiently' should include the following ingredients:

(1)Understand language patterns and the use of context.

(2) Use the topic to read with prediction.

(3) And do not forget to read with a purpose.

**2.4 Reading as an Important Skill:**

Reading is an important skill to help people learn from human knowledge and experience. Through reading, knowledge has greatly contributed to the growth of mankind. Reading is the fastest and simplest way to raise people's educational level. Reading is like opening the door of understanding to human' spats, where it can serve as a looking glass for our present. Reading also stimulates the development of brain cells, reinforces language skills, enhances organizational abilities, improves one's temperament and poise, and provides strength to endure frustration. In short, reading is the best and only way of enabling humans to absorb new experience and replace old views.

**2.5 The Perspectives of Reading**

To help students derive meanings from a text, Engineering professionals have to understand the process of reading. Reading can easily be defined as the process in which a person receives and interprets a message from printed materials. Reading is a process of how information is processed from the text into meanings, starting with the information from the text, and ending with what the reader gains. Goodman (1976) and Smith(1973) indicated that reading is a language process, not merely the sum of various decoding and comprehension sub skills. In short, reading is the process of reconstructing the author's ideas and information. Reading was traditionally viewed as a passive process in which the readers simply decode the written symbols without bringing their own knowledge to interact with the text (Clarke & Silberstein, 1977; Rudd ell, 1976). Alderson (2000) called these readers passive decoders of sequential graphic-phonemic-syntactic-semantic systems. But after the emergence of the psycholinguistic model of reading (Goodman,1976; Smith, 1971; 1973), research on reading showed that reading is actually an active process, in which the reader creates meaning from the printed words. As Goodman (1976) described, reading is a psycholinguistic guessing game, in which the reader actively interacts with the text to construct meaning. Goodman (1973) and Smith (1973) both elaborated the "psycholinguistic method" of reading and argued that it had provided new insights into the reading process as well as the process of learning to read. To sum up, reading is the act of constructing meaning while transacting with text.

**2.6 Research on Reading Strategies**

In this section, the research on EP/EFL reading strategies instruction will be reviewed.

**2.6.1 Research on EP/EFL Reading Strategies Instruction**

Much research indicates that all Engineering professionals (EP) can benefit from strategy instruction. For instance, to aim at investigating the effects of using

reading strategies on reading comprehension for EP, Zhang (1992) conducted a study to incorporate four reading strategies into reading instruction. The four strategies are cognitive, memory, compensation, and test-taking strategies. The result indicates that the reading strategies instruction really help the EP in the experimental group make more improvement in reading comprehension than the control group. However, there was no interactive effect between the reading levels of the reader and the teaching method used.

**3. Methodology**

**3.1 Participants**

For the purpose of this study, one location was selected as a venue where the questionnaire was distributed. Yemeni engineering professionals, from a private Yemeni petroleum company participated in this study. The choice was due to the fact that the above mentioned company employed large numbers of engineering professionals. It also serves the purpose of identifying reading strategies used by EFL engineering professionals.

A total of thirty(30)participants took part in the questionnaire survey. The participants were all engineering professionals and were selected randomly. The study involves participants from different cultural backgrounds with an age ranging from below 20 to above 35 years old.

**3.2 Research Instruments**

The main purpose of the study is to identify offline/online reading strategies used by Yemeni engineering professionals. A survey of reading strategies (SORS),originally developed by, Mukhtari and Sheorey's (2001),was adapted in the present research to investigate the use of the offline/online reading strategies by engineering professionals when they read offline/online academic materials. The survey intended to probe the reader's perceived use of reading strategies and the frequency of the use of the reading strategies while reading.

The engineers were selected randomly. The questionnaire was first distributed to 50 engineers but only 30 engineers were able to fill out the questionnaire completely. The questionnaire comprises of 2 global reading strategies items; 29 problem offline reading strategies items, and 29 online reading strategies items. The questionnaire uses a five-likert scale where '1' means that' I never do that' when I read offline/online'2' means that ' I do this occasionally' '3' means that ' I sometimes do this ' '4' means that 'I usually do this ' and '5' means that 'I always do that when I read offline/online .

## 4. RESULTS AND INTERPRETATIONS

The findings of the study are discussed below.

### 4.1 Profile of respondents

Table 2 shows the profile of the respondents. For the SORS, thirty engineers responded. 100% of the respondents are from the same company A. There were 82.5% male and 17.5% female respondents respectively. 20% are below the age of twenty–five, 30%between twenty-six to thirty, 7% between thirty–one to thirty–five age bracket and the remaining 43%were above the age of thirty–five. The majority of the respondents ,therefore, are young engineers. 64% of the respondents are engineers, 7% are architects , 7% geophysical , 3% commercial DEPT, 3% IT network admins, 10% programmers ,3% accouters and 3% are working in the safety division.

**Table 2: profile of respondents**

| | | Frequency | Percent |
|---|---|---|---|
| Mode | Online | 30 | 50 % |
| | Offline | 30 | 50 % |
| Gender | Male | 25 | 82.5 % |
| | Female | 5 | 17.5 % |
| Age | Below 25 | 6 | 20 % |
| | 26 – 30 | 9 | 30 % |
| | 31 – 35 | 2 | 7 % |
| | Above 35 | 13 | 43 % |
| Occupation | Engineers | 19 | 64 % |
| | Architects | 2 | 7 % |
| | Geophysical | 2 | 7 % |
| | Commercial DEPT | 1 | 3 % |
| | I T network admin | 1 | 3 |
| | Programmers | 3 | 10 % |
| | Accountants | 1 | 3 % |
| | Safety division | 1 | 3 % |

Independent sample T-test were run in the analysis. In response to the research question if there are any significant differences in online and offline reading strategies, the results indicate that there are no significant differences between

online and offline reading strategies , t( 28 )= ~1.23,p~0.22 (see Table3).The mean for the online reading strategies was 3.30, while that of offline reading strategies was3.30.

**Table 3: Independent sample t-test for online and offline reading strategies**

| | Mode | Mean | SD | SE | T | df |
|---|---|---|---|---|---|---|
| Reading strategies | Online | 3.30 | 0.56 | 0.16 | 1.23 | 28 |
| | Offline | 3.30 | 0.53 | 0.20 | | |

**4.2 Differences in online and offline reading strategies**

In response to the research questions (1&2) whether there are acute differences in the online and offline reading strategies used by engineering professionals according to the three categories , Global, Problem- solving , Support Strategies , the results indicated that there were significant differences in the use of global and problem-solving strategies. As for the use of global reading strategies in online reading, the mean was 2.13 while that of offline reading was 2.16; for problem-solving strategies where the mean for online reading was 1.10, the mean for offline reading was 1.33

However , there was significant difference in the use of supporting strategies where the mean for online reading was 1.40 and the mean for offline reading was 2.23 (see table 4).

**Table 4: Mean for reading strategies**

| | Mode | N | Mean | Std. deviation | Std. Error mean |
|---|---|---|---|---|---|
| Global | Online | 30 | 2.13 | 2.56 | 1.13 |
| | Offline | 30 | 2.16 | 3.30 | 0.33 |
| PROB | Online | 30 | 1.10 | 2.53 | 0.83 |
| | Offline | 30 | 1.33 | 2.4 | 0.46 |
| SUP | Online | 30 | 1.40 | 3.70 | 1 |
| | Offline | 30 | 2.23 | 3.8 | 0.56 |

There is however, a significant difference in the use of support reading strategies between online and offline reading. It has been found that more support reading strategies were used for offline reading then for online reading. This could be due

to the fact that when the engineers read manuals or reports, they spend more time trying to understand the content in the material compared to what they read on their computers.

Generally, more support reading, global and problem-solving strategies were used by the engineers at the company where they spend more time using various reading strategies.

**4. 3 Frequency of strategy use**

To answer the question: which strategies are most often used, whether global, problem-solving and support, the mean statistics indicates that Global reading strategies were most often used in online and offline reading, followed closely by support reading strategies for which the mean was 3.70. The strategies which were used the least were Problem- solving strategies. The mean for the use of Problem-solving strategies was 2.50 (see Table 5). These findings are consistent with the findings of Anderson (2003) in his study of EFL learners. Global reading strategies were more often used by the EFL learners .

**Table 5 : Means of reading strategies more often used**

| | N | Minimum | Maximum | Mean | Std . deviation |
|---|---|---|---|---|---|
| GLOB | 30 | 0.33 | 3.30 | 2.16 | 3.30 |
| PROB | 30 | 0.46 | 2.50 | 1.33 | 2.50 |
| SUP | 30 | 0.56 | 3.80 | 2.10 | 3.80 |

The independent sample t-test indicated that there are significant differences in the use of Support reading strategies between online and offline reading of engineering materials : p ( 30 )= -3 , p <1.50 ( Table 6 ) . On the other hand , the test indicated that there are no significant differences in the use of global and support reading strategies between online and offline reading of engineering professionals.

**Table 6: Independent sample t-test between online and offline reading strategies**

| Reading strategy | Mode | Mean | SD | SE | DF |
|---|---|---|---|---|---|
| GLOB | Online | 2.13 | 2.56 | 1.13 | 28 |
| | Offline | 2.16 | 3.30 | 0.33 | |
| PROB | Online | 1.10 | 2.53 | 0.83 | 28 |
| | Offline | 1.33 | 2.4 | 0.46 | |
| SUP | Online | 1.40 | 3.70 | 1 | 28 |
| | Offline | 2.23 | 3.8 | 0.56 | |

The engineering professionals read online and offline engineering materials for various purposes. The materials that they refer to are manuals and reports. From this study, the use of reading strategies most often used by engineering professionals are made clear. The significant difference in the use of reading strategies by the company could be the differences in the nature of work. It is that the engineers at the company use more problem-solving strategies in contrast to global and support reading strategies .

For both online and offline reading, support reading strategies were most often used by the engineering professionals at the company, followed by global reading strategies and then only by problem-solving strategies. Support reading strategies are such as" I paraphrase to better understand what I read", "I underline or circle information in the text to help me remember it', and " I go back and forth in the text to find relationships among ideas in it". Problem-solving strategies include: " I try to picture or visualize information to help me remember what I read", "I have a purpose in mind when I read ","I read slower according to engineering material I read", "when reading, I decide what to read closely and what to ignore", "When reading, I translate from English into my native language". Problem-solving strategies are the least often used by engineers in the field, most probably because of constrains of time or due to the need to meet with deadlines.

**5.CONCLUSION**

Reading is an essential skill for English learners to ensure success in learning. With strengthened reading skills, English learners tend to make greater progress in other areas of language learning. Reading is an important skill to help people learn

from human knowledge and experience. Through reading, knowledge has greatly contributed to the growth of mankind. The most common definition of reading is that it is a 'cognitive' activity, which implies a certain amount of thought on the part of the 'engineering', and where a kind of 'involvement/interaction' between the reader and the text is taking place to get the meaning out.

The reading strategy instruction will improve reading comprehension of EFL, so the engineering professionals (EP) perform best in the types of main idea questions, detail questions and word-guessing questions from the strategies instruction, but they cannot do well in the inference questions, the strategies of skimming, scanning, guessing word meanings are most frequently used by EPs; while self-monitoring is the least used strategy, and EPs have positive responses toward the explicit instruction of reading strategies.

We can define the reading strategies as a conscious actions that readers take in the reading process to comprehend the reading texts, and the use of reading strategies can be observable behavior such us taking notes while reading to help comprehend the reading texts, reading aloud when the text becomes difficult, underlining or circling information in the text, and using reference materials for example a dictionary to help understand the content in the text.

The present work proposes to investigate the use of offline/online reading strategies used by Engineering Professionals, i.e. Yemeni Engineering Professionals so as to develop Engineering Professionals' awareness of the use of appropriate offline/online reading strategies. The SORS measures three broad categories of reading strategies, namely, Global Reading Strategies (GLOB) ,problem solving strategies (PROB) and support reading strategies (SUP) . Some studies suggest that the ultimate purpose from reading is actually more to comprehend what to read than to merely answer questions. And also reading comprehension is seen as a communicative process where the engineering communicates something through the text and the reader has to get it by interacting with the text during reading. To succeed in establishing this knowledge, the engineering has to know the expressions that connect ideas together.

The engineers at the company use more problem-solving strategies in contrast to global and support reading strategies. For both online and offline reading, support reading strategies were most often used by the engineering professionals at the company, followed by global reading strategies and then only by problem-solving strategies.

As seen in the literature review, many studies have been done to investigate the meta cognitive reading strategies of EFL learners but none to date has been

conducted on professionals at the workplace. This study thus bridges the gap between what is done in classrooms and what is practiced at the workplace. Examining the meta cognitive reading strategies of engineering professionals shed light on why reading strategies are significant to accomplish the tasks of engineers. More of such research should be carried out in other professional fields such as business, information technology, medicine, architecture etc,.

The results of this study have pedagogical implications for English for specific purposes (ESP) classes. In most institutions of higher education, Technical English classes for engineering students are conducted. On the basis of the current findings and the literature, a fair balance between strategic and linguistic training should be achieved in skills development programs such as for technical English classes. When exposing students to authentic engineering materials, both offline and online, teachers should (1) assess students' awareness of strategy use ( for example by using instruments such as the SORS and OSORS), (2) raise awareness of the importance of strategic reading, (3) raise awareness of the array of strategies available to aid comprehension (for example global , problem- solving and support reading strategies) , and then (4) provide strategy training problem-solving strategies such as the once employed by the engineering professionals in the study can be emphasized to enable students to become efficient and effective readers .This will have implications when the students enter the workplace .

## REFERENCES

Anderson N (2003). Scrolling, clicking, and reading English: online reading strategies in a second/foreign language. The Reading Matrix 3(3) 1- 33.

Belet, Ş. D. & Gursoy, E. (2008). A comparative study on strategies of the children for L1 and L2 reading comprehension in K12. College Teaching Methods & Styles Journal, 4 (2), 37-48.

Carrell, P.L., Gajdusek, L., & Wise, T. (1998). Metacognition and EFL/ESL reading. *Instructional Science*, *26*, 97-112

Clarke, M., and S. Silberstein. (1977). Towards a Realization of Psycholinguistic Principles for the ESL Reading Class. In R. Mackay, B. Barkman and R.R. Jordan (eds.), Reading in a Second Language: Hypotheses, Organization and Practice, (pp. 48-65). Rowley MA: Newbury House Publishers.

Foss, D., & Hakes, D. (1978). *Psycholinguistics: An introduction to the psychology of language.*

Goodman, K.S. (1971). Psycholinguistic universals in the reading process. In P. Pimsler, & T.

Harr-Augustein, S., Smith, M., & Thomas, L. (1982). *Reading to learn*. Methuen.

Kummin, S., & Rahman, S. (2010). The relationship between the use of meta-problem solving

McConkie et al. (1973). Experimental manipulation of reading strategies. *Journal of Educational Psychology, 65*, 1-8.

Mokhtari, K., & Sheorey, R. (2002). Measuring ESL students' awareness of reading strategies. *Journal of Developmental Education, vol. 25*, no. 3, pp. 2-10.

Mokhtari, K. and C. Reichard (2002). Assessing students' metacognitive awareness of reading strategies. *Journal of Educational Psychology, 94*, 249-259.

Mokhtari, K., & Sheorey, R. (2008). *Reading strategies of first- and second-language learners: See how they read*. Norwood, MA: Christopher-Gordon Publishers.

Oxford University (1986). *Reading and thinking in English: Discovering discourse.* UK:

Paris, S. G., & Lindauer, B. K. (1982). The development of cognitive skills during childhood. In B. W. Wolman (Ed.), *Handbook of developmental psychology* (pp. 333–349). Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Sheorey, R. & Mokhtari, K. (2001). Differences in the metacognitive awareness of reading strategies among native and non-native readers. *System, 29*, 431-449.

Talebinejad, M, Sadeghdaghighi, A. and Liaghat, F (2015). Application of Reading Strategies: A Comparative Study between Iranian and Indian EFL Students. *Theory and Practice in Language Studies*, *5* ( 2), 356-363

Wiggen, B.M. (1977). Syntax and discourse analysis: An approach to the teaching of scientific English discourse. *RELC Journal, 5*, 4.

Widowson, H.G. (1983). *Learning purpose and language use*. Oxford: Oxford University Press.

Widowson, H.G. (1979). *Explorations in applied linguistics*. London: London University Press.

# Case Endings in Standard Arabic

**Dr. Mohammed Ali Mohammed Qarabesh**[1]

**Abstract**

This study aims briefly at describing and analyzing some aspects of Case endings in Standard Arabic. This is because that Case seems to play a significant role in the grammar of not only Arabic but also in the grammar of many other languages. Many readers of this study might be wondering what Case is and why it is being dealt with.[2] In order to comprehend the notion of Case in Arabic, it is necessary to consider the language in which word order is not as stable as it is in the case of English.

In Arabic, an NP must have one of three Cases: nominative (NOM), accusative (ACC), or genitive (GEN) according to its position in a sentence. Many learners of Arabic as native or foreign speakers of the language may have no clear idea about Case system in the language. The rules of Case help these learners understand the proper structure of the language. Therefore, a distinction between three types of Case, i.e., Nominative Case, Accusative Case and Genitive Case, is to be dealt with for Arabic lexical NPs.

[1] Assistant Professor of Linguistics & Phonetics, Head of English Department, Faculty of Education & Science - Rada'a, Al-Baydha University.

[2] Case is the notion of grammar which is usually written with a capital letter 'C' as 'Case' to be distinguished from the ordinary word 'case'.

**Questions of the Study**

In order to be familiar with the nature of nominal Case and its mechanism in the structure of Arabic sentences, this research study seeks the answer for the following questions:

1. What is Case?
2. Why are we studying Case?
3. How many Case forms are there in Arabic? What are they? And how are they assigned to Arabic NPs?

**Objectives of the Study**

The main aim of this study is to deal with the discussion of the three different aspects of Case markers for Arabic nouns, i.e., Nominative Case, Accusative Case and Genitive Case. It also aims to prove that the rate of nominal Case marking differs widely in different positions of Arabic sentences. In brief, this study focuses on the difficulty of understanding Arabic Case system encountered by the learners of the language.

**Problem of the Study**

The Problem of the study lies in the fact that most of the Arabic learners, whether they are native or non-native speakers of the language, are not familiar with the final Case endings of NPs. Furthermore, some other learners of the language do not know how to differentiate subjects from objects in the Arabic sentences. In addition, some of them do not know what kind of Case is assigned to the subject or the object, and how it is assigned to any one of them.

## Importance of the Study

The importance of the present study lies in the fact that identifying Case endings for the NPs in Arabic sentences properly enables learners to deal with the language easily regarding the different positions of these NPs in the sentences. In addition, it helps them use the language properly in a standard manner; the way to speak and write Standard Arabic. All in all, this paper is about Arabic Case system and its importance in the structure of Arabic grammar. It is merely a linguistic study for the different Cases of Arabic nouns. In this study, the researcher focuses on the study of Arabic Case system as "a language system.

This study would shed light on the nature of Case system in Arabic and its different aspects of Arabic NPs which the learners of the language may encounter. It provides a clear analysis of the three different Case forms of Arabic NPs supported with suitable examples. It also provides some results and finding derived the analysis of the topic. Finally, it suggests some recommendations for further research studies.

**Introduction**

Languages are different in the way they put words in a sentence. They are also different in the way governing the declension process of these words. The word order of a language is constructed by the dimension of the grammatical functions of Case.

Case is a distinctive grammatical category of words, nouns, pronouns, adjectives, etc., which reflects the grammatical functions carried out by these words in phrases, clauses, or sentences. In many languages, nouns take different inflectional forms depending on their positions and what type of Case they are in.

Some languages such as Sanskrit, Greek, Latin, Hungarian, Hindi, and Arabic have comprehensive Case systems, with nouns, pronouns, and adjectives, all inflecting (usually by means of different suffixes) to mark their Case. English is an exception, the case in which it has largely lost its Case system, although its personal pronouns still have three different forms of Case represented by the nominative, accusative and genitive Cases that are used with personal pronouns only. There are many languages which have morphological Case forms for their nouns or pronouns.[3] In English, the morphological Case is restricted only to pronouns, while the lexical NPs have an abstract Case.

In linguistic theory, Case has been usually treated as carrying direct information about the Noun Phrases (NPs) modified by the Case marker. Case theories were developed on the basis of configurational languages. Configurational languages identify grammatical relations through their syntactic structure (Nordlinger 1998). English is, for example, a configurational language as its word order tells us which of the NPs is the subject and which is the object.

In Arabic, Nouns and adjectives are declined for Case. This research will focus a great deal of attention on the Case of nouns only. If you are a new learner of the Arabic language, it may interest you to note that foreign students of this language have a very tough trouble with Case. Even though Case may appear to be an unfamiliar notion to learners, they should have little problem with it here. There are some languages which have more Cases than Arabic does and they are considerably more complex.

Therefore, Case refers to the form of a noun or an adjective it takes depending on its function in a sentence. For instance, a noun which functions as the subject of a sentence has a different Case than it would have if it were the object of that sentence. In general, different Cases are indicated by changes in the vowels attached to the ends of nouns and adjectives.

[3] By morphological Case, we mean the overt Case form which is marked in the morphology of words.

In Arabic, there are three different Case endings. These Case endings are applied to most nouns and adjectives of the language. They are not applied to its pronouns nor do they apply to singular demonstratives. Case is not also applied at all to words used to form questions in Arabic.

The aim of this study is, therefore, to examine Case marking as a mechanism of the encoding of grammatical function in Arabic NPs as a concrete framework to demonstrate how the Case markers work to identify the grammatical functions of these NPs in a sentence.

First of all, we have to know what Case endings of Arabic nouns are, and how they operate in the structure of the language. Arabic nouns and adjectives are conjugated for Case. As for nouns, they are conjugated for Case according to their different positions in the sentences; Arabic adjectives are also conjugated for Case according to number, gender, and person when qualifying these nouns. This means that there must be an agreement between nouns and adjectives in Arabic regarding Case, opposite to English.[4] Case endings of Arabic nouns are little markers known as *Harakaat* (movements). These movements are put on the final letters (morphemes) of nouns presenting the grammatical functions of these nouns. Arabic Case endings are represented by three diacritical marks. These types of diacritics are represented by these figures: ◌ُ , ◌َ, and ◌ِ. The first one is called 'dhamma', the second 'fat-ha' and the third 'kasra' which are represented by the English short vowels /u/, /a/ and /i/ respectively. These three short vowels refer also to nominative, accusative and genitive Cases respectively.

Arabic Case endings are usually not written outside of the Holy Qur'an and children's books. But you will hear news broadcasters pronouncing them; and if you want to speak the standard Arabic (al-fus-ha) well, it is very necessary to understand its Case markers. Each of these markers should refer to one of the following Cases — nominative (al-marfũ3), accusative (al-manSūb) and genitive (al-majrūr). These three Cases are again represented by three diacritical marks, i.e., *dhamma*, *fat-ha* and *Kasra* respectively. They are called short vowels in Arabic, representing the English short vowels /u/, /i/ and /a/ respectively as represented in the following shapes: ◌ُ◌َ◌ِ

Looking again at the above shapes of Arabic diacritical marks, on the left is the Nom. Case marker (dhamma). It resembles a tiny apostrophe (') in English put at the final part of a noun, and it resembles the English short vowel /u/ to mark nouns in the Nom. Case. The second is the ACC. Case marker (fat-ha),

[4] This study is concerned only with the Case endings of Arabic nouns.

which appears on the end of a noun NP, and it resembles the English short vowel /a/ to mark nouns in the ACC. Case. On the right side is the Gen. Case marker (kasra) placed below the final part of a noun and is uttered as the English short vowel /i/ to mark nouns in the Gen. Case. Consider the following examples for each Case respectively.

1. *al-qalam-u* fawqa at-taawilat-i.
   the-pen- nom. on the-table-gen.
   'The pen is on the table.'
2. katab-a mohammed-un *ad-dars-a*
   wrote mohammed-nom. the-lesson- acc.
   'Mohammed wrote the lesson.'
3. dhahab-a ahmed-u ila *al-maktabat-i.*
   went ahmed-nom. to the-library-gen.
   'Ahmed went to the library.'

In the above examples, we find that the noun *Al-qalam-u* 'the pen' in (1) is the subject of the sentence and takes the nominative Case *dhamma* represented by /u/. In (2), the noun *ad-dars-a* 'the lesson' is the object of the sentence and takes the accusative Case *fat-ha* represented by /a/. Finally, the noun *al-maktabat-i* 'the library' is preceded by the preposition *ila* 'to' and gets the genitive Case *kasra* represented by /i/.

**Literature Review**

Case system of the nouns of Arabic and many other languages such as English has become the subject of many researchers in and outside the Arab universities. Some of these researches dealt with Arabic Case system individually, while some others concentrated on the contrast between English from one side and Arabic from the other side. References can be attributed to Abu Seif (1967) on the NPs in English and Cairene Arabic; Hassani (1967) on the classification on the NPs of English and Arabic; Qafisheh (1968) on pre-nominal modifiers; Al-Safi (1972) on concord; El-Derwi (1967) on Number; Yassin (1977) on the genitive; Mehdi (1981) and Zughoul (1979) on prepositions; El-Sheikh (1963) on pronouns; Bulos (1960); and Tadors (1979) and Tochie (1983) on relatives.

In Arabic, all NPs must have one of three Cases: nominative (NOM), accusative (ACC), or genitive (GEN). Buckley (2004) gave a detailed description of the conditions for each of these three Cases in Arabic. He dealt with eight different classes of nominal Case expression. He took into account NOM as the default Case. He mentioned seven conditions for the NOM., twenty-five for ACC. and two for GEN. Holes (2004), in his study on structures, functions, and varieties of SA, reported that the native speakers of Arabic, in fact, are native

speakers of one of the Arabic dialects, all of which have lost Case. Recently, in their study on *Arabic Diacritization*, Habash and Rambow (2007) claimed that misunderstanding rate of Case goes down if the word-final diacritics (which include Case) need not be predicted. The same claim has been proved by some other researchers such as Nelken and Shieber (2005) and Zitouni et al. (2006). Habash and Rambow (2007) added that tagging-based approaches to Case verification are limited in their usefulness, and full diacritization for subsequent processing in a natural language processing application needs to perform more complex syntactic processing to restore Case diacritics. They asserted that options include using the out-put of a parser in determining Case.[5]

**Types of Arabic Case Endings**

There are a lot of morphological Case endings for NPs in Arabic represented by different diacritical markers. But we will discuss only three types of these diacritics, i.e., the Nominative Case, Accusative Case and Genitive Case. As we know, Arabic NPs are conjugated for Case according to their different positions in a sentence. Case indicates the state of an NP as a subject or an object of a sentence and how it takes its form according to its function and position in that sentence. This means that if the noun functions as the subject of a sentence, it will be assigned a different Case than it would get if it were the object of the same sentence. The different types of Case, as nom., acc., or gen., are marked by the diacritical marks annexed to the final parts of the nouns. Let's now go on to discuss three types of Case for the Arabic NPs separately.

**1. The Nominative Case**

The usual word-order in Arabic is for the subject to follow the verb followed by the object, or for the verb to follow the subject followed by the object. The nominative Case is used in an Arabic sentence primarily in two situations. The first is the subject of any sentence. That is to say, the subject of any sentence will always be in the nominative Case. The nom. Case is chiefly used to denote the subjective Case of Arabic NPs. It is, in other words, used to show that an NP is the subject of a sentence and it is in the nominative Case. The second state in which the Arabic noun gets a nom. Case is when it is used as the predicate of the nominal sentence.[6]

[5] For more details go through Zughoul (2002).

[6] In Arabic, there are two prominent types of sentences: 1. the verbal sentence which begins with the verb followed by the subject and the object respectively, and 2. the nominal sentence which begins with the subject followed by the verb and the object respectively.

As we mentioned earlier, the nom. Case of the Arabic NP is indicated by putting the nominative marker *dhamma* (the English short vowel /u/) above the final letter of the noun. Consider the following examples:

4. katab-a *al-walad-u* al-dars-a
   wrote the-boy-nom. the-lesson-acc.
   'The boy wrote the lesson.'
5. *al-walad-u* dhakiy-un
   the boy-nom. intelligent-nom.
   **'**The boy is intelligent.**'**

In the above examples, we have two different Arabic sentences. The example (4) represents a verbal sentence, while (5) denotes a nominal sentence. In (4), we notice that the NP *al-walad-u* 'the boy' is the subject of the verbal sentence and has a nom. Case. In (5), we also notice that the NP *al-walad-u* 'the boy' is also the subject of the nominal sentence and has a nom. Case. In both sentences, we see that the nom. Case of the subject *al-walad-u* 'the boy' is indicated by placing the diacritical mark *dhamma* (the English short vowel /u/), which is the nom. marker of the subjects in Arabic, over the final letter 'd' and get *al-walad-u*.

Notice that *al-walad-u* in the above examples is a definite noun, so it takes single *dhamma* ُ to indicate the nom. Case. But when the subject is an indefinite noun, we put double *dhammas* ' nunnation' ٌ over the last letter instead of one to indicate its nom. Case. This case is known as *tanween* in Arabic. Thus, the single *dhamma* is pronounced as the English short vowel /u/ and the double ones are pronounced as the English suffix '-un'. Thus, the nominative ending marker of the Arabic subject *al-walad-u* 'the-boy' as a definite noun is written as ُ and pronounced as /u/. Let's now consider the following example to show how the ending Case marker for the indefinite noun is pronounced regarding the nominative Case.

6. ahmed-u *walad-un* mujtahid-un.
   ahmed-nom. a-boy-nom. hard-working-nom.
   'Ahmed is a hardworking boy.'

The word *walad-un* 'a boy', in the above example (6), would have this Case marker form ٌ (double dhamma) as it is an indefinite noun instead of ُ (a single dhamma) in *al-walad-u* as a definite noun. This text means the use of one *dhamma* with a tail instead of a single one. This kind of pronunciation for the indefinite Case marking ٌ '-un' is literally called *nunnation* 'tanween' meaning pronouncing the letter 'n' at the end of the noun.

Unlike English, there are no indefinite articles in Arabic; therefore, the *tanween* **'**nunnation' works the same purpose instead. In many situations, we use a

modification of the two *dhammas* as ٌ instead of writing them both. This modification consists of the first *dhamma* being written, but with a tail attached to it to represent the presence of the second one. Consider also the following example.

7. al-walad-u mudarris-un
   the-boy-nom a-teacher-nom.
   'The boy is a teacher.'

In the above sentence, there are two NPs. The first one *al-walad-u* 'the boy' is a definite noun with a nom. Case as the subject of the sentence, whereas the second *mudarris-un* 'a teacher' is an indefinite noun with a nom. Case as the predicate of the same sentence. So, *al-walad-u* in the above examples is a definite noun, and it takes single *dhamma* ُ to indicate its nom. Case. But the noun *mudarris-un* is indefinite, and it takes double *dhammas* ˈ nunnation' ٌ over the last letter instead of one to indicate its nom. Case. The second *dhamma* is uttered as *ˈ-n'* and is often represented by a little tail attached to the first *dhamma* as a sort of short hand. Thus, we notice that the nominative Case in Arabic sentences can be assigned to the Arabic NPs in two positions. First, if the NP is the subject of the sentence; second if it is used as a predicate of the same sentence.

The same procedure is also followed in the case of constructing the Arabic questions as we use only one *dhamma* in the case of definite nouns, and/or *tanween* ˈnunnation' (the equivalent of the two *dhammas*) in the case of indefinite nouns. So, we write the *dhamma* with a tail to get ˈtanween'. Let's change the affirmative sentence (7) into a question (8) and compare the results.

8. hal al-walad-u mudarris-un
   is the-boy-nom a-teacher-nom.
   'Is the boy is a teacher?'

The following table presents some examples to show the differences between the different types of Case marking shapes regarding definite and

indefinite nouns in Arabic as represented by the single and double diacritical marks respectively:

| Case | Definite nouns | Meaning | Indefinite nouns | Meaning |
|---|---|---|---|---|
| Nom. | al-maktab-u | the-office | maktab-un | an-office |
| Acc. | al-maktab-a | the-office | maktab-an | an-office |
| Gen. | al-maktab-i | the-office | maktab-in | an-office |
| Nom. | al-walad-u | the-boy | walad-un | a-boy |
| Acc. | al-walad-a | the-boy | walad-an | a-boy |
| Gen. | al-walad-i | the-boy | walad-in | a-boy |

**Table-1 Shapes of Arabic Case Endings**

**2. The Accusative Case**

The acc. Case is chiefly used to denote the objective Case of Arabic NPs. It is, in other words, used to show that an NP is the object of a sentence and it is in the acc. Case. The accusative Case of Arabic NPs is primarily applied to the objects of verbs. The acc. Case marker is indicated by *fat-ha* ◌َ pronounced as the English short vowel /a/. Consider the following example.

9. qarat-u *al-kitab-a*
   read- I-nom. the-book- acc.
   'I read the book.'

In the above sentence, the NP *al-kitab-a* 'the-book' is the object of the sentence which has an acc. Case.[7] The NP *al-kitab-a* 'the book' is also the object of the sentence and has an acc. Case. It is indicated by placing the diacritical mark *fat-ha* ◌َ pronounced as the English short vowel /a/, which is the acc. marker of the objects in Arabic, over the final letter 'b' and gets *al-kitab-a*. Notice that *al-kitab-a* in the above example (9) is a definite noun, so it takes single *fat-ha* ◌َ to indicate its acc. Case. But when the object is an indefinite noun, we put double *fat-ha* ◌ً 'nunnation' over the last letter instead of one to indicate its acc. Case. This case is known as *tanween* in Arabic. Consider also the following example.

10. qaraat-u *kitab-an*.
    read- I – nom. a-book-acc.
    'I read a book.'

[7] The Arabic first personal pronoun *ana* 'I' does not appear in this sentence. Such pronouns are usually implicit in Arabic, though they are functioning as the subjects since the verb inflection tells us who/what the subject is.

As is clear from the above example (10), double *fat-ha* ً ‘nunnation’ *tanween* is used here on the final part of the NP *kitab-an* ‘a-book’ to indicate its acc. Case. That is to say, we are using double *fat-ha* instead of one to indicate the accusative Case when the object of the sentence is indefinite. The second *fat-ha* gives us the *nunnation*. To conclude, we use a single fat-*ha* if the noun is definite and is the object of the sentence as the NP *al-kitab-a* ‘the-book’ in (9), and *tanween* ‘double *fat-ha*’ if the noun is indefinite as the NP *kitab-an* ‘a-book’ in (10).

**3. The Genitive Case**

In this section, we will discuss the third type of Arabic Case endings, the gen. Case. As we know, there are two forms of the gen. Case in English, the first one is obtained by the use of an *apostrophe* and an *s* (’s) after a noun as in ‘the girl**’s** dress’, and the second form is constructed by using the preposition *of* as in ‘the dress *of* the girl’. By contrast, the genitive Case occurs in Arabic in two situations too. Both of these situations occur very often in the language. First, a noun following a preposition will always be in the genitive Case. The other time the genitive Case occurs is if a noun is the second or later term of an *idaafa* ‘the annexation’ as in ‘fustan-u l-bint-i’ (the dress (of**)** the girl). It is anticipated that some non-Arabic learners or speakers may have difficulties forming or identifying the gen. Case in Arabic.

The gen. Case is assigned to the Arabic NPs by the use of the Case marker *kasra* ِ or *kasrateen* (double *kasra*) ٍ on the final letter of the noun. That is to say, the genitive Case marker is one *kasra* if a noun is definite and two *kasras* if the noun is indefinite. The single *kasra* on the final part of the definite noun is pronounced as /i/, while the second *kasra* of the two *kasras* on the final part of the indefinite noun is pronounced as an ‘n’, just like the second *dhamma* in the nominative Case and the second *fat-ha* of the acc. Case.

The first situation of the gen. Case occurs when the noun is preceded by a preposition.[8] Prepositions are responsible for assigning the gen. Case to the Arabic nouns. Consider the following examples.

11. dhahabt-u ila *al-mata’am-i*.
went-I-nom. to the-restaurant-gen.
‘I went to the restaurant.’
12. dhahabt-u ila *mata’am-in*.
went-I-nom. to a-restaurant -gen.
‘I went to a restaurant.’

[8] A preposition is a word which comes before a noun in Arabic.

In the above examples, we find that the Arabic genitive Case marker is represented by a single *kasra* ِ on the word *al-mata'am-i* 'the restaurant' because it is a definite noun as in (11), and by two *kasras* 'tanween' ٍ on the word *mata'am-in* 'a restaurant' because it is an indefinite noun as in (12). The single *kasra* is pronounced as the English short vowel /i/, while these double *kasras* are pronounced as the English suffix '-in'.

The second form of the gen. Case is known as *idaafa*. The word *idaafa* means 'addition' or even 'annexation'. The *idaafa* is used to indicate possession in Arabic. In English, for example, we say 'John's book'. In Arabic, we say 'the book (of) John'. The *idaafa* is an extremely important construction in Arabic. It is very easy, basic, and absolutely necessary for any student of the language who wants ever to be able to do anything at all in Arabic. A number of students have had several years of Arabic but do not know the difference between an *idaafa* and a noun-adjective phrase. In fact, many students do not seem to know the mechanism of *idaafa* in Arabic.

Let's consider the following examples.

13. hadha bait-u *al-mudarris-i.*
    this the-house teacher-gen.
    'This is the teacher's house.'
14. hadha bait-u *mudarris-in.*
    this a-house teacher-gen.
    'This is a house of a teacher.'

In the above sentences, we have a standard two-term *idaafa* phrases in each sentence represented in (13) as *bait-u al-mudarris-i* 'the teacher's house' and in (14) as *bait-u mudarris-in* 'a teacher's house'. The first noun *bait-u* in each phrase is the thing possessed. It can be in any Case depending on its position in the sentence but never has *nunnation* 'tanween' ٍ. The second noun of each *idaafa* is in the gen. Case.[9] In (13), the genitive Case marker is represented by a single *kasra* ِ on the noun *al-mudarris-i* 'the teacher' because it is a definite noun, whereas it is represented by two *kasras* 'tanween' ٍ on the noun *mudarris-in* 'a teacher' because it is an indefinite noun as in (14).

**Conclusion**

Arabic has a distinctive morphological Case system which cannot be recognized in any other language. As we mentioned previously, Arabic has three

[9] In an *idaafa*, the second term and any following terms are always genitive.

main morphological forms of Case. These forms are basically marked by changing the shape of the ends of words. That is to say, Arabic nouns are normally inflected for three Cases: nominative, genitive, and accusative. Cases fall under the topic of morphology because they are part of word structure; they are usually like suffixes attached to the word stem, and the nature of the word stem determines what form the suffix will take. In general, the Case markers in Arabic are short vowels: /u/ for nominative, /i/ for genitive and /a/ for accusative.

Arabic has several diacritical markers, referred to as short/small vowels in the language, which can be written over or under final letters to indicate the state of nouns as being the subjects or objects of sentences. Most ordinary Arabic scripts (texts) are written without diacritical markers because these diacritical markers are most of the time supposed to be guessed and suggested by a qualified reader. Furthermore, knowing the Case endings of Arabic is necessary in some Cases. The Holly Qur'an, for example, must be written with full diacritical marks to avoid any possible mistakes and ambiguity.

To conclude, Arabic diacritics with their names are the acc. marker [fat-ha] which is represented by the sign [ ], the nom. marker [dhamma] which is represented by the sign [ُ], and the gen. marker [kasra] which is represented by the sign [ ]; [tanween] *fat-hateen* related to the acc. Case which is represented by the sign [ً], [tanween] *dhammateen* related to the nom. Case which is represented by the sign [ٌ], and [tanween] *kasrateen* related to the gen. Case which is represented by the sign [ٍ]. The nom. Case typically marks the subject function as an agent or a doer of an action; the acc. Case indicates the object in a sentence; and the gen. Case is used mainly in two ways: to mark the object of a preposition and to mark the possessor in a possessive structure.

**Results and Findings**

Throughout this study, we come to deduce that Case is a very important notion of grammar which plays a significant role in Arabic grammar. Although Arabic has a lot of morphological Case endings, this study has been confined to a limited number of grammatical facts, nom. Case, acc. Case, and gen. Case, assumed by these morphological endings for the NPs.

We have seen that there are three different types of Case in Arabic and how they are assigned to the NPs.

- Arabic is a distinctive language with its Case system.
- Because of its richness of inflection, Arabic has a distinctive Case system represented by overt Case endings for the NPs.

● The data shown in this study indicates that the rate of Case forms for the NPs differs widely according to the differences in the positions of these NPs in the Arabic sentences.

**Recommendations**

As has been mentioned earlier, there are a lot of morphological Case endings for NPs in Arabic represented by different diacritical markers. But this study has been confined to only three types of these diacritics, i.e., the Nominative Case, Accusative Case and Genitive Case. This study would be the first step for further researches in this field. So, the researcher would suggest and recommend the following forms of Arabic Case endings to be studied and investigated:

1. Jussive Case
2. Commutative Case.
3. Locative Case.
4. Dative Case.
5. Instrumental Case, a case which expresses means or agency.
6. The Case system of Arabic pronouns.

Concluding this study, it would be worthwhile for further research to investigate the Adjective Case endings in Arabic and the Noun-Adjective Case agreement regarding changes that the Arabic words undergo when changing from one position into another position in the sentence.

**References**


Abou-Seif, L. H. (1967). The Nominal Phrase: *a Contrastive Study between English and Colloquial Cairo Arabic*.

Al-Safi, A. (1972). Concord and Peculiarities in English and Arabic. *Bulletin of the College of Arts*. Basrah University.

Bresnan, J. (2001). Lexical-Functional Syntax. Oxford: Blackwell.

Buckley, R. (2004). Modern Literary Arabic: *A Reference Grammar*. Librairie du Liban.

Bulos, A. (I960). Ismu'l-mawsul in Classical Arabic and the Relative Pronoun in English: *a Contrastive Study*. Language Learning 10 (l):47-53.

Butt, Miriam, and King, Tracy Holloway. (2004b). The Status of Case. In Veneeta Dayal and Anoop Kumar Mahajan (eds.), Clause Structure in South Asian Languages, pages 153-198, Kluwer.

El-Derwi, A. (1967). Number in Cairene Colloquial Arabic with Comparative Reference to English. Master's Thesis, Brown University.

El-Sheikh, A. S. (1963). Personal Pronouns: *English Arabic, a contrastive analysis*. Diploma Thesis, University of Leeds.

Habash, N. & Rambow, O. (2007). Arabic Diacritization through Full Morphological Tagging. In Proceedings of the 8th Meeting of the North

American Chapter of the Association for Computational Linguistics/Human Language Technologies Conference (HLT-NAACL07).

Hallberg, A. (2016). Case Endings in Spoken Standard Arabic. PhD Thesis, Lund University, Faculties of Humanities and Theology.

Hamdi, A. Q. (1968). English Pre-nominal Modifiers and Corresponding Modern Standard Arabic structures: *a contrastive analysis*. Doctoral Dissertation, University of Michigan.

Hassani, A. (1967). The Subclassification of the Noun in English and Arabic. Diploma Thesis, University of Reading.

Holes, C. (2004). Modern Arabic: *Structures, Func-tions, and Varieties*. Georgetown University Press. Revised Edition.

Mehdi, M. F. (1981). The Interlanguage of Arabic in the Use of English Prepositions. Doctoral Dissertation, The University of Texas at Austin.

Nelken, R. & Shieber, S. (2005). Arabic Diacritization Using Weighted Finite-State Transducers. In Proceedings of the Workshop on Computational Approaches to Semitic Languages at 43rd Meeting of the Association for Computational Linguistics (ACL'05), pages 79–86, Ann Arbor, Michigan.

Nordlinger, R. (1998). Constructive Case: *Evidence from Australian Languages*. Stanford: CSLI Publication.

Nordlinger, R. (2006). Constructive Case in Comparison with Case as Argument-taking predicate. Seminar: Readings in LFG Summer semester.

Price, J. M. (2004). All the Arabic You Never Learned the First Time Around. The Defense Language Institute Foreign Language Center. Curriculum/Faculty Development Presidio of Monterey, California.

Ryding, K. C. (2005). A Reference Grammar of Modern Standard Arabic. Cambridge University Press

Tadros, A. (1966). An Analysis of the Interference Errors in the Written English of Sudanese Students. Master's Thesis, University of Khartoum.

Tadros, A. A. (1979). Arabic interference in the written English of Sudanese students Relativization, English Language Teaching Journal 33 (3):234-239.

Touchie, H. (1983). Transfer and Related Strategies in the Acquisition of English Relative Clauses by Adult Arab Learners. Doctoral dissertation, The University of Texas at Austin.

Vorgelegt, V. & Sugisaki, K. (2010). Case, Word Order, Grammatical Function and Information Structure in Japanese. Universität Bielefeld Fakultät für Linguistik und Literature wissenschaft.

Yassin, M. (1977). A Contrastive Analysis of Genitival Complex Structures in English and Arabic. Journal of the College of Arts, King Saud University.

Zaenen, A. Maling, Thráinsson, J., & Höskuldur. (1985). Case and Grammatical Functions: *The Icelandic Passive.* Natural Language and Linguistic Theory 3,441–483.

Zitouni, I., Sorensen, J. S. & Sarikaya, R. (2006). Maximum Entropy Based Restoration of Arabic Diacritics. In Proceedings of the 21st International Conference on Computational Linguistics and 44th Annual Meeting of the Association for Computational Linguistics, pages 577–584, Sydney, Australia.

Zughoul, M. R. (1978). Phonological and Morphological Error Analysis of the Spoken English of a Seven-year-old Arab ESL Learner in a Natural Situation. Texas Linguistic Forum 10:102- 107.

Zughoul, M. R. (1979). Teaching English Prepositions. English Teaching Forum 17 (3):24-29, 39.

Zughoul, M. R. (2002). Interlanguage Syntax of Arabic-Speaking Learners of English: *The Noun Phrase*. Department of English, Yarmouk University, Irbid, Jordan

# Arts

Published by: Faculty Of Arts,
Thamar University

Quarterly Refereed Journal OF Humanities

6